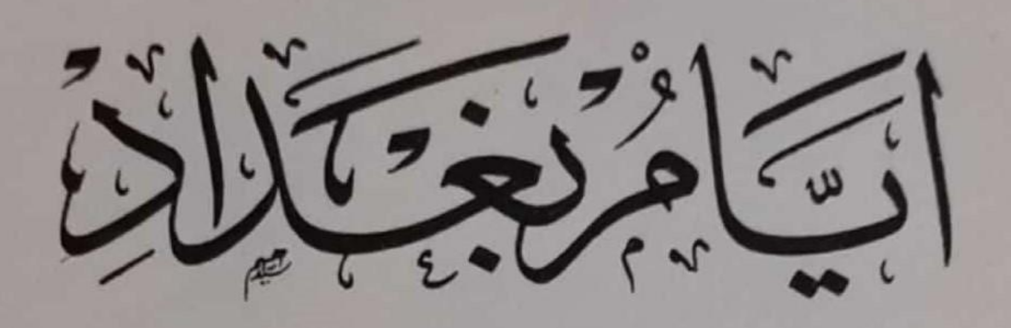


أيام بغداد

وصف شامل لنهضة العراق الحديثة ولمعالمه التاريخية

تأليف

أمين سعيد

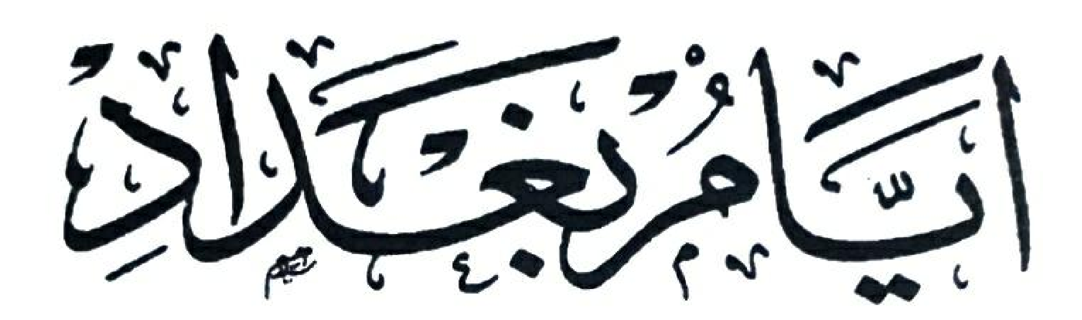
مؤلف

ملوك المسلمين ودولهم

والثورة العربية الكبرى

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر





أيام بغداد

وصف شامل لنهضة العراق الحديثة ولمعالمه التاريخية

تأليف

أمين سعيد

مؤلف
ملوك المسلمين ودولهم
والثورة العربية الكبرى



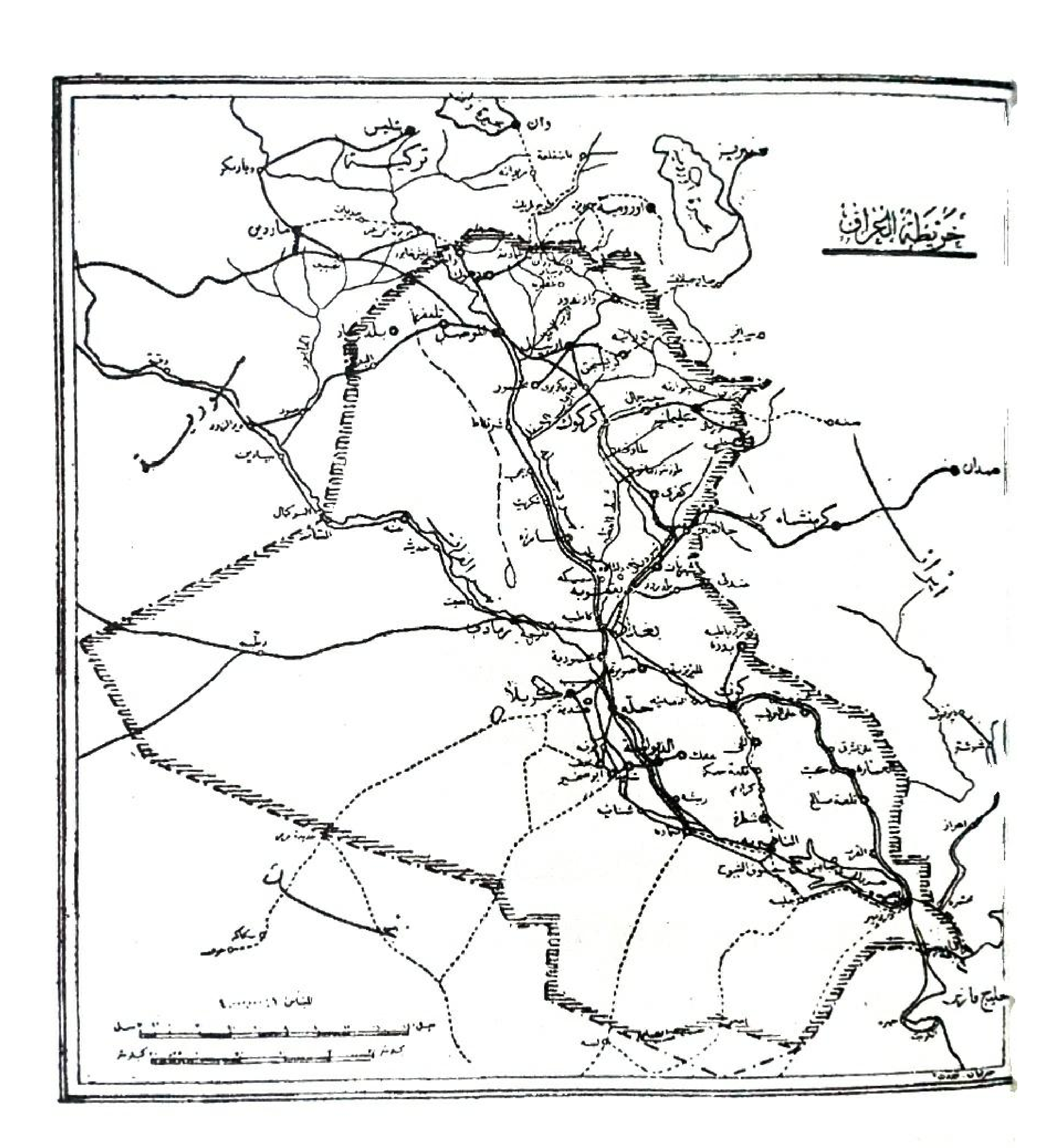
صاحب الجلالة غازى الاول ملك العراق





المغفور له الملك فيصل مؤسس النهضة العراقية





خريطة العراق
وان
تركيا
ماردين
الموصل
كرمنشاه
همدان
ايران
بغداد
كربلاء
العمارة
الناصرية
خليج فارس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله

وبعد فقد فجع العرب يوم ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢ و٨ سبتمبر (ايلول) سنة ٩٣٣ بالمغفور له جلالة الملك فيصل الأول مؤسس الدولة العربية فى العراق فلبسوا ثوب الحداد وأقاموا سوق العزاء فى كل حفل وناد

وغادرت القاهرة يوم ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ و ١٦ اكتوبر سنة ٩٣٣ الى بغداد بطريق دمشق لحضور حفلة التأبين الكبرى التى أقيمت فى تلك العاصمة بمناسبة انقضاء أربعين يوما على وفاته مندوباً عن الهيئات السورية بمصر واغتنمت الفرصة السانحة فطفت العراق باحثاً دارساً فأعجبت بنهضته الجديدة كما أعجبت بآثاره القديمة، وكتبت عنها فصولا مطولة فى جريدة المقطم الغراء وغيرها من الصحف جمعتها مع فصول أخرى لم تنشر فى هذا الكتاب وحليتها بما حملته من رسوم جميلة وأهديته الى الشعب العراقى الكريم رمز تقدير واعجاب والله المستعان

امين سعيد

على الطريق

النقد في بلاد العرب

«عملة فلسطينية ، عملة عراقية ، عملة سورية ، عملة مصرية ، مين عاوز ؟ مين بيريد ؟ »

هذا أول مايستوقف سمع المسافر حينما يطأ أرض القنطرة الشرقية بعد ما يجتاز قناة السويس بالمعدية ليلحق بالقطار المسافر إلى فلسطين . وبيان ذلك أن بعض الباعة يقفون صفاً أو يمرون أمام المسافرين عارضين نقودهم ، ومعلنين استعدادهم لتقديم كل ما يطلبونه منهم

وقد يعجب الذين لم يألفوا الأسفار لهذا العرض ويقولون ما حاجة المسافر إلى نقود يبدلها ، وربما كان بينهم من لم يسمع حتى الآن بوجود نقد فلسطيني أو سوري أوعراقي يباع أو يبدل على ضفة القنطرة الشرقية وفي أرض مصرية أيضاً

كان سكان الشام والعراق والحجاز يتداولون حتى اعلان الحرب العظمى في عام ١٩١٤ نقداً واحدا هو النقد التركي المؤلف من الريال

المجيدى وأقسامه ومن الليرة الذهبية وأقسامها فكان المسافر فى هذه الأقطار لا يحتاج الى نقد يبدله حين ازماعه السفر ، ولا الى أوقات يقضيها فى دراسة نقد القطر الذى يقصده ، ومعرفة قيمه وأثمانه ، وتلك عملية ذات شأن خطير تحتاج إلى درس فى هذه الأيام، لأنه من الصعب معرفة حركة النقد وسعره فى بعض هذه الأقطار لتعدده وتنوعه واختلاف أشكاله ، وتلك هى أولى المشكلات التى تواجه زائر بلاد العرب فى هذه الايام

ولقد كانت العملة المصرية (الجنيه بأقسامه والريال بأقسامه) عملة التداول فى سورية وفلسطين والحجاز على أثر ختام الحرب،فقد انتشرت فى جنوبى بلاد الشام (فلسطين) بواسطة الحملة المصرية كما انتشرت فى الحجاز وحوران ودمشق بواسطة الجيش الشمالى العربى وظلت رائجة فى سورية الداخلية ولبنان حتى تم لجيش الجنرال غورو احتلال دمشق يوم ٢٤ يوليوسنة ١٩٢٠ فأصدر أمراً بمنع تداول النقد المصرى وباحلال النقد السورى محله ، وقد أصدره بنك ، سموه البنك السورى انشأته نقابة من الماليين الفرنسويين بأمر الحكومة الفرنسوية سنة ١٩٢٠ وكان مصدر مشكلات عظيمة لسورية فى الفترة بين سنة ١٩٢٠ و ١٩٢٦ يوم كان سعر الفرنك غير مستقر لارتباطه به ، فقد ألحقوا النقد السورى بالفرنك الفرنسوى وجعلوه ذيلا له فاذا سقط أو تدهور ، وكانت حالته فى تلك الفترة غير مستقرة ، سقطت العملة السورية ، ووقع الاضطراب

فى أسواق سورية الاقتصادية وساءت حالة الموظفين لأنهم يتناولون رواتبهم بحساب الليرة السورية المربوطة بالفرنك وقد نزل ثمنها فى أواخر عهد وزارة هريو الأولى سنة ١٩٢٦ إلى ما يقرب من عشرة قروش صاغا . على أن حالة الفرنك لا تزال منذ عهد تقلد المسيو بوانكاره وزارة المالية فى تلك السنة مستقرة اجمالا

والى جانب هذه العملة السورية فى بيروت ودمشق توجد العملة التركية القديمة ولا يزالون يعولون عليها كما يعولون على الليرة التركية الذهبية فى تجارتهم وبيعهم وشرائهم ، فسعرها هو الواحد القياسى فى التجارة على أن العملة الذهبية قلت كثيراً فى سورية ان لم نقل فقدت فقد بذل البنك السورى جهداً عظيما فجمع معظم ما كان فى البلاد من عملة ذهبية وأرسلها الى فرنسا فضمت الى الذهب الذى جمعه الفرنسيون من أربعة أقطار المعمورة وملأوا به خزينتهم . ونرى واجب الانصاف يدعونا الى الاعتراف بأن النقابة المالية الفرنسوية صاحبة البنك والنقد السوريين سعت سعياً حثيثا لدى الحكومة الفيصلية فى دمشق ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ لتنال منها اجازة بتداول النقد الجديد فى بلادها فأبت وكان بين الشروط التى طلب الجنرال غورو فى انذاره الشهير إلى تلك الحكومة يوم ١٤ يوليو سنة ٩٢٠ قبولها، شرط نص فيه على ضرورة تداول النقد السورى . وتداوله هو الوسيلة الكبرى للربح

والكسب وهما من الأغراض الرئيسية للاستعمار فى كل زمان ومكان فأجابته الحكومة الفيصلية بالرفض وأبت اقرار نقد غير قانونى لم يوضع فى المصارف ما يقابله من ذهب أو أوراق مالية أجنبية أخرى ، اذ اكتفت النقابة وقتئذ بوضع سندات على الخزينة الفرنسوية فى بنك فرنسا . ولما نفد السهم ، واحتلت سورية وضع النقد موضع التداول وأكره الناس على قبوله تحت طائلة العقوبات الصارمة لأنهم ما كانوا يثقون به كما قدمنا بسبب اضطراب حالة الفرنك ، على أن النقابة المالية عادت فى سنة ١٩٢٣ فنالت امتيازاً من الحكومة السورية وكان يرأسها صبحى بك بركات يبيح لها اصدار نقد سورى وكانت تمارس هذا الحق عملياً من قبل ، وقد كان لهذا العمل أسوأ وقع فى نفوس السوريين وقابلوه بالاستنكار والاحتجاج الشديد لأنهم ما كانوا يريدون أن يسجلوا بصك رسمى اعترافهم بوجود نقد اسمه النقد السورى .

. . .

وظل النقد المصرى متداولا فى فلسطين حتى سنة ١٩٢٤ ففى تلك السنة أصدرت الحكومة الفلسطينية نقداً جديداً أضافته اليها وسمته « النقد الفلسطينى » ويتألف من الجنيه الفلسطينى وأجزائه وقد اعتبر بسعر ألف مل ، والمل هو الواحد القياسى فى النقد الفلسطينى كما أن القرش هو الواحد القياسى فى النقد السورى ، ولما كانت فلسطين

خاضعة للانتداب البريطانى الحق الجنيه الفلسطينى بالجنيه الانكليزى فهو تابع له فى تقلباته وكذلك فرض على شرق الأردن وهى من الوجهة العملية جزء من فلسطين

ولا ريب أن نكبة فلسطين بجنيهها أخف كثيراً من نكبة سورية بليرتها لأنها لم تزد هنالك على أن غيرت جنيها بجنيه والفرق بينهما بسيط، أما فى سورية فقد أبدلوا الجنيه المصرى بهذه الليرة وكان الجنيه الواحد يساوى أحيانا ثمانى أو عشر ليرات منها أو أكثر أو أقل بحسب الظروف ، أضف الى هذا أن سورية أضاعت كل ذهبها بسبب هذا النقد المتقلب المتذبذب ويذكر السوريون بالخير أيام الجنيه المصرى ويتمنون أن تعود

. . .

وحل النقد الهندى فى العراق محل النقد التركى فى ابان الحرب لأن الجيش البريطانى الذى نزل البصرة سنة ١٩١٤ جاء من الهند، ولأن حكومة الهند هى التى دفعت نفقات تلك الحملة ، ورأت الحكومة العراقية الجديدة بعد ما ثبتت قواعدها أنها فى حاجة إلى نقد عراقى يضرب باسمها، وضرب النقد من شارات الاستقلال فى الدولة ، فكان لها ما أرادت وصدر النقد الجديد سنة ١٩٣١ وقاعدته « الدينار » و« الفلس » واحده القياسى ، فكل دينار بألف فلس وقد قرأت فى الأسبوع الماضي أن حكومة بغداد أصدرت أوامر مشددة بابطال تداول

النقد الهندى القديم فأدركت من هـذا أنه لا يزال موجوداً ، والدينار العراقى مرتبط بالجنيه الانجليزى فمثله من هذه الجهة مثل الجنيه الفلسطينى والجنيه المصرى

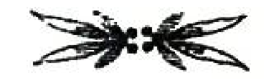
وبعـد فقد أدرك القارىء من هذه البيانات سر وجود هذه النقود المختلفة فى هذه البقعة العربية الصغيرة وفى بلاد تربطها ببعضها أوثق الروابط وفهم الغاية من وقوف الباعة فى القنطرة الشرقية ينادون بملء أفواههم «عملة فلسطينية، عراقية، سورية» فلا بد لكل مسافر الى احد هذه الأقطار أن يحمل جانباً ولو قليـلا منها وإلا استهدف فى أول وصوله لمشكلات عديدة فهو لا يستغنى مطلقا عن « فكة » يدفعها للشيال أو «العربجى» او ثمنا لصحيفة يقرأها او غير ذلك من الحاجات الأخرى البسيطة

...

ولا يكاد المسافر المصرى يخرج من قلم الجوازات المصرى ليدخل قلم الجوازات الفلسطينى فى القنطرة الشرقية وهو ومحطة سكة حديد فلسطين فى مكان واحد ، ويخفرهما جنود فلسطينون ، وتشرف عليهما حكومة فلسطين حتى يشعر بأنه انتقل فجأة من قطر إلى قطر مع أن القنطرة فى صميم الأراضى المصرية، لما يشاهده من اختلاف السحن والهيئات فمعظم موظفى مكتب الجوازات الفلسطينى من اليهود الأجانب وان كانوا يلبسونهم « القلبق » كما أن الاعلانات والتعليمات الملصقة على أبواب المحطة الفلسطينية مكتوبة باللغات الثلاث الرسمية فى فلسطين وهى العربية

والعبرية والانكليزية وهى مما تفردت به فلسطين فى العالم فليس هناك حكومة ذات ثلاث لغات رسمية معترف بهـا فى هذا العهد سوي هذه الحكومة الشاذة التى أنشأها الاستعمار البريطانى فى هذا القطر العربى

وقبل منتصف الليل بدقائق أى فى الساعة ٣٥ : ١١ تحرك القطار قاصدا محطة اللد وحيفا



سكة حديد فلسطين
والاستعمار الصهيونى

تاريخ سكة حديد فلسطين حديث معروف، فقد دعت ضرورات الحرب العظمى الحكومة الانكليزية الى انشائها فأنشأتها، ولولاها لما تم للحملة المصرية وقد قادها الجنرال اللنبي دخول القدس واحتلال سورية والتقدم حتى حدود الأناضول

وشرع الترك قبل الانكليز فى إنشاء سكة حديد لعبور سيناء وبلوغ قناة السويس ، فقد أدركوا بعد غارتهم الأولى على القناة يوم ٢ فبراير سنة ١٩١٥ صعوبة بلوغ الحدود المصرية بما لديهم من وسائط نقل قديمة لايجوز الاعتماد عليها فى عصر السرعة والبخار ، فبدؤا العمل فى أوائل عام ١٩١٥ بهمة لا تعرف الكلل والملل متوغلين فى الصحراء وقد اختاروا طريق القوافل القديمة مبتعدين عن البحر لكى لا يكونوا عرضة لقنابل الأسطول البريطانى ، فبلغوا بير السبع وتقدموا حتى الحفير ، فاقلق ذلك الانكليز وحفزهم الى انشاء خط آخر يسير على محاذاة البحر فبدأوا العمل سنة ١٩١٦ أي بعد الترك بنحو سنة من القنطرة الشرقية وكانت حملتهم العسكرية تسير مع عمال السكة حتى بلغوا غزة فى سنة ١٩١٧ فارتد الترك عن صحراء سينا كلها ثم كان ما كان من

احتلال القدس فى ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧ ووقوف الترك فى خط الدفاع الثانى وقد أقاموه بين القدس ونابلس فى مكان يسمى « اللبان » وتولى الغازى مصطفى كمال باشا رئيس الجمهورية التركية اليوم ، قيادة الجيش التركى فى هذه المنطقة ولما بدأ الانكليز هجومهم الكبير على خطوط الترك يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩١٨ تراجع هؤلاء أمامهم كما تراجعت القوات التركية الأخرى لاعتبارات وعوامل ليس هنا موضع التبسط فى الكلام عليها

وواصل الانكليز العمل فى سكة الحديد فبلغت حيفا فى أواخر سنة ١٩١٨ ولا تزال واقفة عندها ، فاتصلت فلسطين بمصر بواسطة هذه السكة ونظمت تنظيما جديدا ، ثم قيل إن السلطة الانكليزية باعتها لحكومة فلسطين وقبضت ثمنها من قرض سنة ١٩٢٦ ويديرها بريطانى يعينه المندوب السامى لحكومة فلسطين

وتسير هذه السكة قطارا واحدا كل يوم بين مصر وفلسطين فيغادر حيفا فى الساعة الثامنة والنصف صباحاً فيصل القنطرة الشرقية الساعة الخامسة مساء، فيركب ركابه قطار بورسعيد فى الساعة السابعة فيبلغون القاهرة الساعة ٣٠ : ١٠ مساء ، ويغادر القطار الذى جاء من حيفا محطة القنطرة الشرقية فى الساعة ٣٥ : ١١ مساء فيصل إلى حيفا الساعة ١٥ : ٩ من صباح الغد ويتحول هذا القطار متى دخل حدود فلسطين الى شبه تراموای فيقف بين محطاتها الكثيرة لركوب الركاب ونزولهم ،

ومعظمهم من اليهود وهم يكثرون من التنقل بين قراهم فتغص بهم عربانه وخصوصاً الدرجة الثالثة ولا يسافرون إلا بها ، ومما يستوقف النظر ، انك تجد كل مسافر من هؤلاء رجلا أو امرأة يقرأ جريدة صباحية من صحفهم العديدة التى تصدر فى فلسطين فتتحول المركبة الى غرفة للقراءة .

. . .

وكما أدى انتصار الانكليز فى فلسطين إلى ثبات هذه السكة وبقائها والى القضاء على السكة التى أنشأها الترك فى قلب الصحراء وانتزاع قضبانهاوقد استعمل بعضها فى انشاءالسكة الساحلية ، فقد أدى انتصار الانكليز أيضاً إلى فوز الصهيونية السياسى وتحاول انشاء دولة يهودية وقد كان ذلك يعد قبل الحرب العظمى حلماً من الأحلام

ولا يخفى أن زعماء الصهيونية السياسيين انتهزوا فرصة الحرب العظمى لتحقيق مطامعهم ، فتقربوا من الانكليز وأمدوهم بالأموال وأنشأوا فرقة يهودية ألحقت بجيش الجنرال اللنبي وبهذه الوسيلة تم لهم الحصول على وعد بلفور الشهير وقد صدر يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهوموجز مختصر موجه بشكل كتاب من اللورد بلفور وزير خارجية انكلترا الى اللورد روتشلد ونصه :

« إن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تستحسن فكرة انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وستبذل مافى وسعها لتحقيق هذه الفكرة

ويجب أن يعلم بأنهــا لا تدع سبيلا الى الاجحاف بالحقوق المدنية والدينية الطوائف الأخرى غير اليهود فى فلسطين »

هــذا هو وعد بلفور وقد أقره الحلفاء وأدمج فى صك الانتـداب البريطانى لفلسطين فصار صكا دولياً كما أدمج فى دستور حكومة فلسطين الموضوع فى انكلترا ، ولو سألت الانكليز تفسيراً لهذا الوعد لأجابوك إن معناه السماح لـكل يهودى بالقدوم إلى فلسطين واستيطانها فيمنح غداة وصوله الجنسية الفلسطينية فينتخب وينتخب وينال جملة ما للمواطنين من حقوق سياسية مما تحرمه حقوق الدول العامة والخاصة ولا تفره ولا يلتئم مع ما لاهل البلاد من حقوق وما عليهم من واجبات . ويفسره اليهود تفسيراً آخر فيقولون ان معناه انشاء دولة يهودية فى فلسطين لحماً ودماً كما هى الدولة الانكليزية فى انكلترا ويتهمون الانكليز بعدم الوفاء ويقولون انهم لم يحققوا لهم ما وعدوهم به فى زمن الحرب أى انهم لم يسلموهم فلسطين لانشاء الدولة اليهودية فى ربوعها ولاجلاء العرب من أبنائها عنها

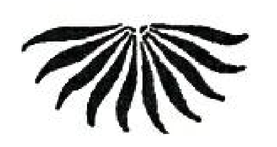
ولا نرانا فى حاجة إلى الـكلام عن حالة العرب الفلسطينيين فهم بين شق الرحى فنكبتهم بالاستعمار الانكليزى لا تقل عن نكبتهم بالاستعمار اليهودى ، فلا الانكليز ينصفونهم ويعيدون اليهم حقوقهم السياسية ولا اليهود يعدلون عن مطامعهم وهى ترمى فى الوقت الحاضر الى تعزيز العنصر اليهودى فى فلسطين بنقل اليهود الألمانيين ، وبشراء الأرض

من أصحابها العرب وهم فى ضائقة اقتصادية شديدة نشأت عن فساد النظامين السياسى والاقتصادى ويسيطر على الاول الانكليز وعلى الثانى اليهود . ولابد من الاعتراف بأن الهجرة اليهودية إلى فلسطين لم تجر فى السنوات الأولى بمثل هذا النشاط الذى تجرى به فى هذه الأيام .على أن عدد مهاجرى اليهود ارتفع فى خلال السنوات العشر الأخيرة من ٥٠ ألفا إلى ٢٠٠ ألف أو أكثر

ولم يكن اليهود يملكون قبل الاحتلال البريطانى سوى جزء قليل من أراضى فلسطين . أما اليوم فيملكون نحو خمسها وتبلغ مساحة أراضى فلسطين الزراعية ٦ ملايين دونم (مليون ونصف فدان مصرى) يملك اليهود منها مليونا ومائتى ألف دونم ويواصلون الشراء بأثمان عالية

ويضيق بى المقام لو حاولت الافاضة فى تاريخ الاستعمار الصهيونى لفلسطين وحسبى أن أقول بأن الترك الاتحاديين تنبهوا فى أواخر عهد حكومتهم الى ما ينطوى عليه السماح لليهود باستعمار فلسطين من أخطار وكان الاستعمار فى أول مراحله ، ولم يقصر جمال باشا خلال الحرب فى مكافحة الفكرة الصهيونية رغم ما بذله زعماء اليهود من وسائل لحمله على العدول عن هذه السياسة ، ولو كتب الفوز للترك فى الحرب العظمى لما ظل للاستعمار الصهيونى أثر فى فلسطين ، ولعاش العرب آمنين فى سربهم مطمئنين الى حالتهم ولكن هى الأقدار . . . .

ومما سار عليه اليهود فى الأيام الأخيرة انهم حين شرائهم قرية أو مزرعة من الفلاحين العرب لا ينقدونهم ثمنها قبل أن يخربوا بأيديهم بيوتهم ومسجدهم ومقبرتهم ويتلفوا كل ما يذكرهم بقريتهم أو منازلهم القديمة ، وغايتهم أن لا يبقى للعرب أثر فى فلسطين فيطالبون به فى مستقبل الأيام



الحرب الجمركية

بين مصر وسورية

الكلام عن فلسطين وقضيتها ونكبتها بالاستعمار الصهيونى يحتاج الى مجلدات لاستيفائه فنكتفى بما قدمناه على أن نعود الى درس حالة هذا القطر العربى درساً مفصلا بعد رجوعنا من العراق فنحن الآن على عجل من أمرنا

ولقد امتطيت سيارة بعد وصولى الى حيفا فقصدت دمشق بطريق صفد ـ جسر بنات يعقوب ، وكانت دهشتى شديدة حينما جاء موظف الجمرك على الحدود وهو سورى متفرنس من هذه الطبقة التى يوليها الفرنسيون الحكم فتذوب فيهم وتتلاشى ، يطالبنى بدفع خمسين فى المئة رسماً جمركياً عن كتاب ملوك المسلمين ودولهم وكنت أحمل بضع نسخ منه لتوزيعها على بعض الاخوان الصحفيين فى العراق والشام فأفهمته بلطف أن الكتب معفاة من الرسوم الجمركية فأجابنى أنه لا بد من الدفع ما دامت صادرة من مصر بسبب الحرب الجمركية القائمة بين البلادين

ورأيت أن الواسطة الوحيدة للتخلص من دفع الرسم الجمركى هو اعتبار الكتب « ترانسيت » الى العراق فقلت له اننى مسافر بعد غد

الى بغداد فلا أدفع شيئاً فخفف من غلوائه وكتب محضراً جمركيا أرسل بموجبه الكتب الى جمرك الحدود العراقية السورية فتسلمتها فى داخل الاراضى العراقية بعد يومين

والجمارك السورية هى بيد الفرنسويين فجميع رؤسائها وكبارموظفيها ومفتشيها منهم وجميع معاملاتها واجراءاتها تتم باللغة الفرنسوية ، وكذلك فالفرنسويون هم الذين يستولون على ايرادات الجمارك السوزية ويتصرفون فيها كما يشاءون ، وقد كانت تبلغ فى السنوات الماضية نحو ١٢ مليون ليرة سورية (ثلاثة ملايين جنيه تقريباً) أما الآن فقد قلت بسبب الازمة الاقتصادية ، فأزعج ذلك الفرنسويين فعمدوا الى زيادة التعريفة الجمركية زيادة فاقت كل معقول وحملت التجار على التذمر والشكوى .

ولقد كانت التعريفة الجمركية فى البلاد السورية تجبى بمعدل ١١ فى المئة حتى انتهاء العهد التركى ، وقد جباها الفرنسويون على هذا المعدل حتى سنة ٩٢٤ ثم جعلوها ١٥ فى المئة بسبب العجز الواقع فى الايرادات ولما شبت الثورة السورية سنة ١٩٢٦ رفعوها الى ٢٥ فى المئة وقالوا ان هذا تدبير مؤقت ينتهى بانتهاء الثورة ، وان الغاية منه سد العجز الناشىء عن زيادة النفقات مما تستلزمه الاعمال العسكرية ومع أنه مضى على انتهاء الثورة سنوات فالتعريفة لا تزال باقية أيضا ولو اكتفوا بذلك لهان الأمر فقد رفعوها فى شهر مارس سنة ١٩٣٣ الى ٤٠ و ٥٠ فى المئة

مما كان له أسوأ وقع فى نفوس التجار السوريين فاحتجوا وطالبوا بالتخفيض فسوف الفرنسويون وماطلوا . ولما ضاق التجار ذرعاً عقد أعضاء الغرف التجارية مؤتمراً فى بيروت أيام ٢٠ و ٢١ و٢٢ مارس سنة ١٩٣٣ برئاسة عمر بك الدعوق رئيس غرفة التجارة البيروتية فوضع تقريراً مطولا درس فيه الحالة الاقتصادية درساً مفصلا استهله بقوله « لا سبيل للتدليل على ما وصلت إليه البلاد من التقهقر الاقتصادى بعد أن أصبح هذا معلوماً من الجميع ، تؤكده الصيحات المتتالية من كل مكان ومن جميع الفئات ، وهذه مظاهر السخط واليأس والنكبات والعسر ترافق التاجر فى تجارته، والمزارع فى زراعته، والصانع فى عمله ، وما كان هذا لو اتبع ولاة الأمور سياسة اقتصادية رشيدة تكون منهاجاً لحياة البلاد فى تجارتها وصناعتها وزراعتها ، ولولا التدابير الجمركية المخالفة لأمانى البلاد لما كان للازمة العالمية علينا كل هذا التأثير »

ولما أبلغ هذا القرار الى المفوض السامى وانقضى شهران على الابلاغ ولم تعمل المفوضية عملا لتخفيف الأزمة اجتمعت لجنة المؤتمر التنفيذية وأبلغت المفوضية أنها اذا لم تشرع فى الاصلاح فانها تضطر الى بسط القضية الجمركية الى المراجع العليا فى باريس وجمعية الأمم فكبر هذا التهديد على المفوضية وردت البلاغ . وقد اجتمعت فى خلال هذه الرحلة بعمر بك الداعوق رئيس المؤتمر فقال لى انه سيقابل المفوض السامى الجديد قريباً لبحث المسألة الاقتصادية

...

وبلغت دمشق أصيل الثلاثاء ١٧ اكتوبر ابان منصرف الناس من الحفلة الكبرى التى أقامتها دمشق باسم سورية المتحدة لتأبين جلالة الملك فيصل وحضرتها وفود لبنان وفلسطين وشرقى الأردن وجبل عامل وشهدها كل ذى حيثية ومقام فى بلاد الشام على اختلاف النحل والأحزاب والمذاهب والأديان فسمعت الكشافة السوريين ينشدون نشيد الكشافة العراقية :

نحن كشاف العرب الخ

وقدر عدد الذين شهدوا هذه الحفلة بخمسة آلاف وقالوا فى وصفها انها أول حفلة أقيمت حتى الآن فى دمشق وضمت مثل هذا العدد من كرام السوريين الذين أقبلوا من كل صقع وناد لتكريم فقيد عظيم يكن له السوريون عاطفة من الود والاحترام وقد كانوا يرجون أن يتم على يده تحرير بلادهم فى المرة الثانية كما تحررت فى المرة الأولى، والظاهر أن العناية الربانية اختارت لهذه المهمة جلالة نجله وخليفته

وقضيت فى دمشق يومى الأربعاء والخميس وفى صباح الجمعة ٢٠ اكتوبر سنة ٩٣٣ امتطيت السيارة الى بغداد مع الوفود الذاهبة اليها

واغتنمت فرصة اقامتى القصيرة فى دمشق لدرس الحالة السياسية فاجتمعت الى أقطاب الحركة الوطنية وزعماء الأحزاب السياسية فعلمت أنه لا جديد فى السياسة السورية وأنهم ينتظرون نتيجة الرحلة التى

يرحلها المسيو دى مارتيل فقد زار على أثر وصوله دمشق ثم قصد حمص فحماة فحلب فاسكندرونة فاللاذقيـة دارساً باحثاً على أن يضع برنامج العمل بعد ختام هذه الرحلة وبعد اطلاعه على الحالة

ومما قاله لى زعماء الـكتلة الوطنية وقد اجتمعوا فى دمشق اشهود حفلة التأبين الـكبرى لجلالة الملك فيصل انه لم تدر محادثات جديدة بينهم وبين الفرنسويين وأن هؤلاء لم يعرضوا عليهم جديدا وأن كل شىء يتوقف على الخطة التى يسير عليها المندوب فاذا جنح الى الاتفاق وأعلن أنه سيسير على سياسة الوحدة ويعدل عن هذه الخطط والأوضاع فهم مستعدون للتعاون معه ووضع أيديهم فى يده والا فلا مناص لهم من الرجوع الى السياسة السلبية

والحالة الاقتصادية فى الشام على أسوأ ما يكون ويشكو النـاس مر الشـكوى من وقوف دولاب الأخذ والعطاء وينتظرون الترياق من العراق



الى بغداد

فى الساعة الثامنة من صباح الجمعة ٢٠ اكتوبر غادرت دمشق بالسيارة ميمما الزوراء فى ركب لا يقل عدده عن الستين . والمسافة بين العاصمتين معظمها غامر وتبلغ ٨٧٥ كيلومترا منها ٢٥٠ فى داخل سورية والباقى للعراق

ولم يك طريق السيارة هذا معروفا حتى سنة ١٩٢٣ فنى تلك السنة وبعدانتشار استعمال السيارات فى أنحاء المعمورة تم للتاجر العربى الحاج محمد البسام افتتاحه فسار من دمشق حتى بغداد على سيارة خاصة ثم تتابع سير السيارات وانتظم الأمر تدريجا كما سيأتى بيانه

وتسير السارات مرتين فى الأسبوع فتغادر دمشق صباح الجمعة وصباح الثلاثاء وكذلك تغادر بغداد صباح الخميس وصباح الاثنين أى أن قوافلها تتحرك أربع مرات فى كل أسبوع ، وقد جرت العادة أن تغادر سيارتان مصفحتان عراقيتان فى كل يوم من أيام سفر القوافل ،الرطبة (احدى المراكز العراقية فى منطقة الحدود) فتأتى حتى التنف (خط الحدود بين سورية والعراق) فترابط فيه لحماية القافلة وكذلك تأتى سيارتان مصفحتان من (الضمير) داخل الحدود السورية حتى التنف

فتجتمع السيارات الأربع : عراقيتان وفرنسويتان وتظل هناك حتى يتم مرور القافلة كلها فيعود كل فريق الى مكانه

ولا يكاد المسافر يبتعد ٣٨ كيلو مترا عن دمشق مشرقا حتى ينقطع كل أثر للعمران ولا سيما بعد ما يجتاز نقطة أبي الشامات الواقعة فى الكيلو متر السابع والستين وهى أول المخافر السورية من ناحية العراق وقد بنيت هذه النقطة حديثا ويصلها بدمشق خط تليفونى وفيها قوة من رجال الدرك السورى عددها ١٢ جنديا يقودهم صف ضابط برتبة شاويش وفيها مكتب للجوازات وآخر للجمرك ويتولاه موظف فرنسوى وصيدلية للاسعاف، وهنالك سيارة للدرك لمطاردة قطاع الطرق اذا حدث حادث وفيها أيضا بئر ماء عذب يستقى منه رجال القوافل فى غدوهم ورواحهم

ويتبطن الركب القفر بعد مغادرته ابى الشامات فلا تقع العين على شجرة ولا نبات ولا حيوان بل ولا طائر حتى يبلغ مخفر « السبع أبيار » وهو على بعد ١٢٥ كيلو مترا من دمشق وفيه بئر ماء ارتوازى عمقه ١٠٣ أمتار ومخفر للدرك ويرفرف عليه العلم الفرنسوى ويتصل بدمشق بالبرق اللاسلكى لعدم امكان انشاء خط تليفونى وعامل اللاسلكى فيه فرنسوى أيضاً ، وقد تشاجر مع قائد المخفر السورى حينما أراد أن يمنعه من رفع العلم الفرنسوي على المخفر قائلا ان الأرض سورية فلابد من رفع العلم السورى عليها ، ولما ابلغ الأمر الى قائد الدرك العام وهو

فرنسوى أمر بنقل القائد من مكانه وأقر موظف اللاسلكى فى تصرفه ويرفعون العلم الفرنسوى فى تلك الصحراء بحجة أن انشاء المخفر تم فى عهد الفرنسويين

ولا تقف السيارات عند نقطة السبع أبيار بل تواصل السير حتى تبلغ التنف وهو عبارة عن تلال فى تلك الصحراء الواسعة ويبعد عن دمشق ٢٥٠ كيلو مترا الى الشرق ولقد حاول الفرنسويون حفر بئر ارتوازى فى هذا المكان تمهيداً لانشاء مخفر فيه فلم يوفقوا فعدلوا عنه لأنه لا سبيل الى اقامته الا اذا توفر الماء كما هو الحال فى أبى الشامات والسبع أبيار وتقطع السيارات ١٨٠ كيلو مترا بعد دخولها الحدود العراقية حتى تصل الى « الرطبة » أول مخفر عراقى على الحدود السورية

ويشعر المسافر العربى القادم من الغرب ، شعوراً جديداً ، هو شعور الغبطة والارتياح حينما يطأ أرض العراق ويشاهد العلم العراقى يرفرف على الرطبة ويشاهد موظفيها وجميعهم من الشبان العراقيين وجميع المعاملات تجرى باللغة العربية بعكس ما هو الحال فى سورية فالمعاملات فى مكتب الجوازات وفى الجمرك تتم باللغة الفرنسوية وفى فلسطين باللغة الانكليزية والموظفون هنا يهود أو انكليز وهنالك فرنسويون أو متفرنسون

ونقطة الرطبة أنشأها العراقيون سنة ١٩٢٦ أى بعد افتتاح طريق القوافل، وهى فسيحة واسعة ، بعكس نقطة أبى الشامات ، وهى

متصلة ببغداد بخط تليفونى والمسافة بينهما ٤٤٥ كيلو مترا ، وفيها محطة لاسلكية يديرها شاب عراقى ، وفيها أيضاً محطة للطيران وفيها فندق ومطعم يقدم الطعام للمسافرين وثمن الوجبة الواحدة نصف جنيه ومعظم زبائنه من الأجانب

وفى الرطبة أيضاً مكتب للبريد والبرق العراقى ومكتب للجمرك وآخر لجوازات السفر ومستشفى يديره طبيب عراقى ، وحرس عسكرى لحماية الطريق ، ويقدم البدو من سكانها الشاى والماء لرجال القوافل فى غدوهم ورواحهم بأثمان معتدلة

وتعشينا فى الرطبة واسترحنا قليلا وطفنا المخفر أو القلعة وشاهدنا مكتب البرق اللاسلكى ثم سرينا نقصد بغداد فى ذلك الليل والطبيعة ساكنة هادئة ، وليس أجمل من ليل الصحراء ومن نجومه اللوامع ، تضىء للمسافر مسالكه ،وتنير سبيله

وبلغنا الرمادى عند الشروق والمسافة بينها وبين الرطبة ٣٣٠ كيلو مترا والرمادى مقر متصرفية الدليم

وتسق أراضي الدليم ترعة من روافد الفرات ويمر بقربها وتحيط بها آجام النخل الباسقات تبدو عن بعد فيستبشر بها المسافر ويشم ريح الحضارة بعد ما يكون قضى ٢٠ ساعة فى الصحراء لم تقع عينه فى خلالها على أثر للعمران اذا استثنينا نقطة الرطبة . وتبعد الرمادى عن بغداد ١١٥ كيلوا مترا وفيها فندق اسمه « بابل » يديره عراقى وفيها

مكتب لجوازات السفر وللجمرك وللبريد والبرق ومستشفى

وواصلت السيارات سفرها بعد ما استراح الركب فسارت نحو ٢٠ كيلو مترا بين الحقول والرياض الخضراء حتى نهر الفرات لحاذته وسارت على ضفته الغربية بين المروج والرياض الخضراء وغابات النخيل حتى الفلوجة (١) وهى على مسافة ٦٥ كيلو مترا من الرمادى فعبرت الفرات على جسر حديدى ضخم (كوبرى) أنشىء سنة ١٣٥٠ ﻫ فى عهد الملك فيصل ثم واصلت السير حتى بغداد ، والمسافة بينهما ٥٠ كيلو مترا ٢٠ كيلو مترا غامرة تنتهى عند نجع عربى فيه نقطة للدرك أطلقوا عليه اسم الشيخ ضارى ويريدون به الشيخ ضارى المحمود أحد أبطال الثورة العراقية وهو قاتل الكولونيل لنجمن البريطانى وقد مات فى السجن سنة ١٩٢٨ فخلدوا اسمه باطلاقه على المكان الذى وقعت فيه الواقعة بينه وبين الانكليز

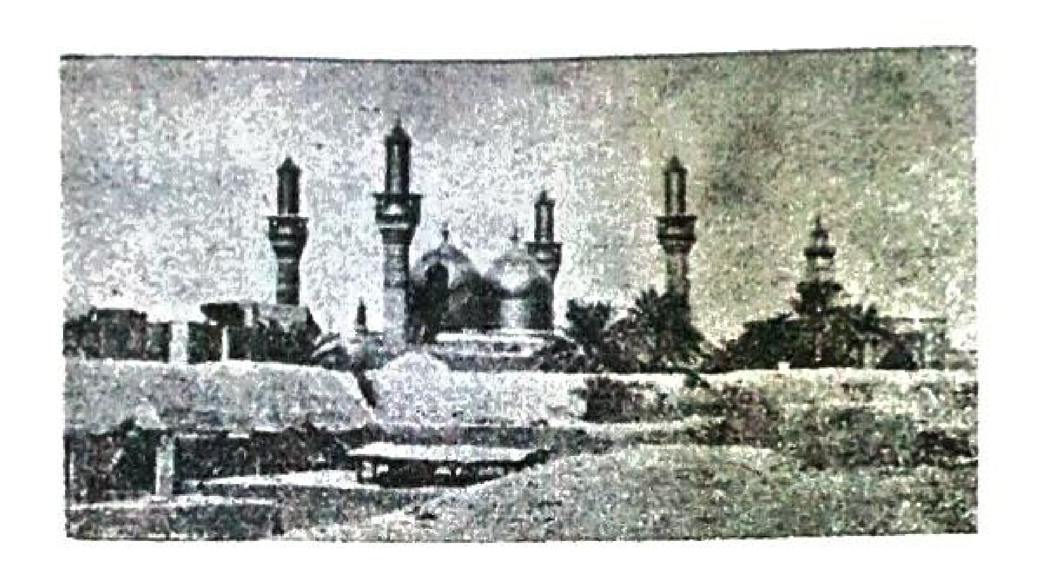
ويشاهد المسافر فى هذه المنطقة أعمالا انشائية تعمل هنا وهناك تمهيدا لمشروعات الرى الكبرى التى قررت الحكومة البدء بها ويطلق عليها اسم الحبانية وتطل بغداد من وراء الافق بمآذن مسجد الكاظمية وقبابه الذهبية وهى تشع لمعانا يبهر الأنظار وبآجام النخيل الباسقات الخضراء

---

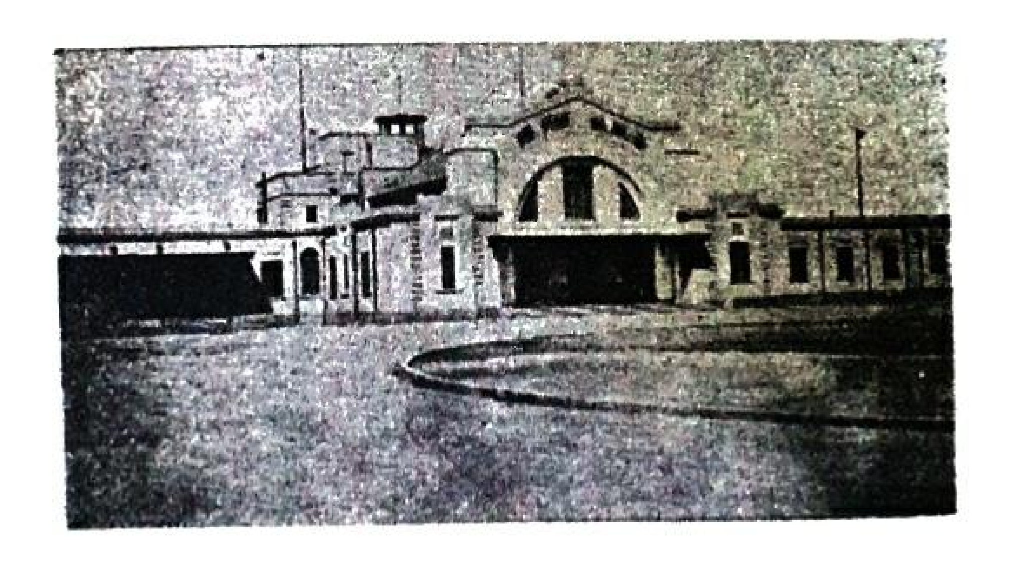
(١) الفلوجة هى الانبار المعروفة فى التاريخ الاسلامى وتقوم على ضفة الفرات اليسرى وعمرانها حديث وكانت مخزن المؤن لجيوش فارس قبل الاسلام

وفى هذه المنطقة أيضاً أنشأ المغفور له جلالة الملك فيصل مزرعة الحارثية لتكون حقل زراعة نموذجى تطبق فيه قواعد الزراعة الحديثة وغرس الأشجار على اختلاف أنواعها ولا يقل عددها عن ٤٠ آلفا جاء بها من مختلف الأقطار كما غرس شجر الكابيتوس على أطرافها لتحسين المناخ .

ولما بلغنا جسر الخر وهو على ٥ كيلو مترات من بغداد استقبلنا فريق من طلاب المدارس يهتفون للوحدة العربية ، وقابلنا حينما بلغنا المطار المدنى الجديد، وفيه مصلحة الجمارك وبقربه محطة سكة الحديد بعض المستقبلين وفى مقدمتهم فيلسوف العراق جميل صدقى الزهاوى ، وممثل الحكومة العراقية الشاب النبيل توفيق بك السعدون تشريفاتى وزارة الخارجية، والأستاذ ابراهيم حلمى العمر مدير مطبوعات العراق وأديبه الأشهر وبعد السلام والتعارف امتطينا سيارة فاجتزنا شارع الملك فيصل وفى وسطه أقيم تمثاله بلباسه العربى وقد اتجه نحو الغرب مشيرا الى البحر الأبيض وبلاد العرب فاجتزنا دجلة الى فندق مود فألقينا عصا التسيار



قباب مسجد الكاظم وهى أول ما يبدو من بغداد
للقادم من الغرب



المطار المدنى قرب بغداد



على ضريح الملك فيصل

قضى رجال الوفود ليلة الأحـد فى فنادقهم يستقبلون زائريهم من رجال العراق الأكارم الذين وفدوا للترحيب بهم ، وفى صباح الأحـد تجمعوا وساروا الى ضريح المغفور له جلالة الملك فيصل فقرأوا الفاتحة ونثروا عليـه الزهور ووضعوا الأكاليل ، وقد وضعت اكليلا باسم سوريى مصر

وزار صاحب الدولة رشـيد عالى بك الـكيلانى رئيس الوزارة العراقية وبعض أعضاء وزارته رجال الوفود فى أماكنهم مساء الأحد فاستقبل وودع بالحفاوة الزائدة

وفى صباح الاثنين انطلق رجال الوفود الى البلاط الملـكى للتشرف بمقابلة جـلالة الملك غازى والسلام عليـه فسجلوا أسماءهم فى سجل التشريفات ثم قصدوا الجناح الخاص بالحفلات والمراسم وكانوا يدخلون على جلالته بحسب بلدانهم وكان وفد بيروت أول داخل وتبعته الوفود الأخرى . فـكانوا يقدمون لجلالته باسمائهم فيصافحهم واحداً واحداً ثم يلقى عليهم الآية الذهبية الآتية :

« يجب عليكم أن تتحدوا وأن تكونوا يداً واحدة فى خدمة أوطانكم . وسأسير على خطة المرحوم والدى وأعمل للقضية العربية كما عمل

« لا يوجد هنا عراقى ولا سورى ولا فلسطينى بل كلنا عرب نعمل لخير العرب»

وزار رجال الوفود بعد ذلك مجتمعين ضريح جلالة الملك فيصل ثانية وقرأوا الفاتحة وتعاهدوا وهم خشع على العمل لتحقيق الوحدة العربية وخطب بعضهم

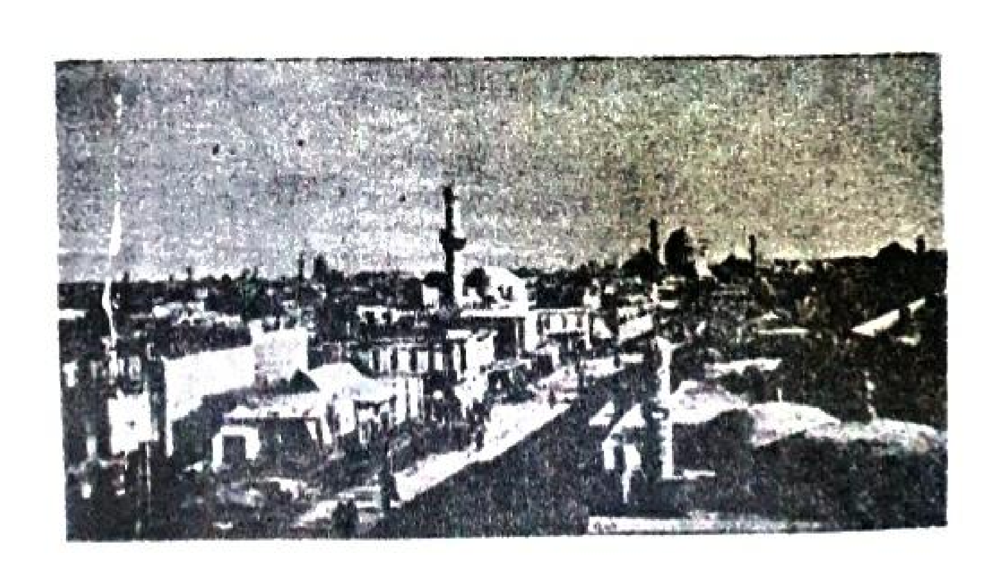
فى دار البرلمان

وزار رجال الوفود بعد ذلك دار البرلمان العراقى وهى قرب الضريح فرحب بهم السيد محمد الصدر رئيس مجلس الشيوخ أجمل ترحيب وحياهم تحية طيبة فتكلم خطباؤهم مشيدين بما بين العراق وسورية من روابط ونادوا بوجوب العمل لتوحيد القطرين فى ظل التاج الهاشمى فشكر لهم هذه العاطفة وقال ان هذه أمنية العراقيين وانهم سيسيرون على نهج الملك فيصل

ثم زاروا جميل بك المدفعى رئيس مجلس النواب (وزير الدفاع اليوم) فرحب بهم فنقر خطباؤهم على نغمة الاتحاد فأجابهم ان العراق لا ينسى الواجب عليه للبلاد العربية وقال ان بينكم كثيرين اشتركوا



تمثال جلالة الملك فيصل فى الجانب الغربى من بغداد
وهو متجه الى الغرب



المنظر العام لمدينة بغداد



معنا فى الثورة العربيــة وقاتلوا لانقاذ العرب ولئن كانت الوسيلة التى جمعتنا الآن مؤلمة إلا أنها لا تخلو من فوائد فنجتمع ونتعارف ويجب أن تعلموا بأننا نحن الذين عملنا تحت راية الملك فيصل سنواصل العمل أيضاً ضمن الدائرة التى رسمها لنا »

...

وهذه أسماء أعضاء الوفود وبلدانهم :

وفد بيروت : سليم بك على سلام . عمر بك الداعوق . عمر بك بيهم . الأستاذ بشاره الخورى . سليم افندى صعب . محيي الدين افندي النصولى . تقى بك الصلح . على افندى ناصر الدين . يوسف افنــدى يزبك . صلاح الدين افندي اللبابيدى .

وفد جبل عامل : الشيخ أحمد رضا . الشيخ سليمان ضاهر . الشيخ أحمد عارف الزين . الدكتور مصطفى خليفة .

وفد جبل الدروز : الأمير حسن الأطرش . متعب بك الأطرش على بك المصطفى الاطرش .

وفد دمشق : الشيخ محمــد الأشمر . نخرى بك البارودى . الحاج أحمد أديب خير . الدكتور عبــد الرزاق الدندشي . صبرى العسلى . أبو الهدى اليافى . شفيق سليمان . عرفان الجلاد . جميل الجابى . نجيب الريس . تيسير ظبيان . عمر الطيبى . منير الريس . الدكتور مسلم البارودى . الدكتور سيف الدين الطباخ . الدكتور عبد القادر

سرى . الصيدلى حسنى الهبل .

وفد اللاذقية : الأستاذ رشاد رويحة

وفد حماة : الشيخ عبد القادر الكيلانى . الصيدلى محمد قنباز . سعيد افندى الترمانينى .

وفد حمص : نديم الموصلى . يحيى خانكان

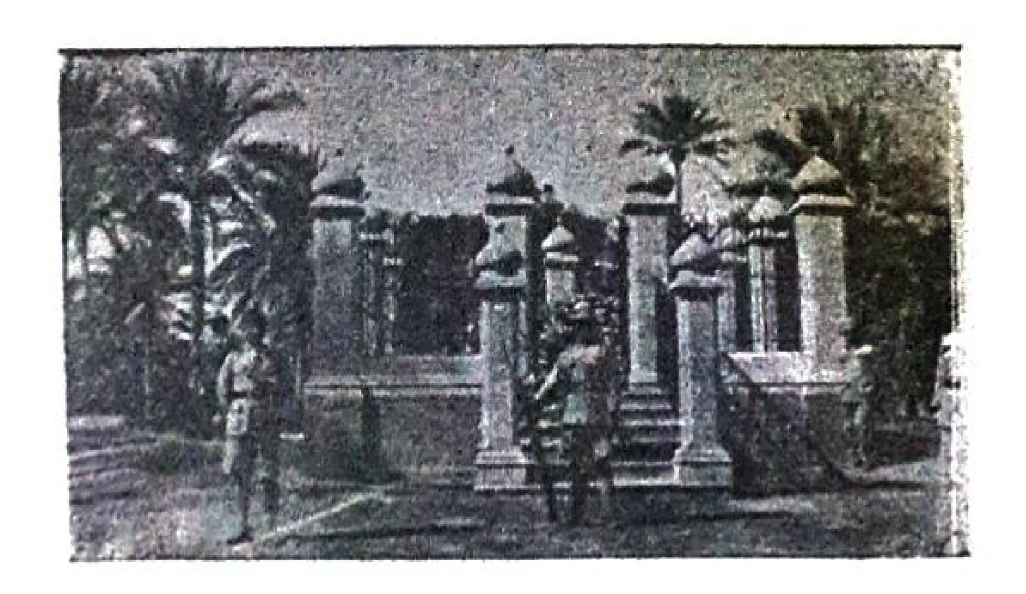
وفد شرق الأردن : عادل بك العظمة . الأستاذ محمد الشريقى . الدكتور صبحى أبو غنيمة. عمر افندى الحمود

وفد فلسطين : الأستاذ الشيخ سليمان التاجى الفاروقى . نبيه بك العظمة . عبدالحميد افندى شومان . خالد افندى الفرخ . الاستاذ أكرم زعيتر . بدرالدين الخطيب





ضريح الملك فيصل تعلوه الاكاليل



البناء الذى أقيم حول ضريح الملك فيصل

حفلة التأبين الكبرى

مشت بغداد اليوم (الثلاثاء ٢٤ اكتوبر) الى ميدان الكشافة أمام البلاط الملكى الواقع فى الضاحية على طريق الأعظمية (مدفن الامام الاعظم أبى حنيفة واليه تنسب وتبعد عن بغداد نحو خمسة كيلو مترات وقد أنشأت الحكومة الجديدة بينهما شارعاً متسعاً وعلى جانبيه الابنية على الطراز الجديد) فملأوا جوانب الطريق حتى تعذر السير فيه على السيارات والمركبات

ونصبت الرايات السوداء ، على الواجهة الخارجية للملعب واشتد الزحام حوله وأعد الملعب وقسم تقسيما موافقا ، فوضعوا منبراً للخطابة تجاه مقصورة جلالة الملك وجلس رجال الوفود على المدرج الواقع الى يسار الشرفة وبينهما ممثلو الدول وقناصلها وجلس المدعوون من العراقيين بين الشرفة ومنبر الخطابة

واشتركت المرأة العراقية فى هذه الحفلة فغص جناح السيدات بهن وجللوا منبر الخطابة بالسواد ونصبوا فوقه صورة الملك الفقيد مجللة بالسواد ووضعوا مكبرات الصوت فى جوانب الملعب فسمع أبناء

الشعب الذين ازدحموا فى الأماكن القريبة وقدر عددهم بالألوف كل ما قيل فى الحفلة

وقبل الساعة الرابعة وصل جلالة الملك غازى يحف به رجال دولته وأقطاب حكومته يتقدمهم السيد محمد الصدر رئيس مجلس الشيوخ فرئيس مجلس الوزراء فرئيس مجلس النواب فالوزراء ورجال الديوان فاستقبل النـاس فتى قريش وقوفا فسار الى مقصورته وجلس فى مكانه

وافتتحت الحفلة بعشر من القرآن الـكريم ثم تليت البرقية الواردة من صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى

وألقى أحـد أعضاء لجنـة التأبين كلمتها ثم وقف معروف الرصافى شاعر العراق بلباسه البدوى وأنشد مرثاة بليغة

وتلاه وجيه بيروت الـكبير سليم بك على سلام فألقى خطبة جدد فيها البيعة لجلالة الملك غازى . ثم خطب الأسـتاذ صبرى العسلى باسم شبان دمشق وأنشـد شاعر لبنان الأستاذ بشاره الخورى قصيدته فـكانت درة الحفلة وقد نالت الاستحسان العام قال :

لبست بعدك السواد العواصم واستقلت لك الدموع المآتم

ود لو يفتديك صقر قريش بالخوافى من الردى والقوادم

دارهول المصاب حتى احتوى الكو ن كما دار بالأصابع خاتم

فاذا البحر مثقل الصدر بالاحـ　　زان والافق شاحب الوجه ساهم
واذا أنت لا ترى غير رأس　　مطرق وارم المحاجر واجم
أسندوا «البيت» بالصدور فقدما　　د وخانت جدرانهن الدعائم
وامنعوا «القبر» ان يلم به النا　　عى فينعى الى الرسول القاسم
عرفت قدرك العيون فاغضت　　واستعارت لها عيون الفواطم
فطغى مصرع الحسين على الشر　　ق وشدت على الرماح العمائم
واكتسى مفرق الجهاد جمالا　　بالاكاليـل من ذؤابة هاشم
فيصل العرب أى غمـديك للفخـ　　ر أغمد الندى ؟ أغمـد العزائم
ذاك خدن الربيع فى البلد الظا　　مى وهذا خدن النسور القشاعم
جنتا الملك لا يديلهما الدهـ　　ر اذا قامتا على رأى حازم
فيصل العرب ما المروءة الا　　دمعة الرفق فى جفون المـكارم
سقطت من سمائها للبرايا　　قطرة بين عربها والأعاجم
واستقلت آباؤك الصيد منها　　بالشآبيب حاليات المباسم
فيصل العرب ما هززناك الا　　بالجفون القرحات السواجم
بالمنى الذابلات بالأمل الدا　　مى بشـكل الهوى بفقد المراهم
فهززنا لـمـا هززناك دنيـا　　من جمال وجنة من مراحم
لو أفاد العتاب ملنا على النفـ　　س بمـا لا تطيقه نفس نادم
أخذتنـا الدنيا بمـا زينتـه　　من أمان ونحن بعـد براعم
وعلقتم من عهـدهم بسراب　　كم سموم تحت الشفاه البواسم

هفوة جرها الزمان علينا لا ملوم أنا ولا أنا لائم

ذلك الليل فى السنين الخوالى سوف يغدو فجر السنين القوادم

للتجاريب فى الأمور يداها رب بان ما كان بالامس هادم

ياقصور المنى على شفق الاحـ لام كم مشفق عليك وحائم

أطلعت شمس فيصل منك للعر ب مصابيح من شقوق الغمائم

فلمحنا فى أفقها وجـه هار ون وعصرا مخضباً بالعظائم

وقفت عنده الطوارىء حسرى من مكب على البساط ولائم

وتغنى الفرات بالسؤدد الفخـ ـم وحلى أجياده والمعاصم

وتهادى الزمان عن جانبيه ازلى الشباب نضر الكمائم

أمل طاف بالجزيرة ريا ن طليق الهوى طليق الشكائم

حشد العرب تحت رايته السمـ ـحاء والعدل والعلى والمكارم

واسترد الاجيال من مضر الـ ـحمراء والشعر والحجى والمواسم

أمل كالسماء فى بسمة الفجـ ـر وفى موكب الرياض الفواغم

فر مذ مدت الاكف اليـه كفرار النعيم من كف حالم

قل لتلك العهود فى رهج الحر ب وفى سكرة القنا والغلاصم

قد لمحناك فى عيون الثعالى ولمسناك فى جلود الاراقم

حدثونا عن الحقوق فلما كبر النصر أعوزتنا التراجم

نفحتنا بها الحروب سلاماً ورمانا بها السلام أداهم

قل – وقيت العثار فى ندوة القو م[1] متى أصبح الحليف مخاصم

اين ذاك الهيام فى أول الحـ ـب وتلك الموشحات النواعم

كدت أخشى عليكم تلف النفـ ـس بيان اللوى وظبي الصرائم

علمونا كيف الشفاء من الحـ ـب « فما يستوى جهول وعالم »

واذكروا عهدنا القديم ، فقدما بخل الدهر بالصديق الملائم

ان تحت الصدور جذوة موتو ر وخلف الحدود زأرة ناقم[2]

ليس فى الدهر أول وأخـير فالبداءات كن قبلا خواتم

نسيت نوحها الحمائم فى الدو ح فجاءت تصغى الى الحمـائم

ومن الدوح ما يهزك للعطـ ـف ومنه للدمدمات الهوادم

لا اكتست هذه الحضارة بالحسـ ـن اذا حاكت الـكساء الصوارم

. . .

حدثونا عن يوم فيصل ، عن بغـ ـداد ، عن شمسها وراء الغمائم

وعن البحر من أناس وخيل وعن الأفق من لظى وزمازم

وعن النعش اذ دنا وتدلى من (نزار) فوق الربى والجماجم[3]

قد حملنا الشآم من طرفيها فوق بحر من الأسى متلاطم

وسفحنا فى دجـلة قلب لبنا ن واجفانه الهوامى الهوائم

---

(١) المراد بها جمعية الامم

(٢) اشارة الى المانيا وغيرها من الدول المتوترة التى تتحفز للثأر

(٣) الجماجم السادات والقبائل التى تجمع البطون فينسب اليها دونهم

عربى النجار شد عراه باللوائين عبد شمس وهاشم
خذ بهمس القلوب فى أذن الحـ ـب ودع عنك كاذبات المزاعم

...

حدثونا عن يوم فيصل ، عن بغـ ـداد ، عن فتكة القضاء الغاشم
وعن النسر كيف حلق وانقض مهيض الجناح دامى القوائم
رجة اجفل الكواسر منها ورمى الذعر فى العرين الضراغم
واشرأب الوجود ينظر للنسر على ذروة العروبة جاثم
مد فوق الثرى جناحاً وألقى شامخا ما له من الموت عاصم
حاملا ملء ثوبه من جراحا ت الليالى ومن غبار الملاحم
مطبق الناظرين الا بقايا من شعاع حول المحاجر هائم
ان غفا ناظراه فالروح سهرا ن على العرش فهو يقظان نائم
هكذا مصرع النسور وساد من جلال وقبة من طلاسم

...

ايه فرخ النسور من صلب عدنا ن كفى المشرقين أنك سالم
سر فى رحبة الفضاء من (النسر) هوادى منائر ومعالم
وافتتح بالشباب من جيلك الوثـ ـاب عصر المغامرين القشاعم
يتفانون تحت راية « غاز » عبقرى للمجد لا للغنائم
لو رضيت العيون كانت نطاقا او رضيت القلوب كانت تمائم
لك فى كل ذروة من فؤاد منبر فوقه مصل وصائم

وتتابع الخطباء والشعراء فخطب الشيخان احمد عارف الزين والشيخ احمد رضا باسم جبل عامل فجددا البيعة أيضاً وأعلنا انهما لا يعترفان بهذه الحواجز بين الشام والعراق وخطب الأمير حسن الاطرش أمير جبل الدروز فجدد بيعة بنى معروف لجلالة الملك غازى وأنشد فخرى بك البارودى قصيدة كما خطب الأستاذ نجيب الريس فى اتحاد القطرين وتكلم الدكتور صبحى أبو غنيمة باسم شرقى الاردن وتكلم الأستاذ اكرم زعيتر والأستاذ الشيخ سليمان التاجى الفاروقى باسم فلسطين وخطب الأستاذ على ناصر الدين باسم شباب العرب وأنشد الأستاذ محمد الشريقى قصيدة طيبة وخطب الأستاذ عبد الرازق الداندشى باسم لجنة التأبين فى دمشق فدعا الى اتحاد القطرين وأنشد الحاج عبد الحسين الأزرى قصيدة ، وكانت مسك الختام قصيدة فيلسوف العراق الزهاوى وقد ألقاها وهو جالس وانتهت الحفلة فى الساعة ١٥ : ٦

. . .

وتلقت لجنة التأبين مئات من البرقيات والخطب والقصائد حال ضيق الوقت وكثرتها وتعددها دون القائها فنشرتها جريدة الاخاء الوطنى ووزعتها فى ملحق خاص فى أثناء حفلة التأبين وفى مقدمتها كلمة الكبير الدكتور شهبندر وهذا نصها :

يا اخوانى . يا ابناء عمى وخالى :

ليت هذه الأيدى التى نحاول بها تصوير ما فى أعماق النفس من الاسى على فقيد العرب تنقلب أجنحة فنطير بهـا الى دار السلام مقر الجثمان الطاهر ، لتشاطركم ذكرى الراحل العظيم . ولئن حالت دون وصولنا اليـكم الحوائل فها هى أرواحنا معكم وما يثور فى أنفسكم من الجزع والألم هو نفس ما يثور فى أنفسنا وما تشعرون به من الخسارة الجسيمة ، والـكارثة الاليمة، هو نفس ما نشعر به ولـكنكم عندكم من أسباب العزاء ما ليس عندنا فى العراق خلف للمليك الراحل، مليك نابه يعزيكم ويخفف من بلواكم ، وأما نحن فعلى جمر الغضا نتوقع أخباركم ونتتبع أطواركم ويزيد فى حزننا بعدنا عنكم ، ولـكن لا . . . لا . . . اذ ليس فى بلدان العالم العربى لا مثالنا شعور بالوحدة أو الوحشة لاننا حيثما نزلنا ننزل بين الاهل والخلان وهم ممن يحملون عهـد العروبة المقدس فى صـدورهم ، يشاركونكم فى هـذا المصاب الجلل مشاركة المكلومين ففى كل قلب من مرارته لوعة وضنى (وفى كل دار رنة وزفير)

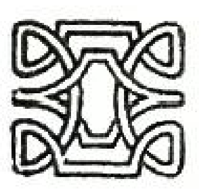
ايه يا ابناء العراق ويا أحفاد من رفعوا رأس العروبة عاليا وساهموا فى الحضارة والثقافة بأوفر نصيب : سيروا على النهج الذى رسمته أنامل المليك الراحل تحت لواء شبله المتحفز لنصرة الحق فقد عقدنا عليه وعلى العاملين من اخوانه من الذين تخرجوا فى المعهد الفيصلى أكبر أمل

وبنينا أفخم الرجاء ، واجتماع كلمتكم وتوحيد جهودكم لتأييد قضية ذاب فيها فيصل بن الحسين كما تذوب الشمعة تنير ظلمة الليل، هو العمل الذي يؤنسه فى وحشته ويصب شآبيب الانتعاش على لحده

لقد وضع المليك الراحل نصب عينيه حياة العرب مبتدئا بالعراق فسار والتوفيق يلازمه مرحلة مرحلة كما تسير الطبيعة فى شؤونها وتدرجها ، وما أغمض عينيه حتى رآكم فى مأمن من الأخطار التى كانت تتهددكم يوم كنا نذكركم فتكاد تهلع قلوبنا لما كنتم تقاسونه فاذكروا اخوانكم وأنتم فى السهل كما كانوا يذكرونكم وأنتم فى الوعر، ولا تنسوا عهودكم المقدسة نحو القطر الشقيق الذي لا تعيشون الا به ولا يعيش الا بكم ، والامم مثل الأفراد تحيا بالأمل وتعلو بسمو الغاية التى تنشدها ، وليس الى قلوبنا معاشر العرب من بعد ما اطمأنت الى ايمان الحق سبيل لقنوط الباطل ، لأن العرب قرروا أن يعيشوا فيا جهل من تحدثه نفسه أن يمنع عنهم أسباب الحياة

وتلقت كذلك برقية مطولة من رئيس المجلس الاسلامى الأعلى بالقدس وكلمة طويلة من الأمير شكيب ارسلان فى سويسرا وقصيدة غراء لفضيلة الأستاذ الكبير السيد محمد الغنيمى التفتازانى بمصر وغيرهم وستصدرها كلها فى كتاب خاص ينشر قريبا

وبالاجمال فقد كانت هذه الحفلة من أعظم الحفلات الوطنية والقومية وأبهاها وقد مثلت فيها البلدان العربية تمثيلا صحيحاً كما اشترك فيها كتاب العرب وأدباؤهم





حفلة التأبين الكبرى التي أقيمت في بغداد يوم الثلاثاء ٢٤ اكتوبر بمناسبة انقضاء أربعين يوما على وفاة الملك فيصل

مأدبة رئيس الوزراء

كان دولة رشيد عالى بك الكيلانى رئيس الوزارةالعراقية أول سابق الى الحفاوة برجال الوفود فقد أدب لهم مأدبة عشاء أنيقة فى قصره العامر مساء الثلاثاء ٢٤ اكتوبر بالفحامين وقد بناه أخيراً على ضفة دجلة ، قرب الأعظمية

وكبير الوزراء سليل أسرة عريقة فى المجد والفضل تتمتع بنفوذ عظيم ومقام كبير لافى بغداد والعراق فقط بل فى العالم الاسلامى كله ولا سيما الهند وأفغانستان فلجده الأكبر الشيخ عبد القادر الكيلانى القطب الأعظم منزلة لا ترام ، ومرتبة لا تدرك

والسيد رشيد هو الكيلانى الثانى الذى يتبوأ المنصب الأول فى الحكومة العراقية فقد كان ابن عمه المرحوم السيد عبدالرحمن الكيلانى نقيب أشراف بغداد رئيس أول وزارة تألفت فى العراق كما كان رئيس الحكومة الوقتية التى قامت بعد الثورة ومهدت للعهد الحاضر واختارت جلالة المغفور له الملك فيصل لعرش العراق فقدمته له بقرار أصدرته يوم ١١ يوليو سنة ١٩٢١

وكذلك الف المرحوم النقيب الوزارة العراقية الثانية والثالثة وكان

فى عصره رجل العراق الأوحـد وزعيمه الأكبر وهو يعد فى مقدمة مؤسسى الدولة الجديدة ورافعى منارها ، ويسير السيد رشيد على سنن ابن عمه فى خدمتها وفى توطيد أسسها

. . .

وللرئيس الشاب مقام كبير فى نفوس قومه ومواطنيه وقد أضاف الى مجد أسرته التليد مجداً طريفا بما تحلى به من أدب جم وعلم واسع جعله محبباً الى كل القلوب مقربا الى جميع النفوس

وقد نشأ دولته نشأة علمية فتخرج فى مدرسة الحقوق العراقية ثم اشتغل فى القضاء والتعليم فكان من خيرة قضاة العراق استقامة ونزاهة وكفاءة كما كان من كبار أساتذة مدرسة الحقوق وقد درس فيها العلوم الجزائية وألف فيها المؤلفات ومعظم شبان العراق من تلامذته ومن الذين تخرجوا على يديه

وانتخب نائباً عن بغداد فى المجلس النيابى الأول سنة ١٩٢٥ ورأس هذا المجلس فى سنته الأولى ثم عين وزيراً للداخلية ثم وزيراً للعدلية ثم اشترك مع ياسين باشا الهاشمى فى انشاء حزب الشعب سـنة ١٩٢٥ وقد أبدل بحزب الاخاء الوطنى سنة ١٩٣٠ ومنه معظم أعضاء الوزارة الحاضرة ومع انه قاطع الانتخابات النيابية فى سنة ١٩٣٠ الا أنه عاد فى آخر لحظة فقرر الاشتراك فيها مرشحاً ثلاثة من أقطابه ففازوا وانتخبوا بالاجماع والسيد رشيد أحدهم . ولـكنهم لم يلبثوا أن استقالوا

من النيابة لاعتبارات رأوها وأذاعوها

واختاره المغفور له جلالة الملك فيصل رئيساً لديوانه العالى فى سنة ١٩٣١ فاضطلع بهذه المهمة على الوجه الاكمل ، وفى يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٢ عهد اليه بتأليف الوزارة الحاضرة فألفها فقوبلت فى العراق وفى البلاد العربية بأفضل ماتقابل به وزارة قومية وطنية تحمل ثقة أمة كاملة ، ومليك ساهر على خير بلاده وتقدمها

وحدثت حوادث الاشوريين فى عهد الوزارة الكيلانية وكان جلالة المغفور له الملك الراحل يصطاف فى أوربا ومعه ثلاثة من أعضاء الوزارة ، فتذرع الرئيس بالحزم والعزم وعالج الأمر بما يجب أن يعالج به فقضى على الفتنة وأطفأ نارها ، ووقى العراق شرها ، وكتب الى مليكه فى أوربا ان كل شيء قد انتهى فلا حاجة الى عودته ورجوعه وليمض فى استشفائه، وفى العناية بصحته، فلم يطق جلالته صبراً فامتطى متن الهواء وجاء ليطمئن على بلاده فوجد الحالة كما وصفت له ورأى أن الحكومة قامت بواجبها على أفضل مايمكن أن تقوم به حكومة وطنية تحرص على أداء واجبها وتحسن خدمة الأمة التى أسند اليها أمرها

وانقضت الكارثة على العراق بوفاة جلالته فلم يهن السيد رشيد ولم يضطرب بل انطلق على الفور فعزى سمو الأمير غازى ثم بايعه بالملك باسم الشعب العراقى

فكان موقفه فى الحالتين من أجل المواقف وأسماها ، فازداد مكانة فى عيون العراقيين ، وازدادوا له حباً ، وحوله التفافا

. . .

هذا هو العراقى الأول الذى احتفى بوفود العرب فى عاصمة العرب فأدب لهم مأدبة فخمة فى حديقة قصره الواسعة الجميلة المنسقة وقد زينت بالأنوار الكهربائية الساطعة فجاءت فتنة للأعين وبهجة للناظرين

وامتازت هذه المأدبة باشتراك قطبي المعارضة فيها ، وكان من حظ كاتب هذه السطور أن جلس طول مدتها اليهما ، وهما جعفر جلبي أبو التمن زعيم الحزب الوطنى والوزير السابق ومولود باشا مخلص العضو فى مجلس الشيوخ وكان أولهما الى يسار دولة رئيس الوزراء يتبادل معه الأحاديث والنكات المستملحة ، ولا يقل العراقى ميلا الى الدعابة والنكتة عن المصرى فهو خفيف الروح حاضر الذهن

وتجلت الدمقراطية العربية وهى شعار العراق الناهض ، فى مأدبة كبير الوزراء فقيل للمدعوين حينما قاموا الى المائدة اجلسوا أنى شئتم وليختر كل منكم مكانه بنفسه فنحن هنا اخوان لا درجات تراعى ، ولا فواصل تفصل . وكان دولة الرئيس فى خلال المأدبة وقد امتدت ثلاث ساعات ، يبالغ فى اكرام ضيوفه ، ويتولى خدمتهم بنفسه شأن عظماء العرب وكرامهم يساعده شقيقه الفاضل كامل بك قنصل العراق

العام فى بيروت وقد رافق الوفد البيروتى فى رحلته الى بغداد

...

والسيد رشيد منتصب القامة ، نحيف الجسم ، أسمر اللون ، جميل الملامح،حلو الحديث،لاتفارقه الابتسامة،يتكلم متأنياً،ويحدث متمهلا، ولا يزال فى شرخ الشباب ومقتبل العمر فهو يحبو الى العقد الرابع ، مع هذا التاريخ الحافل بجلائل الأعمال وعظيمها . ومما استوقف نظرى ان جميع وزراء العراق وأقطابه هم من الشبان النشيطين لايستثنى من ذلك سوى اثنين هما السيد محمد الصدر رئيس مجلس الشيوخ فهو فى العقد السادس وياسين باشا الهاشمى وهو فى العقد الخامس ولعل هـذا من جملة العوامل فى تقدم حكومة بغداد ونموها

سماط الملك غازى

وزع سعادة تحسين بك قدرى رئيس التشريفات فى البلاط الملكى بطاقات الدعوة على رجال الوفود لتناول طعام العشاء « بأمر صاحب الجلالة » فى الساعة السابعة من مساء الأربعاء ٢٥ أكتوبر الماضى على المائدة الملوكية

والبلاط قائم على الطريق الجديد بين بغداد والاعظمية فى جانب الرصافة وينقسم الى جناحين : جناح خاص بالتشريفات والسكرتيرية وآخر خاص بجلالة الملك وهو متسع الجوانب والانحاء تحيط به حديقة واسعة . وبات فى حكم المقرر أن ينقل الى جانب الكرخ حينما يشرع فى بناء « بغداد الجديدة » وقد وضعت تصميماتها وأعدت معداتها كما وضعت تصميمات القصر الملكى الجديد وسيكون فخما عظيما . ومما يستحق الذكر أن قصور الخلفاء فى العهد العباسى كانت فى جانب الكرخ لا فى جانب الرصافة وقد نقلت فى العهد التركى اليه فالرجوع الى الكرخ هو من باب اعادة الشىء الى أصله واحياء لتقاليد الخلفاء من بنى العباس وستبنى المدينة الجديدة على أحدث طراز عصرى فتكون رمزاً للنهضة الجديدة ، فى العراق العربى

ومشت الوفود الى البلاط فى الوقت المضروب فكان رجال التشريفات يستقبلونهم فى الجناح الخاص بجلالة الملك وكان خدم القصر يطوفون عليهم بالسكاير فى علب كبيرة من الفضة ، فتألفوا حلقات وجماعات صغيرة ، لزم بعضها مكانه فى داخل البهو الكبير وانتشر الآخرون فى حديقة القصر ، وقد رصعت بالقلائد الكهربائية فزادتها بهاء ورواء

وفى الساعة السابعة والنصف دعى القوم الى سماط أنيق أقيم فى وسط الحديقة على شكل هلالى ونسق أجمل تنسيق جمع بين الذوقين الشرقى والغربى فقد وضعوا فوقه الأطعمة على الطريقة العربية وهذا بيانها : —

١ ـ أوزى محشو فى صوان كبيرة
٢ ـ سليق ويتألف من الأرز المطبوخ وفوقه اللحم المسلوق
٣ ـ فاصوليا بالزيت
٤ ـ باذنجان منزلة باللحم المفروم
٥ ـ حلوى وفاكهة

وجلس القوم الى المائدة فاختار كل لنفسه مكانه وظل كرسي جلالة الملك خالياً وكذلك كرسي دولة رئيس الوزراء ، ولم يلبث أن أقبل فجلس عليه ثم أقبل جلالة الملك فوقف الجالسون اجلالا واحتراماً

فسار وأمامه الحجاب ووراءه الخدم حتى تبوأ مقعده فى الوسط والى يمينه وجيه بيروت سليم بك على سلام والى يساره السيد محمد الصدر رئيس مجلس الشيوخ وأمامه رئيس الوزراء

وطاف الندل بأطباق الشوربا مبتدئا بجلالة الملك وكانت الأنظار كلها موجهة اليه ، والعيون ترمقه

وكان من حسن حظى أن تشرفت بالجلوس على مقربة من جلالته فسمعت أحاديثه وأقواله ، ودرست حركاته ، وكلها تبعث على الغبطة والارتياح وتدل على ذكاء ورقة ، أعجب بها رجال الوفود وكانوا جد مغتبطين ومرتاحين الى ما رأوه وشاهدوه

. . .

واستهل جلالته الحديث مع السيد الصدر رئيس مجلس الشيوخ ثم التفت الى سليم بك على سلام الجالس الى يمينه وسأله قائلا هل زرت المطار اليوم وهل ركبت الطائرة ؟ فأجيب بالايجاب وأسهب الشيخ عبد القادر الكيلانى وزير الزراعة السابق فى سورية وكان جالساً بقرب سليم بك فى الكلام عن المطار وعما شاهده فيه وقال أنه سيرسل نجله الى بغداد ليدرس فن الطيران فى مدرستها

وتناول جلالة الملك الحديث فقال لقد اشترينا أخيرا ١٢ طيارة من أحدث طراز وأفضله وستصل قريباً وسنعنى عناية عظيمة بالطيران

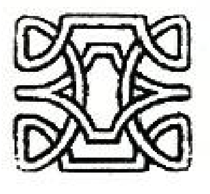
فنعزز أسطولنا الجوى سنويا بطيارات جديدة نضيفها اليه

ثم انتقل الحديث الى الزراعة والزيتون فقال جلالته ان عندنا كثيرا من شجر الزيتون فى منطقة الموصل الجبلية

ودار الحديث على الفاكهة وأنواعها فى العراق والشام فتمنى سليم بك أن توحد البلاد وتزول الحواجز فتكون الشام مصيفا للحكومة ويكون العراق مشتى لها . وقال ان أمنيته الوحيدة فى هذه الحياة ، أن يمثل بيروت فى البرلمان العربى فى بغداد كما مثلها فى البرلمان التركى فى الاستانة ، فابتسم جلالته وكان يدير الحديث بلباقة ، وينقله من موضوع الى آخر ، وما كان يحجم عن تقديم بعض ألوان الطعام بيده الى الجالسين بقربه مبالغا فى مؤانستهم وملاطفتهم ، وأنشد أحد شيوخ جبل عامل أبياتا ارتجلها فى مدحه ، وشبه أخلاقه بأخلاق جده النبى وبعد ما طاف الخدم بالقهوة والسكاير نهض جلالته فنهض القاعدون وشيعوه بالاجلال والاحترام

وكان جلالته يلبس بذلة عسكرية من الخاكى المصنوع فى العراق ويضع شارة ملازم أول فى الجيش العراقى ، ويلبس السدارة العراقية يضعها الى الجانب الايمن ، وفى بنصر يده اليمنى خاتم الخطبة وهو مربوع القامة أقرب الى القصر ، أبيض اللون ، أشهل العينين ، جذاب الملامح ، واضح النبرات ، كثير الابتسام يميل الى المباسطة يسير بخطى متزنة ، ويحيي التحية العسكرية ، أى يرفع اليد الى الرأس

وتوسط البهو الكبير وحوله رجال دولته حينما جاءه ضيوفه يودعونه ويستأذنونه فى السفر فكان يصافح كل واحد بمفرده ويقول لهم ان وصيتى اليكم والى مواطنيكم هى أن تتحدوا وأن تجمعوا كلمتكم



موكب الملك غازى

كان يوم (الأربعاء) ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٢ موعد افتتاح البرلمان العراقى فاغتنمت الفرصة السانحة ويممت داره لأصفها وأشهد ما يدور بين جدرانها

وتعد دار البرلمان من أفخم الدور الأميرية فى العراق وقد بنيت حديثاً لتكون مقراً لجامعة آل البيت ، ولما الغيت هذه الجامعة فى سنة ١٩٣٠ اتخذت ندوة فاختص مجلس النواب ـ ويتألف من ٨٨ نائباً ـ بالقسم الأرضى وقد أعدوا فيه ردهة مستطيلة للجلسات فى صدرها كرسى الرئاسة ، وإلى جانبه الأيمن مقصورة خاصة يجلس فيها جلالة الملك لسماع مناقشات الأعضاء إذا شاء ، وهنالك ثلاث شرفات أمام كرسى الرئاسة للمستمعين والزائرين ، ويجلس النواب فى وسط الردهة صفوفا بعضها فوق بعض بشكل « امفتايتر » كما هو الحال فى البرلمان المصرى ، وان كانت الردهة هنا أصغر

واختص مجلس الشيوخ ـ ويسمونه مجلس الاعيان وعدد أعضائه ٢٥ ويعينون تعيينا بمرسوم ـ بالطابق العلوى ، وينتخب الأعيان رئيس مجلسهم ، لفصل واحد ، بعكس الحالة فى مصر حيث يعين الرئيس بمرسوم ويمثل هذا المجلس طوائف العراق وعناصره

ودار البرلمان فى سهل فسيح من الأرض تكتنفها أشجار النخيل الباسقة وبينها وبين ضريح جلالة الملك فيصل الأول بضعة أمتار ويفصل بينهما الطريق ، ولا تبعد كثيراً عن مرقد الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان . ومما عرفته أن الحكومة قررت بناء صرح فخم فى جانب الكرخ ليكون مقراً لنواب الامة وممثليها ومكانا لاجتماع هيئتها التشريعية

ولا تقل المسافة بين البلاط الملكى والبرلمان وكلاهما قائم فى الشارع الجديد بين بغداد والاعظمية عن كيلو مترين حفلت من البكور بالجند الذين جاءوا من ثكناتهم واصطفوا على جانبيه ليحيوا جلالة الملك فى ذهابه ورجوعه

وفى الساعة ٥٥ : ٩ غادر جلالته القصر تتقدم موكبه ثلة من فرسان الحرس الملكى الرماحة ، ويحمل كل واحد من رجالها رمحا ركب فى رأسه علما ذا لونين « أخضر وأسود » ويلبس جندى الحرس سترة بيضاء وبنطلونا من الجوخ الأزرق وعلى جانبيه شريط أحمر ويعتم بالفيصلية ولونها أبيض أيضاً

وتقدم الموكب مدير الامن العام فى سيارة خاصة تلتها سيارة محافظ بغداد (أمين العاصمة) والمتصرف فسيارة السيد باقر التشريفاتى فسيارة على جودة بك رئيس الديوان العالى وتحسين بك قدرى رئيس التشريفات ثم سيارة جلالة الملك وهى مكشوفة وقد جلس منفرداً

وأمامه ياوره العسكرى ، فثلة من الحرس يوا كبونه وازدحم النـاس على طول الطريق لمشاهدة موكبه وتحيته

وحيته ثـلة من جنود الفوج الثـانى عشر اصطفت أمام دار البرلمان مع موسيقاها وكانت هنالك أيضاً موسـيقى الجيش واستقبله عند نزوله من السيارة رئيس الوزراء والوزراء فصافحهم ، ومشى وبين يديه الحجاب والوزراء والمستقبلون وانضم اليهم فى وسط السلم السيد محمد الصدر رئيس مجلس الشيوخ ، الى المقصورة الملـكية فاستراح فيها دقائق ثم اخترق ردهة الاجتماع بخطى ثابتة حتى العرش فاعتـلاه ، وألقى بصوت جهورى سمعه جميع الحاضرين حتى الذين كانوا فى أقصى الشرفات خطاب العرش وهذا نصه :

حضرات الاعيان والنواب

فى هذه اللحظة التى نقف فيها أمامكم مفتتحين بعون الله القدير مجلسكم العالى، تتجه بنا الذكرى الاليمة الى مؤسس كيان هذه المملـكة وبانى مجدها المرحوم والدنا ووالد الامة جميعاً، تغمد الله روحه برحمته وأسكنه فسيح جناته

لقد رحل عنـا بعد جهاد طويل مستمر ، لم يدخر فى خدمة هذا الوطن العزيز لا راحة ولا صحة فذهب ضحية الواجب تاركا لنا من تاريخ حيـاته الحافلة بالاعمال الجسام، والآمال العظام، مثلا أعلى هو المعين الذى نستمد منه النشاط والقوة على تحقيق مناه وتتبع خطاه فى

السير بامتنا المحبوبة الى الأمام دائما الى الأمام . لقد تلقى دعوة ربه مرتاحاً موصياً بالاتحاد والقوة وانه سيلاقى وجه ذي الجلالة بضمير مرتاح

أيها السادة

ان صلاتنا مع الدول كافة سائرة على حسن التفاهم والولاء وان تنمية هذه الصلات وتقويتها لمن أخص آمالنا . لقد كان للزيارة الأخيرة التى قام بها المرحوم فقيد الأمة الى صاحب الجلالة الملك جورج الخامس وما تظاهر لمناسبة تلك الزيارة من عواطف الولاء والمحبة المتقابلة أجمل أثر فى توثيق عرى الصداقة بين قلوب أبناء المملكتين المتحالفتين . كما أن نتائج أعمال الوفد الوزارى الذى ذهب الى لندن وجنيف كانت مما يبعث على الارتياح

لقد أخطأ بعض الأشوريين فى فهم مقاصد حكومتنا فأثاروا فتنة اضطرت بسببها حكومتنا الى تأديبهم ولا شك فى أن الانتباه العظيم الذى أظهره الشعب فى أثناء هذه الحادثة المؤسفة كان أكبر عبرة لمن تحدثه نفسه بالاساءة الى سلامة هذا الوطن ووحدته

لقد أثمرت المساعى التى بذلها وفدنا فى جنيف حول تسفير هؤلاء الى خارج العراق والأمل قوى بأن تتم الترتيبات لانفاذ هذا المشروع فى القريب العاجل

أيها السادة :

ان الهدوء والسكينة مستتبان والحمد لله فى أنحاء المملكة وستقدم الوزارة الجديدة عند تأليفها برنامجها ولا نشك فى أن الجميع مدركون أهمية الظروف الحاضرة وباذلون ما فى وسعهم لاعلاء شأن البلاد وايصالها الى المستوى اللائق بها بين الأمم

وندعو الله تعالى أن يسدد خطواتكم وأن يوفقكم فى أعمالكم »

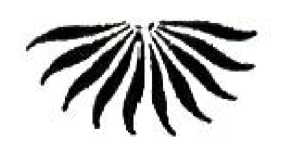
ولقد ظهرت علائم الاضطراب والتأثر فى صوته حينما أشار إلى فاجعته وفاجعة الأمة العراقية بوفاة مؤسس ملكها . واستقبله البرلمان وشيعه وهو واقف وودع بمثل ما استقبل من الحفاوة

. . .

واشتركت فصائل الفوجين الثانى والثانى عشر المشاة فى هذا الاحتفال كما اشتركت فيه « كتيبة الهاشمى » للفرسان وعلمها أسود دون بقية الأفواج الأخرى، وعلمها أخضر،ومع أنهم أطلقوا على الفوج الاول اسم موسى الكاظم الا أنهم عدلوا عن هذه التسمية بعد ذلك مكتفين بالرقم ويسمون الثكنات العسكرية باسم كبار الصحابة الذين فتحوا العراق فهنا لك ثكنة سعد بن أبى وقاص وثكنة خالد بن الوليد وقتيبة وحبذا لو استمروا فى السير على هذه الخطة فى تسمية الافواج لما فيها من الفوائد الادبية

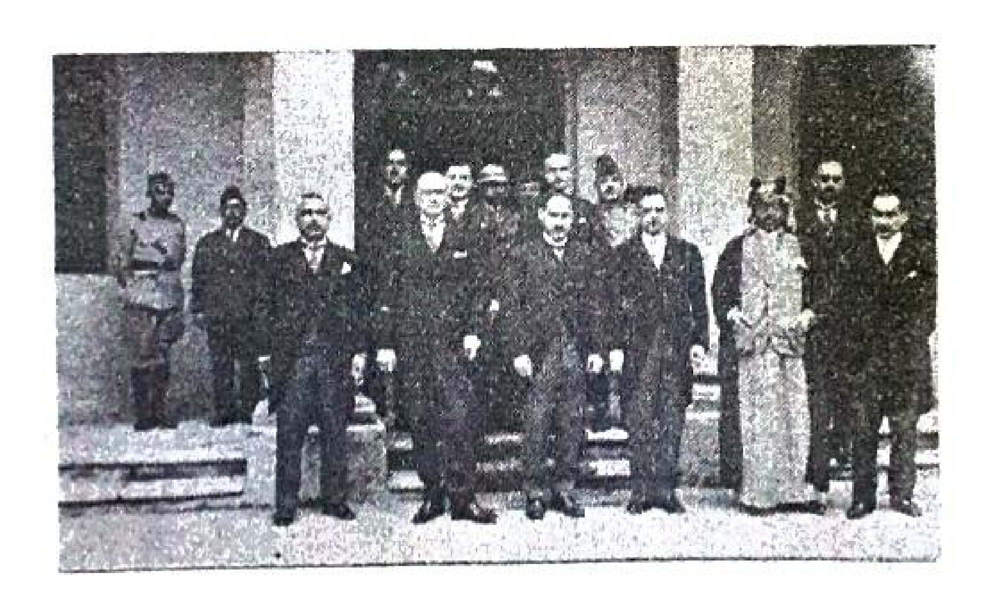
ولباس الجيش العراقى من القماش الخاكى ويوحى منظر الجند

العراق بلباسه النظيف وهندامه المتقن ونظامه البديع الثقة فى النفوس والاعتقاد بأن هذه الأمة لم تفقد الروح الحربية ومعظم رجال الجيش من أبناء القبائل العربية النازلة على الفرات يأتون بهم من منازلهم ونجوعهم ، فيدخلونهم مدرسة خاصة أعدوها لتعليمهم القراءة والكتابة ، وتدريبهم على الفنون الرياضية وبعد أن يجتازوا هذه الدورة ينقلون الى الجيش ، وهو أشبه بمدرسة ويضع كل جندى يحمل فوجه وسام الرافدين ، قطعة صغيرة من الجوخ الاحمر فى الجانب الايمن من الفيصلية تميزا له عن الافواج الاخرى العاطلة من هذا الوسام ويعنون كثيراً بتنظيم جيشهم وتدريبه ويعلقون عليه آمالا كبيرة





جلالة الملك غازي يتلو خطاب العرش والى جانبه
رئيس الوزراء



هيئة الوزارة الكيلانية

شباب العراق والوحدة العربية

أقام شباب العراق أصيل الجمعة (٢٥ اكتوبر) حفلة تأبين للراحل العظيم فى فندق الهلال أعلنوا عنها فى الصحف وأباحوا للجميع حضورها

ومثل الشباب العراقى أفضل تمثيل فى حفلته هذه - وفى العراق شباب ناهض متحمس عرف بميله الشديد الى طلب العلم وكثرة اقباله على المطالعة ، فسوق الكتب والصحف والمجلات رائج فى العراق ، والحركتان العلمية والأدبية فى تقدم مستمر

ولم يزج الشباب العراقى بنفسه فى معمعان السياسة الحزبية كما هو الشأن فى بعض الأقطار العربية الاخرى حيث انصرف البعض عن متابعة دروسه الى تأييد أشخاص أو مناصرة أحزاب مما لا أثر له فى العراق تقريبا ، وان كان الامر لا يخلو من عطف يظهره بعضهم على حزب أو فئة أو ميل يميله الى جهة من الجهات ويمكن القول ان اهتمام القوم هنا بالسياسة أقل من اهتمام البلدان العربية الاخرى بها ، ولعل

منشأ ذلك أن للعراق كيانا ثابتا ، ونظاما موطدا ، ولا أثر لذلك فى تلك الاقطار

...

وتلق فكرة الوحدة العربية أو القضية العربية تأييداً وعطفا من العراقيين كافة على اختلاف الاحزاب والهيئات لا فرق بين الشبان والشيوخ ، والكبار والصغار . واذا كان هنالك اختلاف فعلى الطرق والاساليب وعندى أنه آن الاوان للنظر فى وضع الاساليب والطرق التى يجب السير عليها فى المستقبل ، بعد هذا النجاح والتأييد الذى تلقاه الفكرة فى كل مكان

ولا تجد السياسة الاقليمية أنصاراً فى هذه البلاد اذا لم نقل ان الكل ينفر منها ، ويعتقد بضررها ولا يخفى أنها طارئة على بلاد العرب فقد عمل رجال العرب قبل الحرب العظمى باسم العرب فقط من دون نظر الى الاقطار والاقاليم فكانت جميعاتهم وأحزابهم فى الاستانة وغيرها تضم العراقى والسورى والفلسطينى والحجازى والطرابلسى يعملون تحت راية واحدة هى راية العروبة ، لتحرير العرب ، وانشاء الدولة العربية الكبرى ، ولم يرتفع رأس السياسة الاقليمية الا بعد اعلان الحرب العظمى ، أى بعد ما اتصل العرب بالأجانب واحتكوا بهم وعملوا معهم فى الثورة الكبرى ؛ فقد اوجس هؤلاء شراً من

اتحاد العرب ففرقوهم باسم الأقاليم . وتجلت هذه السياسة بأجلى مظاهرها فى أواخر عهد الحكم الفيصلى بدمشق ، وبعد انتهائه فقد أقصت الحكومة الجديدة التى تألفت بعد ميسلون من كان من العراقيين فى خدمة الحكومة السابقة ، وما كان عددهم بقليل ، فغادروا سورية عائدين إلى بلادهم واشتركوا فى انشاء الحكومة الجديدة واليهم يعود جانب من الفضل فى بلوغ ما بلغته من قوة ومنعة

وسرى فى أذهان بعض الساسة السوريين أن مصدر النكبة التى حلت بقطرهم هو سيرهم على سياسة قومية واسعة النطاق ووهموا أن العدول عنها قد يساعد على اصلاح الحال فنفضوا يدهم منها منادين ان سورية للسوريين وكانت النتيجة ان مزق الفرنسويون سورية الى خمس دويلات أقاموها هنا وهنالك ليسهل عليهم حكمها وليسيطروا عليها مباشرة ولا تزال السياسة السورية بين جزر ومد ولا يزال السوريون يناضلون لاعادة بلادهم موحدة كما كانت من قبل . فقد برحت بها التجزئة واستنزفت مواردها بما استلزمته من نفقات لا مسوغ لها ، ومع ان عدد سكان العراق لا يقل عن عدد سكان سورية اذا لم نقل أنهم أكثر (فقد سمعت أحد الفضلاء يقول ان سكان العراق لا يقلون عن أربعة ملايين

فى الوقت الحاضر وان معظمهم يحجم عن تسجيل أبنائه فى سجل المواليد مراعاة لتقاليد قديمة باليـة) فنفقات العراق العمومية سنويا لا تزيد على أربعة ملايين دينار أى سـتة عشر مليون ليرة سورية فى حين أن نفقات سورية السنوية تبلغ ٤٠ مليون ليرة سورية أى أكثر من ضعفين وما ذلك الا بسبب التجزئة ، وفى خزينة العراق اليوم من الاحتياطى ما لا يقل عن مليون ونصف مليون دينار فى حين أن الخزينة السورية فارغة خالية ولو لا ما تقدمه لها المفوضية العليا من أموال لما استطاعت دفع رواتب موظفيها

. . .

وهبت على بلاد الشام فى الأيام الأخيرة نفحة جديدة وقام بعض رجالها وشبانها ينكر على دعاة السياسة الاقليمية سياستهم ويقول انها أنتجت أشأم النتائج فلم تثمر فى خـلال خمس عشرة سـنة ثمرة . وفى دمشق اليوم نضال عنيف بين أنصار هذه السياسة وخصومها يدركه زائرها لأول وهلة ويصلى الآخرون الأولين ناراً حامية من الانتقاد لأنهم يقولون بالمفاوضة لحل المشـكلة السورية. ويلوح لى أن الفوز سيكون فى النهاية فى جانب أنصار فـكرة الوحدة العربية وتلقى تأييداً فى كل مكان فقد تنبه الناس من غفلتهم وأدركوا أن السياسة الاقليمية لم تك سوى شرك نصب لاصطياد هذه الأقاليم فصادها، وأدى الى بسط

استعبادها ولا ريب أن اليقظة الجديدة ـ ويشهد زائر بلاد العرب أثرها فى كل مكان وخصوصا فى العراق وبين شيبه وشبانه ـ كفيلة بالقضاء على تلك السياسة والتخلص من أنصارها وانشاء مجد جديد يضاف الى المجد القديم ومبدأ طلعة البدر الهلال



جلالة الملك على

ـ هيا

ـ الى أين ؟

ـ الى خان الشيخ ضارى [1]

ـ ولماذا

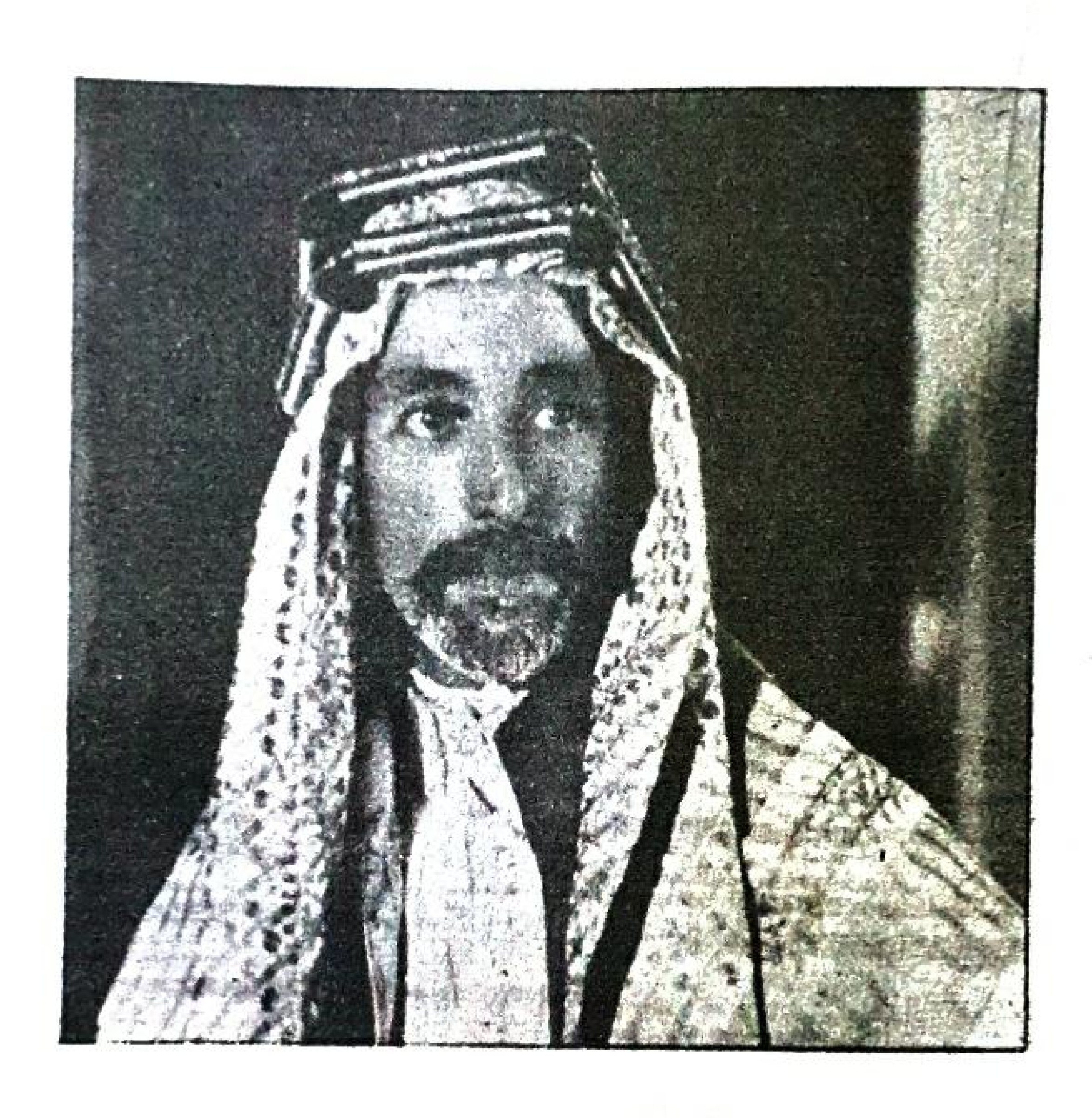
ـ لقد تقرر وصول جلالة سيدنا الملك على الى بغداد بعد ظهر اليوم وسيكون الاستقبال الرسمى فى قصر الحارثية . وقد رأيت وبعض اخوانى أن نذهب الى خان ضارى فاعددنا سيارة وجئناك لتذهب وتشترك معنا فى اداء هذا الواجب

ـ تفضل !

لقد دار هذا الحديث بينى وبين حضرة الشيخ عبد الرءوف الصبان الصديق القديم والسكرتير الخاص لجلالة الملك على فى بهو فندق مود وامتطينا على الأثر السيارة فدرجت بنا وكانت سيارات المستقبلين منتشرة على طول الطريق بين بغداد والحارثية وخان ضارى فى مسافة

---

(١) يبعد عن بغداد ٣٢ كيلو مترا من جهة الغرب وهو فى منتصف الطريق بينها وبين الفلوجة



آخر رسم فوتوغرافى لجلالة الملك على

لا تقل عن ٣٠ كيلو مترا تحمل رجال الدولة وأقطاب العراق وكبار شيوخه وزعمائه وكتابه وأدبائه

. . .

وفى الساعة ٢٠ : ٢ وصل موكب جلالة الملك الى خان ضارى تتقدمه سيارة الشرطة وتتلوه سيارات المستقبلين وقد ركب جلالته فى سيارة فاخرة والى جانبه متصرف الرمادى وأمامه الدكتور الحسينى باشا طبيبه الخاص فتسابق المستقبلون الى لثم راحته . وقدمنى الشيخ عبد الرءوف الى جلالته فرحب بى وقال :

أظن ما تقابلنا قط قبل الآن . شرفتم يا أستاذ . تفضلوا واركبوا

ودلفت بنا السيارات الى قصر الحارثية وعددها يتزايد على طول الطريق بما ينضم الى الموكب من سيارات المستقبلين

وبلغ الموكب قصر الحارثية فى الساعة الثالثة تماماً ومشى بين صفين من الشرطة الفرسان والمشاة حتى ساحة القصر فترجل جلالة الملك على فكان جلالة الملك غازى أول مستقبل فتعانقا طويلا ثم مشيا الى بهو القصر فدخل المستقبلون من كبراء العراق وسادته مسلمين ومصافحين . ولما انتهت مراسم الاستقبال قصد جلالة الملك على قصره فى كرادة مريم (جانب الكرخ من بغداد) على ضفة دجلة تحيط به غابات النخيل الباسقة وتكسوه حلة من الجمال والبهاء .

ويتمتع جلالة الملك على بمقام عظيم فى بغداد لا بصفته عميد البيت الهاشمى وكبير أمرائه بل بجاذبيته القوية وآدابه العالية ومزاياه الرفيعة ودمقراطيته وتواضعه ولينه وميله الى الأدباء فقل أن يخلو مجلسه ليلا أو نهاراً من عالم أو أديب أو كاتب كما ندر أن يخلو قصره من قاصد أو لاجىء فهو منهل الوراد وكعبة القصاد

وترددت على قصر جلالته مدة اقامتى فما رأيته خالياً من زائر . فهذا رشيد عالى بك الكيلانى رئيس الوزراء السابق ومعه حكمت سليمان وزير الداخلية السابق جاءا للسلام على جلالته . وهذا جعفر جلبي أبو التمن رئيس الحزب الوطنى والزعيم السياسى الكبير جاء يزوره ، وهـذا سفير بريطانيا ، وهذا مفتى بغـداد ومن عادة فضيلته أن يأتى القصر أصيل كل يوم ويظل حتى أذان المغرب وبعد أن يصلى بجلالة الملك جماعة يعود الى مدرسته فى الشيخ (جامع الشيخ عبد القادر الكيلانى) ليلقى درساً على تلاميذه فى الأصول (وقد اعتاد أن يقرأ لهم بين الصلاتين) وهذا مدير الأوقاف العام وهؤلاء شيوخ ونواب جاءوا للثم راحته ، وهذه ثلة من أعضاء مجلس النواب وهكذا كلما ذهب فوج جاء فوج وكلما خرج أناس جاء غيرهم لا فرق فى ذلك بين الصبح والمساء والظهر والعصر فأبواب القصر مفتتحة على الدوام ، وهو يغص بزائريه ويرحب بقاصديه

وجلالة الملك علىّ على أبواب الستين ، منتصب القامة ، نحيل الجسم

أبيض اللون ، يلبس الملابس العربية الحجازية وهى عبارة عن قفطان من الحرير فوقه جبة ويتمنطق بخنجر مذهب ويعتم بكوفية وعقال ، دائم الابتسام ، كثير الحركة ، جم النشاط ، يتتبع الحركات السياسية والعلمية والاجتماعية فى الشرق الأدنى باهتمام ، ويقرأ الصحف ويطالع الكتب الجديدة ويقتنيها وفى قصره مكتبة كبيرة تضم نفائس الكتب على اختلاف أنواعها وفنونها وقد صار يحسن التكلم باللغة الفرنسوية فضلا عن اجادته اللغة التركية

ولأول مرة زار جلالته أوربا فى هذا العام فقصد برن وأقام فيها متداويا حتى وقعت الواقعة الكبرى بوفاة المغفور له شقيقه الملك فيصل فرافق جثمانه الغالى حتى بغداد ثم عاد الى أوربا ثانية للعناية بصحته وقد انتكست بسبب هذا الرزء فقصد فرنسا للاستشفاء بمياهها المعدنية ثم هبط باريس لاستشارة أطبائها فعاد وهو ممتلىء صحة ونشاطا نرجو له دوامهما

وجلالته معجب كل الاعجاب بمدنية أوربا وبما بلغته من تقدم وبما يسود بلادها من نظام ورقى ويرى ان من مصلحة العرب أن يسيروا سيرها ويقتدوا بها ويأخذوا بالأصلح والأفضل من مدنيتها وهو محب للرقى والتقدم ميال للاخذ به

العمران فى بغداد

كانت الصورة المرسومة فى ذهنى لبغداد قبل أن أزورها تمثلها قرية كبيرة خالية من وسائل الحضارة والمدنية ، مجردة من معدات الراحة ، وقد محيت عناصر هذه الصورة تدريجاً منذ ما دخلتها، وجلت فى أنحائها ، وطفت ضاحيتها ، وأشرفت على الحركة العمرانية الواسعة النطاق فى أرجائها

والواقع أن بغداد لم تكن فى العهد التركى سوى قرية كبيرة خالية من كل ما تحويه المدن الكبرى فلا طرق معبدة ولا شوارع واسعة ولا ماء مقطر ولا كهزبائية للاستصباح والتهوية ولا فندق عصرى ولا مدرسة وانما هنالك مدينة ضيقة الشوراع متلاصقة البنيان على مثال طراز المدن فى القرون الوسطى ليس لمخزن من مخازنها المتعددة واجهة مصنوعة من زجاج يجد الذباب فى بيوتها ومخازنها مرتعاً خصباً فيها جمها بملايينه ويسد الأفق بجيوشه كما يملأ الغبار الأنوف والعيون

ويمكن القول أن تقدم العمران فى بغداد ابتدأ منذ انارتها بالكهرباء بعد الاحتلال فقد أدرك سكانها أن فى استطاعتهم الاستغناء بها عن السراديب وكانوا يحفرونها تحت الأرض ويلجأون اليها أيام اشتداد

القيظ فتقيهم لفحاته وضرباته . ومعنى ذلك أن المروحة الكهربائية الجديدة حلت محل السرداب القديم فانصرف الناس الى بناء البنايات الفخمة الرائعة على شواطىء دجلة وفى الضاحية معتمدين ، فى التهوية واتقاء الحر ، على المروحة الكهربائية فأغنتهم عن السرداب كما قلنا فكان ذلك مبدأ هذا التحول العظيم فى داخلها ، ومقدمة هذا العمران المستبحر فى أرجائها وضاحيتها ويكاد ينشىء منها مدينة عصرية منظمة يرجى أن تصبح فى المستقبل القريب عروسة مدن الشرق الأوسط فتستعيد ما كان لها من عز وعظمة فى عهد الخلفاء العباسيين يوم كانت عاصمة الشرق كله ، اليها تضرب أكباد الابل وفى رحابها ينزل العلماء والأدباء والمفكرون ، والمورد العذب كثير الزحام .

وأول شارع أنشىء فى بغداد على الطراز الحديث هو شارع الرشيد ويخترقها فى خط مستطيل من الشمال الى الجنوب وعلى جانبيه المخازن الكبيرة والفنادق الجديدة والمطاعم والمقاهى فهو حركة بغداد الدائمة ويكثر الازدحام فيه عادة بعد الظهر فيضيق على رحبه بالسيارات والمركبات فتتلاصق تلاصقا يملأه من أقصاه الى أقصاه ويأتى بعده شارع السموأل وهو شارع التجارة والمال وقد قامت على جانبيه البنوك والبيوت المالية الكبرى ، ثم شارع المأمون فشارع المستنصر فشارع السراية وكلها جديدة وكلها فى جانب الرصافة حيث دور

الحكومة وبعض دور السفارات والقنصليات الأجنبية

وينتهي شارع الرشيد من جهة الشمال بميدان فسيح قامت الحدائق على جانبيه وتتفرع عليه ثلاثة شوارع فالى الغرب شارع المجيدية وهو من أكثر أحياء بغداد عمرانا ويبتدىء بحديقة سميت باسمه وهى واسعة شاسعة والى الشمال شارع الأعظمية (نسبة للامام الأعظم أبى حنيفة النعمان) وقد كانت حتى انتهاء العهد التركى تبعد عن بغداد نحو ٥ كيلو مترات ، كان السالكون يسلكونها على ظهور الحمير فى طرق ضيقة ابان العهد التركى أما الآن فتصلها ببغداد طريق معبدة رصفت بالأسفلت عرضها ٢٠ متراً قامت على جانبيها بنايات جميلة وقد ساعد شق هذا الطريق على انتشار العمران فى الأعظمية فأقبل الناس على توطنها فشقت فيها شوارع واسعة وبنيت فيها بنايات جميلة وتتصل بالعاصمة بسيارات كبيرة (أوتوبوس) يسمونها هنا « باصات » تروح وتغدو ليلا ونهاراً والأجرة خمس مليمات . وفيها ضريح الملك فيصل ، والى الشرق شارع نورى السعيد وهو واسع رحب

وينتهي شارع الرشيد من الجنوب بميدان واسع فسيح تتفرع عليه شوارع فالى الغرب نهر دجلة وقد قامت على جانبه البنايات فى شارع يسمونه شارع أبى النواس وعرض هذا الشارع ٢٠ مترا وهو شبيه بشارع الكورنيش فى الاسكندرية والى الشرق شارع جديد واسع هو شارع سعد وينتهي بميدان فسيح نصب فى وسطه تمثال عبد المحسن

السعدون رئيس الوزارة العراقيـة المنتحر والى شرقه حديقة الأمير غازى والى جنوبه شارع السعدون وعرضه ٤٠ ياردة وتتوسطه الأزهار ويتصل بحى الهنيدى وقد أنشأه الانـكليز بعد احتلالهم على آخر طراز وفيه مطارهم اليوم وسيسلمونه الى الحـكومة العراقية سنة ١٩٣٥ وفيه أيضا المطار العراقى . وينتهى هذا الشارع بالـكرادة وهى حى جديد شبيه بالأعظمية أنشىء حديثا . ويضم بنايات جميلة جدا

ويتفرع عن شارع الرشيد أيضا شارع الملك غازى الأول وهو فى الجهة الجنوبية وعرضه ٤٠ ياردة

. . .

هذا وصف موجز للرصافة فى الوقت الحاضر يضاف اليـه أن فى « أمانة العاصمة » مشروعات لتشجير أرباضها ولا سيما الناحية الشرقية منها يقوم على غرس ما مساحته ٥٠٠ فدان من الأراضى لتحسين المناخ وتعديل الجو وسينفذ تدريجا . أما الـكرخ فهو فى الضفة الغربية لدجلة ويناوح الرصافة وبينهما جسران الأول جديد وقد أنشىء فى سنة ١٩١٨ وسمى باسم الجنرال مود ويتألف من زوارق شد بعضها الى بعض وهو منخفض عن مستوى الأرض ويرتفع طبقا لحالة الماء وأما الثانى فهو قديم ويسمونه جسر الميدان ، وقد قررت الحـكومة انشاء جسرين جديدين على الطراز الحديث مكان القديمين وسيبدأ العمل بهما فى هذه السنة كما قالوا

وكلا الجانبين « الـكرخ والرصافة » مستقل عن الآخر ولـكل

منهما أسواقه وشوارعه ومقاهيه بل ومدارسه ، وفى الكرخ قامت محطة سكة الحديد ومطار بغداد الجديد وجمركها ومعنى ذلك أن القادم من الجنوب والشمال والغرب يصل الى الكرخ أولا وبعد ما يجتاز المحطة والجمرك أو المطار يدخل شارع الملك فيصل وهو من أجمل شوارع بغداد الجديدة ولا يقل عرضه عن ٤٠ ياردة ، وقد قامت على جوانبه الأشجار وزرعت فى وسطه الزهور والورود على مثال الشوارع الحديثة فى العواصم الكبرى (بولفار) وفى وسط هذا الشارع نصب تمثال الملك فيصل بملابسه العربية وقد تقلد سيفه وتمنطق بخنجره وهو يمتطى جواداً عربياً وقد وجه وجهه نحو الغرب أى نحو بلاد العرب

ويتفرع عن هذا الشارع وقد قامت على جانبه حديقة كبيرة اسمها حديقة الكرخ ، شارع موسى الكاظم وهو شارع قديم طويل ضيق أصلحته الحكومة الجديدة بعض اصلاح وينتهى عند محطة الترامواى ويصل بغداد بالكاظمية وقد أنشىء فى عهد مدحت باشا وتجره الخيل والمسافة بينهما ٧ كيلو مترات · وفى الكاظمية مشهد موسى الكاظم وهو من أعظم مشاهد آل البيت فى العراق وأفخمها والى جنوبى شارع الملك فيصل شارع الملك على وتقوم على جانبيه بنايات جميلة والى اليسار جسر مود ودجلة . والكرخ أقل عمرانا من الرصافة ، على أن الحال قد يتبدل اذا نفذ مشروع بغداد الجديدة وستبنى فى الكرخ وقد كانت عاصمة العباسيين فتنقل اليها دور

الحكومة وقصورها ودواوينها ، ودور السفارات وفيـه الآن دار السفارة البريطانية ، وقصر الحارثية وقصر الزهور وقد بدأوا بانشائه واعـداده لنزول الملوك والعظماء وينتهى قريباً وهو عـلى مقربة من قصر الحارثية

وقد جاء فى بيان رسمى أنه بلغ عـدد ما أنشئ من الدور الجديدة فى بغداد خلال الفترة المنقضية بين سنة ١٩٣٠ والسنة الحاضرة ٣٨٧٩ داراً وكذلك أنشىء فى خلال الفترة الممتدة من سنة ١٩٢٦ ـ ١٩٣٠ ما يقدر بـ ١٢٠٠ دار وطول بغـداد من الشمال الى الجنوب لا يقل عن ٢٥ كيلو متراً

وفى بغداد حدائق كثيرة كلها جـديدة وهى : المجيدية والمعرض والأمير غازى والـكرخ والزوراء والامانة والمعظم والأخيرتان لطلاب المدارس وحديقة الاطفال وهى للاطفال

ويبلغ طول الطرق الجديدة المرصوفة فى داخلها وحولها (فى المنطقة البلدية) ٥٠ كيلو مترا يتفاوت عرضها بين ٨ و ٤٠ ياردة وما كان هنالك كيلو متر واحد معبد أو مرصوف لا فى داخلها ولا حولها فى العهد التركى ولو لم يول مدحت باشا ولاية بغداد سنة ١٢٨٦ أى فى أيام السلطان عبد العزيز لما بقى للترك فى هذه الديار أثر يذكر الناس بهم فـكل ما هنالك من بنايات حكوميـة ومن بقايا عمران ودور هو مما بناه ذاك المصلح فى خلال حكمه القصير

المتحف العراقى

كل ما فى العراق جديد ، فالصحافة جديدة ، والمطابع جديدة ، والمتحف جديد لا يزال فى دور النمو والتكوين وهو من ثمرات النهضة الجديدة التى تعم العراق وتشمل مرافقه

والعراق من أغنى بلاد الله بآثاره التاريخية وبعادياته فقد قامت فيه دول عديدة قبل التاريخ وبعده وتقلبت فيه شعوب وحكومات مختلفة بادت وانقرضت تاركة فى جوف الثرى آثارا تسجل لها الخلود والدوام

واتجهت أنظار علماء التاريخ القديم ومحبى الاكتشافات الى هذا القطر بعد النهضة العلمية الجديدة فجاءت وفودهم باحثة منقبة كما جاست بعثاتهم العديدة خلال الديار وانتشرت فى كل مكان تحفر وتنقب فكانت هنالك بعثات انكليزية واميركية والمانية ، ويمكن القول أن الالمان ، وقد عرفوا كيف يستغلون صداقتهم للسلطان عبد الحميد ولا سيما بعد نيلهم امتياز سكة حديد بغداد الشهير ، وانتشار نفوذهم فى داوئر تلك الامبراطورية ، يملكون أعظم مجموعة نفيسة من آثار العراق وعادياته فقد انتشرت بعثاتهم وطاف رجالهم البلاد باحثين منقبين فكانت لهم بعثة فى سامراء تنقب بين قصور

الحلفاء وأخرى تنقب فى كيسن بين أطلال بابل القديم وثالثـة فى نينوي تنقب بين آثار الأشوريين وغيرها فى شرقاط وهكذا نبش الالمان آثار العراق وكنوزه واستخرجوا نفائسه الغالية وهى تزين متاحف بلادهم ودورهم الأثرية

وحل الانـكليز محل الالمان بعـد الحرب العظمى فأرسلوا البعثات وسيروا علماء الآثار للبحث والتنقيب ولم يمتد هذا العهد أمتداد العهد الألمانى اذ قامت فى البـلاد حكومة وطنية قومية تحرص على استبقاء آثار الأسلاف والأجداد وتأبى أن تفرط فيها وقد أسرعت فأنشأت فى سـنة ١٩٢٣ المتحف العراقى وهو الاول من نوعـه ليضم الآثار والنفائس ، ويصونها من التلف والضياع

وفى العراق اليوم بعثات مختلفة تبحث وتنقب فنى اورالـكلدان بعثة لجامعة بنسلفانيا (الولايات المتحدة) تعمل تحت اشراف المتحفين الاميركى والبريطانى برئاسة الاسـتاذ ورلد وفى الشمال بعثة ايطالية تنقب فى تيلا باشراف جامعة فلورنسا وهنالك بعثات أخرى وتخضع كلها لنظام العاديات الجديد وهو يقضى بأن يقتسم المتحف العراقى والبعثة ، الآثار المكتشفة اذا كانت مزدوجة ـ طبقا لما هو متبع فى مصر ـ ومع أن هنالك رجالا يشرفون على أعمال البعثات من قبـل الحكومة فلا تزال الشكوك تحوم حولها ، ويميل العراقيون الى عـدم السماح لها بالعمل ريثما ينشأ بينهم علماء يتولون الحفر والتنقيب

والمتحف العراقي في بناء متوسط خاص به في شارع الجسر الشمالي ويتألف من طابقين ففي الطابق الارضي غرفتان متسعتان يصل بينهما باب داخلي وفي احداهما آثار جلالة الملك فيصل ومخلفاته ومكتبه وسيارته الصغيرة وأسلحته وكل ما يتصل بتاريخه ومواقفه . أما الغرفة الاخرى فخاصة بالآثار العربية القديمة على اختلاف أنواعها

ويتألف الدور الاعلى من خمس غرف : فالغرفة الاولى خاصة بأدوار الاغريق والفرس والساسانيين وفيها كثير من نفائس الآثار وبينها ما عثروا عليه في قصر بهرام جور في كيسن وهو ثمين جداً

والغرفة الثانية خاصة بالدورين السومري والبابلي وتضم مجموعة ثمينة من الخزف يعد من أقدم الخزف في العراق وفيها لوحة نفيسة تمثل صيد الاسود بالنشاب قبل التاريخ وفيها أيضاً مجموعة ثمينة من الاوزان في مختلف الادوار التاريخية القديمة

والغرفة الثالثة خاصة بآثار شمال العراق (الدور الاشوري) وفيها مجموعة ثمينة من الخزف تعد من أقدم الاواني الخزفية في العالم ويقال ان بعضها يرجع الى عهد نوح (دار فخشاذ) وفي هذه الغرفة رمح من نحاس يرجع عهده الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد

والغرفة الرابعة خاصة بآثار أور (الكلدانيين) ولعل أفضل ما فيها من آثار هذا العهد خنجر الملك ، ونصله من الذهب وقرابه منقوش، وقبعة الملك، وخاتم الملكة وحلاها وفيها قيثارة ذات صندوق للعزف

وفى الغرفة الخامسة صور وتماثيل وحلى ثمينة وألواح مختلفة من بقايا الدور البابلى

وهنالك بهو متسع فى الطابق الارضى خاص بالمنحوتات الاشورية الكبيرة وقد استخرجت من قرية خورشاد (قرب الموصل) وبينها لوح يمثل الملك سركون الثانى وأمامه الهدايا تقرب اليه

. . .

هذا وصف موجز للمتحف العراقى الجديد فى دور تكوينه وانشائه ويديره عالم ألمانى استقدمته حكومة بغداد بعقد خاص لمدة ثلاث سنوات ويساعده شاب عراقى تعلم فى انكلترا وبين رجال البعثات العراقية الذين يتعلمون فى أوربا على نفقة الحكومة من يدرس علم الآثار تمهيداً لانضمامه الى المتحف

ومما علمته أيضاً أن الحكومة قررت اقامة بناء فخم للمتحف فى جانب الكرخ فى مكان متسع يتناسب مقامه مع تاريخ العراق وعظمته وربما بدأوا بانشائه قريباً فقد وضعت تصمياته ورسومه وخصصت له الاموال اللازمة فى الميزانية الجديدة

المدرسة العسكرية فى الكرادة

الى الجانب الأيمن من بغداد وفى مكان يسمى الكرادة الشرقية ويبعد عنها نحو خمس كيلو مترات قام بناء المدرسة العسكرية العراقية وقد أعدت لتخريج الضباط والقواد وموظفى التموين للجيش العراقى

ولقد كان هذا البناء فى الأصل وهو عبارة عن «عنابر» متعددة أقيمت فى صعيد متسع وغرست حوله الزهور والأشجار ، مستشفى انشأه الجيش البريطانى فى أثناء الحرب العظمى لمداواة الجرحى والمرضى ، فلما انتهت وجلا هذا الجيش عن العراق ، ابتاعت الحكومة البناء وخصصته للمدرسة العسكرية ، وستنقل فى السنة الآتية الى المعسكر البريطانى فى الهنيدى

والهنيدى مدينة أوربية صغيرة أنشأها الانكليز جنوبى بغداد بعد احتلالها ونظموها على أفضل منوال وهى اليوم مقر قواتهم الجوية وستسلم الى الحكومة العراقية فى سنة ١٩٣٥ عملا بمعاهدة ٣٠ يونيو سنة ٩٣٠

...

ويدير المدرسة العسكرية ضابط عراقى برتبة قائمقام أركان حرب

اسمه أمين بك العمرى الفاروقى وهو من آل الفاروقى فى الموصل وقد أخرجت هذه الأسرة عـددا من الرجال اشتهروا فى العهدين التركى والعربى ، فالمرحومان سامى باشا الفاروقى وهادى باشا الفاروقى رئيس أركان حرب الجيش العثمانى من أبنائها ، وارشد بك العمرى مصلح بغداد ومنظمها ومدير مصلحة الرى الجديد وقد نقل اليها فى الشهر الماضى لاصلاح الرى هو من أبنائها أيضاً ومثله خير الدين العمرى الفاروقى رئيس بلدية الموصـل وهما شقيقا مدير المدرسة العسكرية ويسمونه فى الاصطلاح العسكرى العراقى « آمر » وتحل محل كلمة قائد المستعملة فى الجيش المصرى والجيوش العربية الأخرى . ومن تعابيرهم الجديدة قولهم : آمر المنطقة بدلا من قائدها وآمر اللواء بدلا من أميره ، وقائد السرية، وقائد المدرسة ، وقائد الفوج وهكذا دواليك وقد استبدلوا التعابير التركية القديمة بتعابير عربية جديدة اصطلحوا عليها . فالوحدة العسكرية الصغيرة وتتألف من ٨ جنود ورئيس هى « حظيرة » فيقولون الحظيرة الأولى والثانية والثالثـة ، ويتألف « الفصيل » من ٤ حظائر ويقوده ملازم ، ثم تأتى السرية وتتألف من ٣ فصـائل وآمرها « يوزباشى » ويسمونه « الرئيس » ويتألف الفوج « الاورطة » من ٣ سرايا ويسمى آمره « مقدم » بالفتح أى بكباشى وتلحق بكل فوج سرية من الرشاشات . ويسمون « القائمقام » عقيـد و « أميرالاى » زعيم وأمير اللواء آمر اللواء . وفى الجيش

العراق اليوم ثلاثة من آمرى اللواء : عبد اللطيف باشا آمر منطقة بغداد والبصرة ، وخليل زكى باشا آمر المنطقة الشرقية وتشمل بلاد الكرد، وبكر صدقى باشا آمر المنطقة الشمالية « الموصل » وقد رفعت رتبته حديثا مكافأة له على نشاطه فى حوادث الأشوريين

. . .

والمدرسة العسكرية هى من حسنات المغفور له جلالة الملك فيصل وقد أسست فى سنة ١٩٢٤ وتتألف فى الوقت الحاضر من صفين ويشترط فى الذين يدخلونها أن يكونوا حاملين لشهادة الدراسة الثانوية وأن لا يقل سنهم عن الـ ١٨ ولا يزيد عن الـ ٢٢ ويقبلون فى الصف الأول ويسمى المستجد فاذا جازوا الامتحان السنوى انتقلوا الى الصف الآخر ويسمونه « المتقدم » فاذا جازوه منحوا الشهادة المدرسية وأرسلوا الى الجيش . وفى المدرسة أيضاً قسم خاص مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات ويشترط فى الذين يقبلون فيه أن يكونوا حائزين لشهادة الكفاءة وهو خاص بتخريج موظفى التموين والاعاشة

. . .

وفى المدرسة الحربية أيضاً مدرسة لتخريج الأركان « أركان الحرب » أنشئت سنة ١٩٢٨ ومدة الدراسة فيها سنتان ، ويشترط فى الذين يدخلونها أن يكونوا أتموا الدراسة فى المدرسة العسكرية وقضوا خمس سنوات فى الجيش العامل وأن يجوزوا امتحان الدخول فاذا

فازوا بالامتحان النهائى أعيدوا الى الجيش ثانية مع بقائهم فى رتبهم الأصلية ويكافئونهم باضافة سنتين الى سنى خدماتهم

وعدد طلاب المدرسة الآن ٨٨ طالباً ٣٠ فى الصف المتقدم و ٤٦ فى المستجد و ١٢ فى التموين والاعاشة وعدد أساتذتها ثمانية وعدد ضباطها ستة وفى النية توسيع ملاكها فتتسع لمئة وعشرين طالباً

وهنالك أيضاً مدرسة أخرى للمدفعية فى ثكنة قتيبة « الوشاش » يدخلها الضباط المتخرجون فى المدرسة العسكرية اذا اختاروا فن المدفعية فيدرسون هذا الفن ، وتفتح فيها من وقت الى آخر دورات خاصة يدعى اليها ضباط المدفعية من الوحدات ، لمتابعة الدراسة والاطلاع على التحول الجديد فى هذا الفن . وعندهم مدرسة للخيالة فى الثكنة الشمالية يدرس فيها الذين ينتسبون الى هذا السلاح من خريجى المدرسة الحربية ومدتها سنة واحدة فهى مدرسة تخصص وفى الوشاش أيضاً مدرسة للاسلحة الخفيفة « الرشاشات والقنابل اليدوية » وكيفية استعمالها والتخصص فيها . أما الذين يدخلون مدرسة الأركان فيشترط فيهم سواء كانوا من ضباط المشاة أو من هذه الأسلحة أن يكونوا أمضوا خمس سنوات فى الجيش العامل وأن يؤدوا امتحاناً

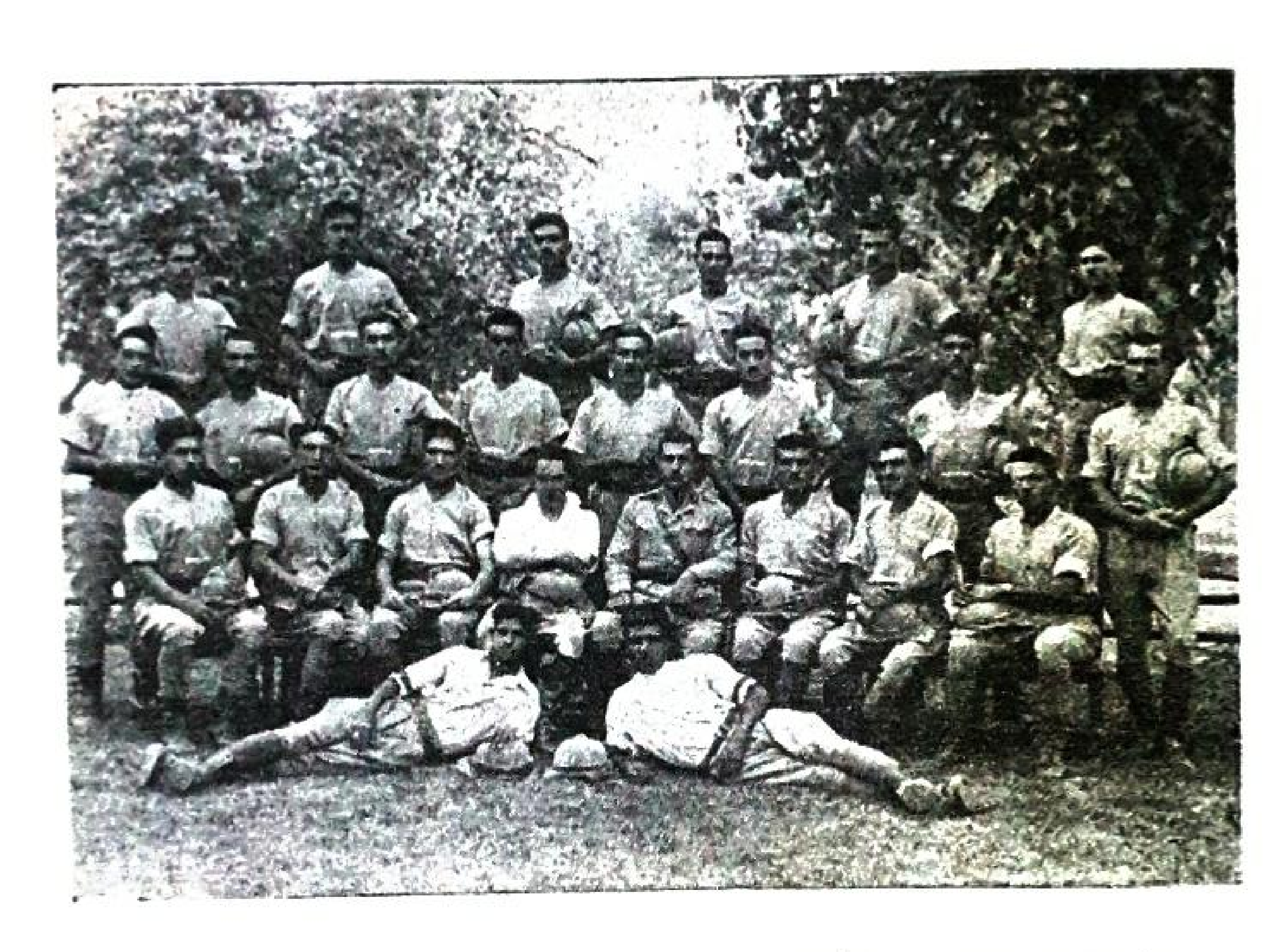
ولقد زرت مع بعض الرفاق دار المدرسة الحربية فتفضل آمرها

وضباطها وأساتذتها باستقبالنا وطافوا بنـا غرف المدرسة وردهاتها وصفوفها .

ولما دخلنا الصف المتقدم كان الأستاذ وهو عراقى تخرج فى مدرسة أركان الحرب فى الأستانة يلقى درساً فى الجغرافية العسكرية مسترشداً بخريطة كبيرة نصبت على الحائط ، وقد افترض أن هنالك حرباً تدور بين الجيشين العراقى والسورى المتحدين ازاء الجيش التركى والفارسى على الفرات وكان يسأل الطلاب عن الخطط التى يجب السير عليها وتطبيقها . وكان أستاذ اللغة الانكليزية فى الصف المستجد وهو سورى يلقى درساً فى الترجمة على الطلاب ويناقشهم

وطافوا بنا غرف النوم وهى نظيفة مستطيلة ويتصل كل منها بحمام للطلاب ، وأرشدنا المدير الى الغرفة التى كان ينام فيها جلالة الملك غازي لما كان طالباً بالمدرسة وهى صغيرة تضم أربع أسرة الآن . ومما قاله لى انه لما اعتزمت هيئة مدرسة الاركان « أركان حرب » أن ترحل رحلة « كشف » فى السنة الماضية لزيارة الحدود الشرقية ودرسها من الوجهة العسكرية رفع تقريراً الى المغفور له الملك فيصل اقترح فيه أن يسمح لسمو الأمير ولى عهده بأن يكون مع المدرسة فى هذه الرحلة فأصدر أمره على الفور بالموافقة وقد امتدت نحو شهرين اشترك الأمير خلالها فى جميع الأعمال العسكرية التى عملت وفى الخرائط التى رسمت

وطفنا أيضاً غرفة المائدة والمطبخ ومستودع الأسلحة وأماكن



جلالة الملك غازى حينما كان يدرس فى المدرسة الحربية وتراه بين زملائه الطلاب جالسا فى وسط الصف الامامى بقميص أبيض



الرياضة وهى مستوفاة من جميع الوجوه وتسترشد المدرسة فى الغالب بالتعاليم العسكرية الالمانيــة ويعمل رجالها على انشاء نظام عسكرى مطبوع بطابع عربى ، وجميع أساتذتها وضباطها من العرب العراقيين كما أن جميع دروسها تلقى باللغــة العربية ، وتعلم اللغة الانــكليزية فيها اضافية اختيارية ومما علمته أن بين المشروعات التى ستعرض على مجلس الوزراء مشروع يقضى بقبول أبنــاء الأقطار العربية فى المدرسة العسكرية مجانا اذا كانوا حائزين للشروط المطلوبة

ويطول بنا المقام لو حاولنا وصف المدرسة وقد لمسنا روح القومية العربية ممثــلة فى أساتذتها وطلابها وقد سماها أحدهم مطبخ الوحــدة العربية ، تطبخ فى صفوفها وبين جدرانها



بلاط الملك غازى

متى جزت الباب الشرقى الخارجى للبلاط الملكى تجد الى يمينك ثكنة الحرس الملكى فتسير بضعة أمتار تدخل بعدها دار البلاط وتجد نفسك أمام باب متسع كبير وقف الى يمينه جندى من جنود البوليس العسكرى والى يساره شرطى فاعلم أنه مكتب جلالة الملك الخاص

ويتألف البلاط الملكى من دائرتين : الديوان والتشريفات ويرأس الديوان العالى معالى على جودت بك الأيوبى « رئيس الوزراء اليوم » وقد تقلد هذا المنصب فى شهر مارس الماضى على أثر تأليف الوزارة الكيلانية . وهومن قادة الثورة العربية ومن الذين أبلوا البلاء الحسن فى نصرتها وقدتقلب فى مختلف المناصب الرفيعة وآخرها وزارة المالية فى سنة ١٩٣٠ثم استقال منها وانضم الى حزب الاخاء الوطنى واختير سكرتيراً عاماًله . ويعاونه فى مهمته هذه عدد من السكرتيرين والتراجمة

ويرأس التشريفات تحسين بك قدرى من ضباط الثورة العربية ومرافق جلالة الملك فيصل من سنة ١٩١٧ وقد أسندت



علي جودت بك الايوبي

رئيس الوزارة العراقية اليوم ورئيس الديوان العالي أمس

اليه رئاسة التشريفات فى البلاط على أثر « التشكيلات » الجديدة ويقوم أيضاً بمهمة كبير الأمناء ويساعده فى ادارة التشريفات السيد محمد باقر سر كشك

. . .

ولابد لزائر البلاط من الالتجاء الى التشريفات ليفتح أمامه باب مكتب الملك . ويرجع السفراء وكبار الزوار الأجانب والوزراء الى تحسين بك قدرى فهو يستقبلهم عند وصولهم ويجلسهم فى مكتبه وهو مفروش على الطراز الحديث ، ثم يذهب بهم الى مكتب جلالته ويقدمهم بنفسه ويغص مكتبه على الدوام بهم . فهذا سفير ايران جاء ليحظى بمقابلة جلالة الملك ، وهذا وزير تركيا ، وهذا القائم بأعمال المفوضية الفرنسوية ، وهذا معتمد ايطاليا ، وهذا لورد انكليزى مر ببغداد فى طريقه الى الهند فأراد أن يغتنم هذه الفرصة للتشرف بمقابلة جلالة الملك فجاء مع مستشار السفارة البريطانية ، وهذا رئيس مجلس الشيوخ العراقى ، وهذا مفتى بغداد ، وهذا وزير سابق ، وكلما ذهب فوج جاء فوج آخر من الصباح حتى الظهر ويستحيل عليك أن ترى تحسين بك فارغاً من عمله وجالساً الى مكتبه دقيقة واحدة ، فهو لا يفتأ ذاهباً آيباً ، يستقبل هذا ويودع ذاك ويجيب نداء التلفون أو يلبى دعوة « سيدنا » ويظل الى ساعة متأخرة فى البلاط بعد انقضاء الدوام لانجاز الأعمال اليومية المتراكمة

ويغص بهو التشريفات الكبير – ويديره السيد باقر وهو ذكى أديب – بالزائرين الذين يفدون من الصباح الباكر فهذا نائب المنتفك ، وهذا سيد من سادات الكاظمية ، وهذا شيخ من شيوخ الفرات ، وهذا رئيس عشيرة من عشائر الكوت ، وهذا وجيه من وجهاء بغداد ، وهذا كبير من كبراء الموصل اغتنم فرصة زيارة بغداد فجاء يتشرف بلثم راحة جلالة الملك

ويصرف السيد باقر شؤون الزائرين ، وكلهم من كبار القوم بما يرضيهم ، وهو يعرفهم أدق معرفة ، ويعرف أحسابهم وأنسابهم فيقول للشيخ الفراتى بعد أن يشرب القهوة لقد خصص لك « سيدنا » موعداً فى الساعة التاسعة من الغد فينصرف ليعود فى الموعد المضروب ويقول للوجيه البغدادى : « سيدنا » اليوم مشغول هواى (أى كثير) فتفضل بعد يومين ، ويقول للسيد الكاظمى «اذا انتظرت الى الظهر فقد تقابل سيدنا فهو مشغول الآن بمقابلة السفراء فهذا يومهم» ويقول للوجيه البغدادى لقد دخل الوزراء الآن على سيدنا ولا أظنهم يخرجون الا متأخرين

وهكذا يكلم كل واحد بما يناسبه ويصرفه راضياً

. . .

وبهو جلالة الملك متسع فسيح وله أربعة أبواب – شرقى ويتصل بالباب الخارجى،وغربى ويتصل بالجناح الخاص بالحفلات والمراسم،وبابان

جانبيان يتصل احدهما بغرفة رئيس الديوان والآخر بغرفة المرافقين العسكريين وهم ثلاثة شاكر بك الوادى وعبد الوهاب بك عبد اللطيف ومحمود بك سلمان ويتناوبون العمل يومياً وتنحصر مهمتهم فى مرافقة جلالته فى تنقلاته . وقد كان جلالة الملك غازى يجلس فيها لما كان وليا للعهد وفيها مكتبة ثمينة

ومكتب جلالته فى الجانب الشمالى من البهو وهو عادى يعلوه غطاء من بلور فوقه مصباحان كهربائيان وخلفه سجادة نفيسة وتعلو السجادة قطعة كتب عليها بخط جميل « لا اله الا الله الملك الحق المبين »

ويجلس جلالة الملك على كرسى من جلد وحول مكتبه ثلاثة كراسى من القطيفة الملونة للزائرين . والى جانب المكتب من جهة الجدار كمية غير قليلة من قصائد الرثاء وقد أهداها ناظموها فى اطارات جميلة

...

وصفت مقاعد فى الجانب الآخر من البهو حول مائدة مستديرة أعدت لجلوس الوزراء حين يجتمعون برئاسة جلالته . ووراء مقاعد الوزراء مكتبة جميلة الشكل يضم رفها الأعلى تاريخ بغداد ويضم رفاها الثانى والثالث المجلدات التى أصدرتها جامعة الأمم حاوية للمعاهدات الدولية المعقودة منذ انشاء هذه الجمعية حتى

الآن . وتعلو المكتبة الى جهة الغرب صورة متوسطة الحجم للمغفور له الملك فيصل وضعت فوق الموقد . وأرض المكتب مفروشة بسجادة فارسية ، ومثل ذلك مكاتب البلاط الأخرى . وقد بدأوا باعداد مكتب جديد لجلالة الملك غازى بدلا من المكتب القديم وسيحفظ فى المتحف العراقى

. . .

ويستقبل جلالة الملك غازى الأول زائره أمام مكتبه وهو واقف هاشا باشاً ، ويصافحه بقوة ويسأله عن صحته ويحاول بعضهم لثم راحته ، طبقا للطريقة القديمة فيجذبها بلطف ويكتفى بالمصافحة . ويحضر رئيس التشريفات المقابلات اذا كانت عادية بسيطة ويسأل جلالة الملك زائره اذا كان غير عراقى عما تركته زيارته لبغداد من وقع فى نفسه وعن رأيه فى العراق ونهضته ويقول اننا نعمل جهد الطاقة . وقد يشيعه عند انتهاء المقابلة الى الباب

. . .

ويسير جلالة الملك غازى على طريقة المغفور له والده فى التبكير الى المكتب اذا لم يركب للرياضة ومن عادته أن يخرج ثلاثة أيام فى الأسبوع : السبت والاثنين والاربعاء راكبا جواده ومعه مرافقه العسكرى فيجول بين الحقول والرياض من الساعة الخامسة والنصف

صباحا حتى الثامنة والنصف فيعود الى البلاط ويدخل مكتبه مباشرة . أما فى الأيام الأخرى فيصل بين السابعة والنصف والثامنة ويبدأ بقراءة ما هنالك من أوراق أو صحف ويظل يعمل حتى الساعة الواحدة فيركب سيارته وقد رفعوا العلم الملكى الخاص الى جانبها الأيمن من المقدمة ، ويجلس أمامه المرافق العسكرى ، وتتبعه دراجة تسير وراء سيارته ، ورأيته يسير وحيداً بسيارته فى أسواق بغداد وشوراعها فلا يصحبه مرافق ولا جندى ولا شرطى ولا دراجة ولا يبوق أمامه ببوق

ويتغدى جلالته فى قصر الحريم مع الملكة الوالدة ويقضى فيه معظم أوقاته ويخرج أحيانا بعد الظهر لنزهة بسيطة فى السيارة فيقصد الحارثية أو الهنيدى أو الكرادة أو غيرها من الضواحى ويعود قبل الغروب الى قصر الحريم أو البلاط فيتعشى فيه

. . .

والملك غازى كثير التأنق فى ملبسه ، ولباسه المعتاد هو البزة العسكرية وعلى جانبى ردائه العسكرى من الأعلى سنبلة ذهبية يضعها كبار الضباط وقد حملها أخيراً بقرار مجلس الوزراء بصفته القائد الأعلى للجيش ، ويضع عند خروجه من المكتب نظارة سوداء لاتقاء الغبار ، وقد رأيته يلبس اللباس المدنى الاوربى للمرة الأولى فى حفلة استقبال جلالة الملك على عند وصوله فى هذا الأسبوع قادماً من أوربا .

ووجدت له أيضاً صورة مكبرة فى نادى كركوك تمثله بالملابس العربية الحجازية وقد تمنطق بخنجره الذهب ووضع على رأسه الكوفية والعقال وكان يلبس هذه الملابس حين خروجه لصلاة الجمعة مع المرحوم والده فى جامع السراى

...

وخير ما فى الملك غازى من خصال ومزايا شعوره بثقل المهمة الملقاة على عاتقه، ومعرفته أنه مناط أمة وموضع ثقة شعب. وهو يسير الهوينا فى أعماله سدد الله خطاه، ووفقه الى الخير والاصلاح

القصور الملكية

قصر الحريم ـ البلاط ـ الحارثية ـ الزهور

كل ما فى العراق جديد حتى القصور الملكية فقد بدأوا بانشائها بعد قيام الدولة الجديدة فنمت تدريجيا حتى وصلت الى الحالة التى نذكر وصفها اليوم

ولا يخفى أن قصور بغداد القديمة وقد اسهبت الف ليلة وليلة وكتب التاريخ القديم فى وصفها اندثرت وبادت ولم تبق منها سوى اطلال دوارس فى جانب الكرخ تشهد بتقلب الدهر وعدم ثباته فى حال من الأحوال

ولقد نزل جلالة الملك فيصل يوم هبط بغداد سنة ١٩٢١ فى الثكنة العسكرية على الشط فى جانب الرصافة ، وجلس على المكتب الذى كان يجلس عليه قائد فيلق بغداد ابان الحكم التركى فتحولت هاتيك الثكنة القديمة وقد بنيت فى عهد مدحت باشا سنة ١٢٨٥ بلاطا للملك الجديد ، يستقبل فيه زواره وقصاده ويصرف شؤون دولته وينام ويأكل ، وكان على علاته ونواقصه وخلوه من جميع وسائل الراحة خير مكان فى بغداد

وظل الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٩٢٤ ففى تلك السنة قدمت جلالة الملكة الوالدة من مكة مع الأميرات كريماتها فأعدت لهن الحكومة مدرسة قديمة على الشط فى جانب الرصافة بعد ما أصلحتها ورممتها فنزلنها ولا يزلن فيها حتى الساعة ويطلق عليها اسم قصر الحريم ، وقد كان جلالة المغفور له الملك فيصل ينام فيه ويسير الملك غازى على سنن أبيه فهو ينام فى هذا القصر ويأكل ويقضى معظم أوقاته ـ خلا ساعات العمل ـ وأبوابه موصدة على الدوام وتحيط به حديقة جميلة ويتألف من طابقين وبناؤه بسيط

وأنشأت الحكومة العراقية فى سنة ١٩٢٧ بلاطا خاصاً لجلالة الملك فى منتصف الطريق بين بغداد والاعظمية ويبعد عن الأول نحو كيلو مترين تقريباً وهو عبارة عن بناء متوسط ذي طابق واحد قائم فى وسط حديقة جميلة ويتألف من غرفة كبيرة هى أول مايستقبله داخله من الباب الشرقى وقد أعدت لجلالة الملك ويجلس فيها زمن الدوام الرسمى ، وقد وصفتها فى غير هذا المكان

والى يمين مكتب الملك غرفة رئيس الديوان العالى والى يساره غرفة المرافقين العسكريين والى جانب هذا بهو التشريفات وهو متسع فسيح وقد علقت فى وسط جداره الجنوبى قطعة كبيرة كتب عليها بخط جميل « قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى » ويجلس فى هذا

البهو الزائرون الذين يفدون لمقابلة جلالة الملك ، وأمامه على خط مستقيم بهو كبير أعد للسكرتارية والى جانبه من جهة الشرق غرفة رئيس التشريفات ووراءها غرفة الأمير حسين بن ناصر . وتقع غرفة رئيس الخزينة الخاصة فى الجانب الآخر من البناء أى فى الجهة الشمالية ويتصل بهذا البناء من جهة الغرب بناء كبير فسيح يتوسطه بهو متسع قامت حوله غرف وله مدخل جميل من الناحية الغربية ، وهو خاص بالحفلات والمراسم ويستقبل جلالة الملك فيه الوفود عادة ويقال ان فى النية نقل مكتب جلالة الملك اليه وترك القسم الآخر للتشريفات

. . .

وقصر الحارثية على خمس كيلو مترات من بغداد الى جهة الغرب « جانب الكرخ » وهو مبنى فى وسط مزرعة الحارثية وينسب اليها وقد تملكها جلالة الملك وغرسها بالأشجار المختلفة وهى كحقل تجارب زراعى

وقصر الحارثية عبارة عن « فيلا » متوسطة قامت فى وسط حديقة ربما كانت أجمل حديقة فى العراق فقد نظمت على أفضل نسق وأكمله وهى وحديقة البلاط الملكى تدلان على شدة شغف المرحوم الملك فيصل بالزهور والورود

وفى قصر الحارثية كان جلالة المغفور الملك فيصل يقضى معظم أوقاته

ـ بعد أوقات العمل الرسمي طبعاً ـ فكان يقصده بعد مغادرته البلاط في الساعة الواحدة والمسافة بينهما لا تزيد عن ثمانية كيلو مترات فيتناول طعام الغداء في غرفة المائدة وهي بسيطة ثم يتمدد في غرفة صغيرة من الجهة الغربية على مقعد طويل « كنبة » فيستريح قليلاً ثم يجلس الى مكتبه في الغرفة نفسها فينظر في ما لديه من أعمال وينجزها وكثيرا ما كان يلعب « التنس » في ملعب الحديقة أو يسير على قدميه للرياضة في جوارها ، وما كان يغادرها الا بعد الغروب فاما أن يقصد قصر جلالة الملك علي وهو في كرادة مريم على شاطىء دجلة الغربي فيتمشى فيه واما أن يقصد البلاط في جانب الرصافة . وكان يدعو أحيانا بعض الكبراء ورجال الدولة الى قصر الحارثية فيحادثهم ويأكل معهم أو يشرب الشاي . وفيه غرفة للنوم فيها سرير واحد من الخشب ودولاب للملابس وأثاثها بسيط كأثاث بقية الغرف الأخرى وفيها نفائس بينها سجادة أهداها الغازي مصطفى كمال باشا للمرحوم ابان زيارته أنقرة وقطع فنية نفيسة من اهداء الشاه رضا خان بهلوى

والى الجانب الشرقي الجنوبي من الحديقة غرف صغيرة للحيوانات في احداها نمر صغير شبيه بالنمر سهام وكان يألف جلالة الملك ابان الثورة العربية وله معه حديث مشهور رواه لورانس في كتابه . وهنالك حيوانات مختلفة أخرى .

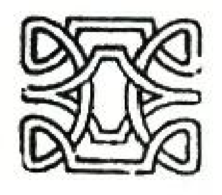
وعلى مقربة من قصر الحارثية وفى المزرعة نفسها شرعوا من ستة أشهر ببناء قصر جديد يسمونه قصر الزهور ، وينفق على بنائه من خزينة الدولة وتقدر نفقاته بخمسة وأربعين ألف دينار وقد ينجز بعد ستة أشهر على مايقال

ولقد زرته أيضاً وتجولت فى أنحائه وأبهائه ويتألف من طابقين متسعين : الأول للصالونات فهنا « قاعة العرش » وهى بهو فسيح رحب الجوانب أعدوا فى وسط حائطه الشمالى مكانا خاصاً « للعرش » ويتصل بهذا البهو ، بهو فسيح للطعام يجلس فيه ١٠٠ مدعو براحة والطابق الأعلى معد للنوم ومقسم الى ٨ دوائر تتألف كل دائرة من غرفة فسيحة رحبة للنوم وتتصل بها غرفة صغيرة للتواليت أو الجلوس وتتصل بهذه غرفة الحمام وقد أنشئت على الطراز الحديث

ومما علمته أن المغفور له الملك فيصلا أمر ببناء هذا القصر لنزول الملوك والأمراء والعظماء الذين يفدون الى بغداد وعنى بأمره كثيراً وجاء له بالنقوش والزخارف من أوربا وبالرخام من ايطاليا ويعلو التاج الملوكى المذهب مدخله ، وقد أعدت المعدات ليكون من القصور العظيمة الجميلة وتحيط به حديقة غناء فسيحة وربما سكنه جلالة الملك غازى بعد زفافه القريب

...

وهنالك أيضاً مشروع جديد بانشاء بلاط ملكى فخم فى جانب الكرخ . وقد أتم مهندسو الحكومة وضع تصميماته وأرصدت الأموال اللازمة له وهى ربع مليون جنيه فى ميزانية السنوات الخمس وسيكون متى تم من أفخم القصور وأعظمها وتبلغ مساحة مبانيه وحدها أربعة عشر الف متر مربع ولا يعرف بالضبط ان كانوا سيبدءون ببنائه قريباً بعد ما أرصدت الأموال اللازمة له أم يؤجلون ذلك الى فرصة أخرى .



مسجد الحسين فى كربلاء

جلت جولة قصيرة فى الفرات الأوسط فزرت كربلاء والنجف والكوفة والكفل والحلة وبابل وطوفت فى هاتيك الربوع الطافحة بالذكريات التاريخية والمتصلة اتصالا وثيقا بالتاريخ الاسلامى

وألقيت عصا التسيار فى كربلاء بعد مغادرتى بغداد والمسافة بينهما ١٢٥ كيلو مترا يقطعها المسافر فى ثلاث ساعات بالسيارة . وبينهما سكة حديد تروح وتغدو حاملة الركاب وتزدحم عادة فى أيام المواسم وهى فرع لسكة حديد بغداد ـ البصرة

ومررت بسد الهندية وهو أعظم مشروعات الرى الحديثة على الفرات ويبعد عن بغداد نحو ٦٥ كيلو متراً وقد أنشىء فى أواخر العهد التركى وربما كان هو الأثر العمرانى الوحيد الذى خلفه الترك فى هذه البلاد وتولى السر وليم كوكس المهندس الشهير انشاءه فاتحة سنة ١٩١٣ وعدد فتحاته ٣٦ فتحة ويروى الفرات الأوسط تقريبا وقد أعدت

الحكومة العربية الجديدة المعدات لانشاء سد آخر على الفرات « سد الحبانية » ويروى قسمه الأعلى أى منطقة الرمادى وتقدر النفقات اللازمة لهذا المشروع بمليون دينار وربما يبدأ به قريبا

واتجهنا من سد الهندية الى كربلاء وهى محاطة ببساتين وحدائق غناء فيقطع المسافر نحو ١٥ كيلو متراً تحت ظل ظليل من النخيل وتعد من مراكزه الكبرى فى العراق ، وتكثر مدن الفرات من غرسه ومحصوله ثمين اذا لم يكن من المحصولات الكبرى ومتوسط عمر النخلة ٩٠ سنة وتثمر بعد الثانية عشرة من غرسها ومتوسط حملها ٨٠ أقة فى السنة يبلغ ثمنها الآن نحو ٤٠ قرشاً صاغا ويقال ان عدد النخل لايقل عن ثمانى ملايين نخلة هنا

ويباع البلح العراقى ، فى انكلترا والولايات المتحدة وله سوق كبيرة وقد اعتادوا أن يغرسوا تحته أشجار الفاكهة ولا سيما الرمان ويجود فى العراق مع الخوخ والكمثرى ولا تعيش أشجارها كالنخيل بل يبدلونها كل ست سنوات فى الغالب ، ومعنى ذلك أن الأرض المغروسة نخلا تغل غلتين عدا الخضروات . وتصدر كربلاء كميات كبيرة منها (الفاكهة والخضروات) الى المدن المجاورة لها

...

ولا أثر للنهضة العمرانية ـ وتشمل العراق كله تقريباً ـ فى كربلاء فهى لا تزال على الحالة التى كانت عليها فى القرون الوسطى وتشبه فى

شوارعها وطرقاتها ومساجدها ومنازلها وقهواتها مكة المكرمة فكأنه كتب على المدن المقدسة أن تهمل فى جميع الأقطار والأدوار

واجتمعت صدفة فى منزل طبيبها وهو سورى بمتصرفها واسمه أحمد زكى بك الخياط وكنت سمعت ثناء عليه وقيل لى انه فى مقدمة رجال الادارة فى العراق نشاطا فسألته عن السر فى اهمال كربلاء دون سائر المدن العراقية ولماذا وقفت النهضة الجديدة عند بابها ولم تدخلها فقال لقد أهملها الترك اهمالا شائنا سحابة حكمهم الطويل انتقاما من سكانها الشيعة وكانوا يضطهدونهم ، وأبى الانكليز أن يقتربوا منها فى عهد الاحتلال وفى خلال الفترة التى امتدت حتى قيام الحكم الوطنى ، قال ومنذ ثلاثة أشهر دعانى رئيس الوزراء وقال لى لقد انتدبناك لاصلاح كربلاء فيجب أن تسافر اليها ونحن مؤيدوك وناصروك فجئت ووضعت مشروعات لاصلاحها منها مشروع يقضي بفتح شارعين يشقانها ومشروع آخر لرصف الشارع الذى يصلها ببغداد وتزفيته وقد أقرته وزارة الأشغال وربما نفذناه قريبا . ونفكر فى عقد قرض للبلدية ينفق على اصلاحها وتحسينها أى اننا شاعرون بما شعرت به وعاملون على الاصلاح والتحسين

. . .

ويقدر عدد سكان كربلاء بخمسة وثلاثين الفا بينهم نحو ١٠ آلاف من الايرانيين . واللغة الفارسية منتشرة فيها ويكاد الانسان لايسمع

غيرها حتى يظن نفسه وهو يتجول فى أسواقها أنه يتجول فى مدينة فارسية . وللحكومة طهران قنصل هنا ، ومما عرفته أيضا أن الايرانيين من سكانها شديدو التعصب لجنسيتهم ومع أن بعضهم ينزلها من ٢٠٠ سنة فهو متمسك بجنسيته ويأبى أن يبدلها أو يتنازل عنها

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فالواعظون فى المسجد الحسينى يعظون باللغة الفارسية ، ويكافح الشبان العراقيون هذه الروح مكافحة شديدة ، ويعملون على « تعريب » هذه المدينة وبث الروح القومية فى أرجائها ، وللحكومة الجديدة هنا مدرسة متوسطة ومدرستان ابتدائيتان وأخرى للبنات ويقترح المتصرف وهو شيعى بغدادى انشاء مدرسة ثانوية ويلح فى انتقاء المدرسين من الطبقة المستنيرة المشبعة بالروح القومية ومعنى ذلك أن حدود مهمته لاتقف عند تحسينها ورصف شوارعها بل تتعداها الى غزوها علميا وأدبيا قبل الغزو العمرانى

ولا وجود للايرانيين فى ضاحيتها فالزراعة بيد العرب من أبنائها ومما قالوه لى ان بعض الايرانيين يأتون فى إبتداء أمرهم زائرين ويسمون الزائر حاجا وبعد مايقضى أحدهم أشهراً مشتغلا بمسح الأحذية ينقلب مرابيا فيسلف بالفائدة ما ادخره من ربحه اليومى ثم يتحول الى تاجر وذكروا لى أسماء كثيرين أثروا بعدما كانوا مملقين ، على أن ورود الايرانيين الى كربلاء والنجف ويسمونهما « العتبات المقدسة » قل بعد الحرب وخصوصا فى السنوات الأخيرة فقد منعت الحكومة

البهلوية خروج الذهب من بلادها كما قيدت السفر الى العراق وبعد ما كان القادمون من ايران يقدرون بعشرات الالوف سنويا تفيض بهم المدن أصبحوا يحصون بالمئات ، ويفد العراقيون بكثرة فى أيام المواسم الدينية الى كربلاء خصوصاً فى شهر المحرم وفى شهر صفر

. . .

وأعظم ما فى كربلاء مسجدها الحسينى وهو آية للناظرين ببهائه وعظمته، كما هو قرة للعيون بقدسيته وروحانيته، ويقوم فى وسطها تقريبا وحوله المتاجر والأسواق وهو ينار بالكهربائية وواجهته محلاة بفسيفساء نفيسة يرجع تاريخها الى القرن الثانى عشرة للهجرة وتعلو الفسحة الممتدة من الباب للصحن ساعة كبيرة فوق برج ، وتحيط بالصحن وهو واسع غرف أعدت لدفن الموتى والرسم المقرر للدفن هو ١٥٠ ديناراً يدفع لخزينة الحكومة العراقية ، وفى كل غرفة من هذه الغرف وتنار بالبترول ، قبر يعلو سنتيمترات على الأرض وحوله قارىء يقرأ القرآن على روح المتوفى ويقيم معه

وجدران الصحن الداخلية والخارجية أيضا منقوشة بالفسيفساء الجميلة ومحلاة بالآيات القرآنية الكريمة . وحلقات التدريس والوعظ منثورة فى أنحاء هذا الصحن : فهناك مدرس عجوز طاعن فى السن يعلو منبراً خشبياً محطماً متداعياً وحوله عدد من النساء الطاعنات فى

السن يلقى عليهن درسا فى الاستنجاء ونواقض الوضوء

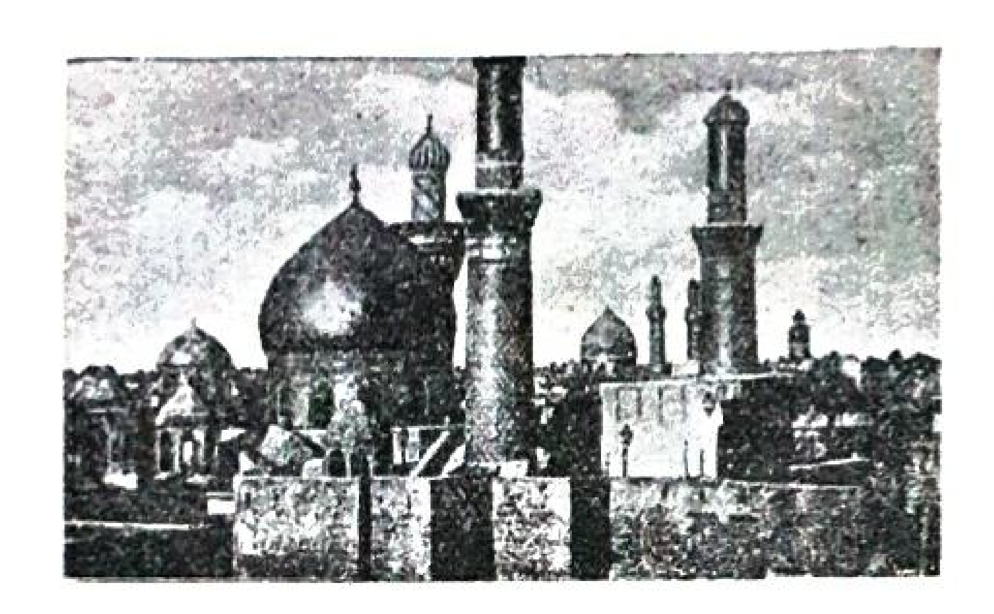
وهنا مدرس فارسى آخر فى الثمانين التف حوله عجائز من أترابه أصغرهم فى السبعين يتكلم فى الاستبراء وهنالك جماعة من الفرس جاؤا بعدد من قناديل اللوكس والتفوا حولها وجلسوا يقرأون القرآن على روح ميت مات لهم وهكذا ترى الصحن ممتلئا فى المساء بهذه الحلقات أما فى النهار فيغص بالشيوخ يقرئون الصبيان القرآن أو بعض الطلاب الذين جاءوا يطلبون العلم من أنحاء العالم الاسلامى الشيعى ، وعددهم فى النجف أكثر مما هو هنا ولذلك أرجىء الكلام عنهم الآن

. . .

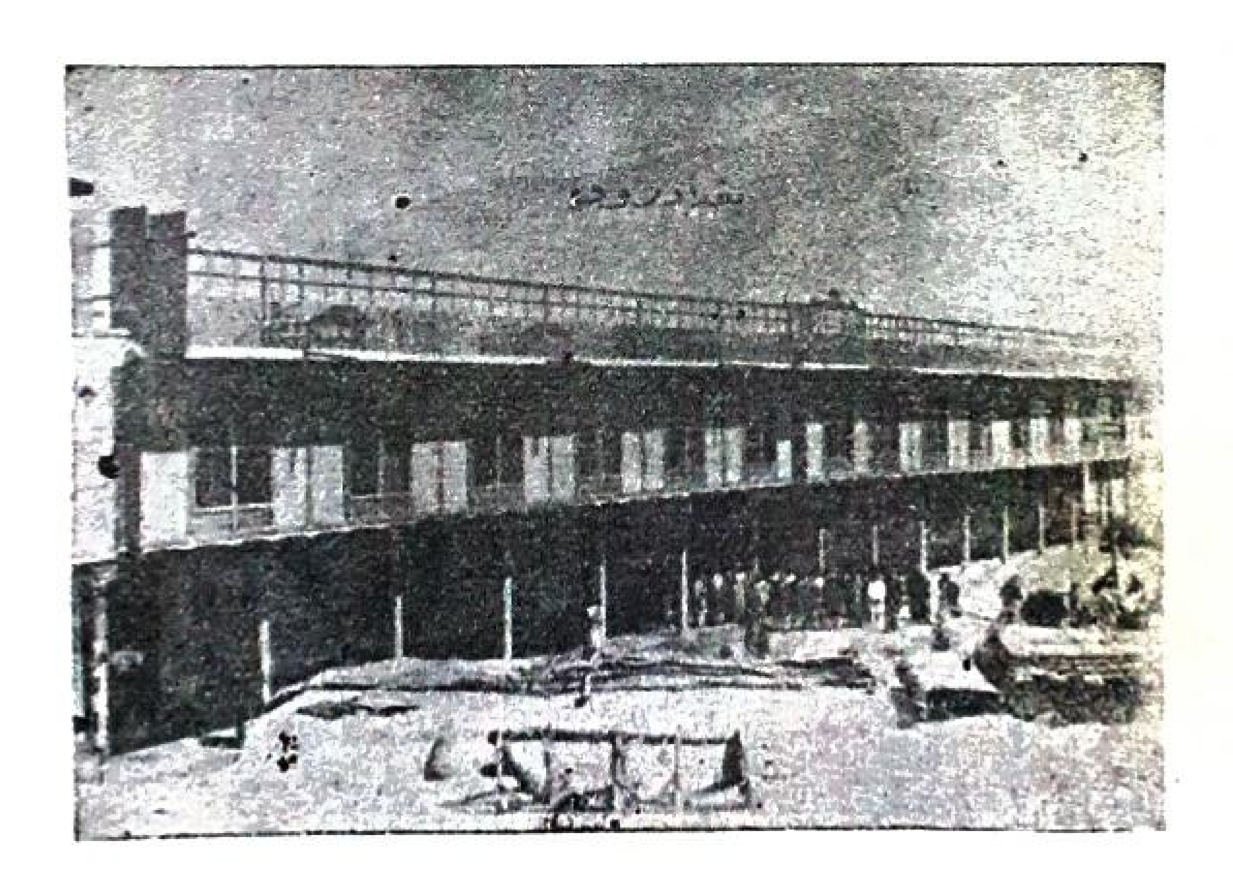
والضريح المبارك قائم فى وسط الصحن وداخل الحضرة المقدسة وهو عبارة عن مصطبة من الخشب المرصع بالعاج يعلوها مشبكان أحدهما من الفولاذ الثمين وهو الداخلى ، والآخر من الفضة الناصعة البياض وهو الخارجى وتعلو الضريح الأوانى الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة وفى كل ركن من أركانه رمانة من الذهب الخالص يبلغ قطرها نحو أربعين سنتيمترا

ويتصل بهذا المشبك ، مشبك آخر مثله وهو أقصر منه وقد رقد تحته على بن الحسين الذى استشهد مع أبيه فى يوم واحد فدفن الى جنبه

ويبدأ الزائرون من الفرس والهنود بتقبيل عتبة الباب الخارجى



مشهد سيدنا الحسين فى كربلاء



رباط البهرة فى كربلاء



الحضرة ثم يتدرجون فى التقبيل حتى الضريح و هو قائم فى وسط المكان ولا يقل طوله عن ثلاثة أمتار وعرضه عن مترين وارتفاعه كذلك ويطوف به الزائرون ويقبلونه ، ويسمع الزائر أصوات البكاء والعويل والندب مرتفعة فى داخله كما يسمع أصوات قارئ القرآن أيضاً ويجد الى اليسار مكانا قالوا ان شهداء كربلاء دفنوا فيه ، كما يجد الى اليمين مكانا آخر تفوح منه رائحة المسك وينزل اليه بدرج وقد نزلته ، وقالوا انه المكان الذى استشهد فيه الحسين عليه رضوان الله فى ذالك اليوم المشؤوم

والقبة الكبرى قائمة فوق التابوت وقد كسيت من الداخل بالمرايا الملبسة بالفضة كما كسيت بالذهب من الخارج ومثل ذلك القباب الأخرى المنثورة حولها . وحبذا لو عنى القائمون على خدمة المرقد الشريف بتنظيفها وازالة ما عليها من غبار وأوساخ

وأرضه مبلطة ببلاط الرخام النفيس ومفروشة ببسط ، وفى خزائنه مئات السجاجيد النفيسة ومما رووه لى أن فى خزينته سجادة قدر ثمنها بـ ٥٠ الف دينار ولا مثيل لها الا فى بلاط شاه ايران.وهنالك كثير من التحف والجواهر واللآلىء والمخلفات

وفى الصحن منارة منفردة يقال لها منارة العبد وهى مغشاة بالقاشانى الملون يقولون ان زنجياً كان يسكن الصحن اقتصد حتى استطاع بناء هذا الأثر الخالد

وفى كربلاء أيضاً مشهد العباس بن على بن أبى طالب وهو مدفون على مسافة قصيرة من مشهد أخيه الحسين وضريحه ومسجده آيتان فى الفخامة والروعة ويزار كشقيقه وتقام حوله الصلوات وتدفن فى رحابه الأموات ويقصده الزائرون من جميع الأنحاء والجهات

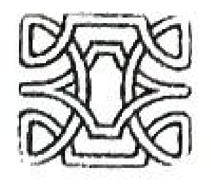
. . .

ولا يسمح لليهود والنصارى باستيطان كربلاء والنجف ولا تباع فيهما الخمور علنا . ولقد ظلت كربلاء أحقابا طويلة بلا ماء يرويها حتى زارها السلطان سليمان فأمر بشق ترعة اليها من الفرات وهو غير بعيد عنها ويسمون هذه الترعة « الحسينية » وهى تسقى البساتين والجنائن القائمة حولها وترويها والنجف فى حاجة الى مثل هذه الترعة ومع أن الحكومة الجديدة حفرت اليهـا جدولين من روافد الفرات فماؤها قليل

. . .

والطريق بين كربلاء وبغـداد معبد ، وقد بدأوا بغرس النخيل والأشجار على جانبيه كما أقاموا المخافر العسكرية على طوله لحماية الامن والامن وطيد فى هذه البـلاد وهى تتمتع بعهد من الراحة والأمان لم تذقهما فى دور من الأدوار كما اعترف لى بذلك كثيرون . ومخـافر الشرطة منبثة فى كل مكان وأينما سار الانسان أو اتجه فى الشرق أو

الغرب والشمال والجنوب يرى رجال الشرطة يجوبون البلاد ليلا ونهاراً لحراسة الامن وحمايته ، حتى ندر وقوع الجرائم في بلاد كانت مضربا للامثال فى سوء الحالة والاضطراب . ويقصد بعض الناس كربلاء سيراً على الأقدام في أيام المواسم فتغص بهم الطرق ويقطعون المسافة بينها وبين بغداد فى ثلاثة أيام ، وكانوا يقطعونها فى عهـد المركبات بيومين . أما الآن فتطوى بالسيارة فى ثلاث ساعات



مشهد الامام على فى النجف

تقع النجف جنوبى كربلاء الغربى والمسافة بينهما ٧٠ كيلو مترا؛ فيقطع المسافر أرضاً رملية لا أثر لنبات أوشجر فيها. والنجف آخر مدينة عراقية فى أقصى الجنوب الغربى وتقوم على أبواب البادية ومنها تخرج قوافل الحجاج الى حايل (نجد) فى طريقها الى الحجاز . وعلى مقربة من النجف تقوم آثار « القادسية » حيث دارت المعركة الفاصلة بين العرب والفرس حينما جاء هؤلاء لفتح العراق ، وهنالك أيضاً أطلال مدينة الحيرة عاصمة المناذرة فى العراق ، وبقايا قصر الخورنق وأنقاضه على مسافة ١٢ كيلو مترا منها

والكوفة على ١٠ كيلومترات من النجف الى الشمال وبينهما خط ترامواى يسير بالخيل . وقد زرت الكوفة وفيها مسجد سعد بن أبى وقاص . والمكان الذى طعن فيه الامام على كرم الله وجهه وهو يزار وفى الجانب الشرقى من المسجد ضريح الصحابى الجليل مسلم ابن عقيل

والجولان بين هذه المعالم والأطلال يساعد على فهم تاريخ الفتح الاسلامى فالعرب الذين ضاقت بهم المدينة المنورة بعد الاسلام وبعد

ما بسطوا نفوذهم على نجد وأدخلوها فى حظيرة الطاعة اتجهوا الى العراق وهو أقرب قطر اليهم ولا تزيد المسافة بين القادسية والمدينة عن ٦٠٠ كيلو متر « ٢٠ مرحلة » ، وشعر الفرس بما يهدد دولتهم من أخطار فجمعوا جموعهم وحشدوا قواهم فى القادسية ، على سيف البادية ، لمقابلة الغزاة وصدهم عن العراق ، فوقعت فى تلك السهول الرملية الشاسعة المعركة الفاصلة بين جيش سعد وجيش الفرس ، فدارت الدائرة على هؤلاء فارتدوا وتم للغزاة استصفاء جنوب العراق ووسطه ثم مصروا الكوفة على مقربة من القادسية والحيرة وجعلوها عاصمة لهم ، ولا يزال مسجدها المبنى فى أول الفتح قائما ، والكوفة على شاطىء الفرات الشرقى ولا تبعد عن المسجد سوى مسافة قصيرة ، ولعل هذا هو السر فى اختيارها عاصمة للحكومة الجديدة فهى من جهة واقعة على الماء كما أنها من الجهة الأخرى واقعة على طرف البادية ، وليس هناك فاصل يفصلها عن البادية حصن العرب الحصين

. . .

ويحيط بالنجف سور مبنى بالطاباق المشوى لا يزال قائما حولها . وفى خارجه من الناحية الشمالية يدفن الأموات وتنشأ النجف الجديدة فى خارجه على طريق الكوفة وفيها أنشأت الحكومة الجديدة أبنيتها فهذا صرح المدرسة الثانوية الفخم وهذا هو المستشفى الجديد وهذه الثكنة

العسكرية ، وفى النجف حركة عمرانية لا بأس بهـا بعكس كربلاء وهنالك ميل الى الاصلاح والتحسين

ومسجد الامام على بن أبى طالب فى وسط المدينة وللصحن خمسة أبواب وهو آية فى الفخامة والروعة والجلال ، وتشد اليه الرحال من كل مكان . وقد جددت نقوشه سنة ١٢٢٦ و ١٣٢٧ هـ وواجهته من الذهب الخالص ، وكذلك المنارتان الأماميتان والقبة الكبرى . وهو مبنى على طراز مسجد كربلاء ، وفيـه ما فى ذاك من ازدحام ، ويزيد عليه بأن الغرف المحيطة بالصحن مؤلفة من طابقين لا من طابق واحد ، ويدفن الأموات هنـا أيضا والرسم أقل كما فهمت فيكفى أن يدفع أهل الميت ٦٠ ديناراً ليدفن ميتهم فى هذه الرحاب ، ويقرأ القرآن فى هذه الغرف على قبور الأموات كما هى العادة فى كربلاء وفى الكاظمية وبقية مشاهد آل البيت العلوى فى العراق، وجدران الصحن محلاة بالقيشانى تعلوها الآيات والسور القرآنية وكانت هذه الغرف مأوى طلاب العلم

وفى داخل الحضرة جوهرة كبيرة تتدلى بسلسلة من الذهب من أعلى القبة حتى قرب التابوت وهنالك أيضـاً تاج الشاه نادر الافشانى وهو معلق قرب الضريح ، وفى مسجد النجف كثير من المخلفات والآثار والحلى والنفائس الثمينة جداً وهى مدفونة فى مكان خاص فى داخل الحائط وقد أرشدنا الدليل الى مكانها ويقول الخبيرون ان ثمنها مع ثمن الذهب والفسيفساء ، لا يقل عن بضعة ملايين من الجنيهات

ويقول المؤرخون ان عدد القباب التى شيدت على قبر أمير المؤمنين ثمان أولها قبة الرشيد وآخرها القبة الحالية وهى أرفع قباب آل البيت وقد غشاها بالذهب نادر شاه سنة ١١٥٦ هـ

ويبدأ معظم الزائرين من الشيعة بلثم الأعتاب ثم يتقدمون ببطء وخشوع الى الضريح فيستأذنون فى الدخول قائلين : السلام على رسول الله، السلام على أمينه، السلام على أخيه السلام على أمير المؤمنين الخ ثم يطوفون بالضريح مقبلين ومبتهلين ومستغيثين ومستنجدين نساء ورجالا . وقل أن يخلو من زائر أو زوار كثيرين ليلا ونهارا ويزدحم عادة ليلة الجمعة وتنار الثريات وتسرج المصابيح

وباب الضريح من الفضة والتابوت من الفضة والخشب الأبنوس الساج وبالاجمال فكل ما هنا يبعث على الروعة ويدل على محبة الشيعة لآل البيت العلويين وتعظيمهم لشأنهم واجلالهم أحياء وأمواتا . ولآل البيت فى هذه الربوع خمسة مراقد كبيرة تزار وهى : مسجدا كربلاء للحسين وأبى فضل العباس، ومسجد النجف، ومسجد موسى الكاظم ومحمد الجواد فى الكاظمية ومسجد الحسن العسكرى وعلى الهادى فى سامراء وقد زرتها كلها وهى متشابهة فى طراز البناء وشكله ومن الآيات الكبرى فى الروعة والاتقان

. . .

وعفت آثار العباسيين فى هذه الربوع بعكس آثار العلويين فليس

فى بغداد كلها قبر واحد معروف للخلفاء العباسيين والمكان الوحيد الباقى هو ضريح ينسب للسيدة زبيدة زوجة الرشيد وهو فى جانب الكرخ غربى بغداد وعليه قبة ومسجد وهو يزار . ولهذه السيدة الجليلة مبرة خالدة وهى عين زبيدة فى مكة تسقى الحجيج أما مدرسة المستنصرية فهى مستودع للجمرك اليوم ، وقصور الخلفاء فى سامراء أطلال بالية ودمن خالية ينعق عليها البوم

ومما يجب ذكره بهذه المناسبة أنه لما زار الشاه نادر خان الافشائى النجف فى القرن العاشر للهجرة ترجل على مقربة من السور الخارجى ووضع فى عنقه زنجيرا من الذهب فقيد به حتى الضريح فلثمه ، أما الزنجير فعلق على مدخله

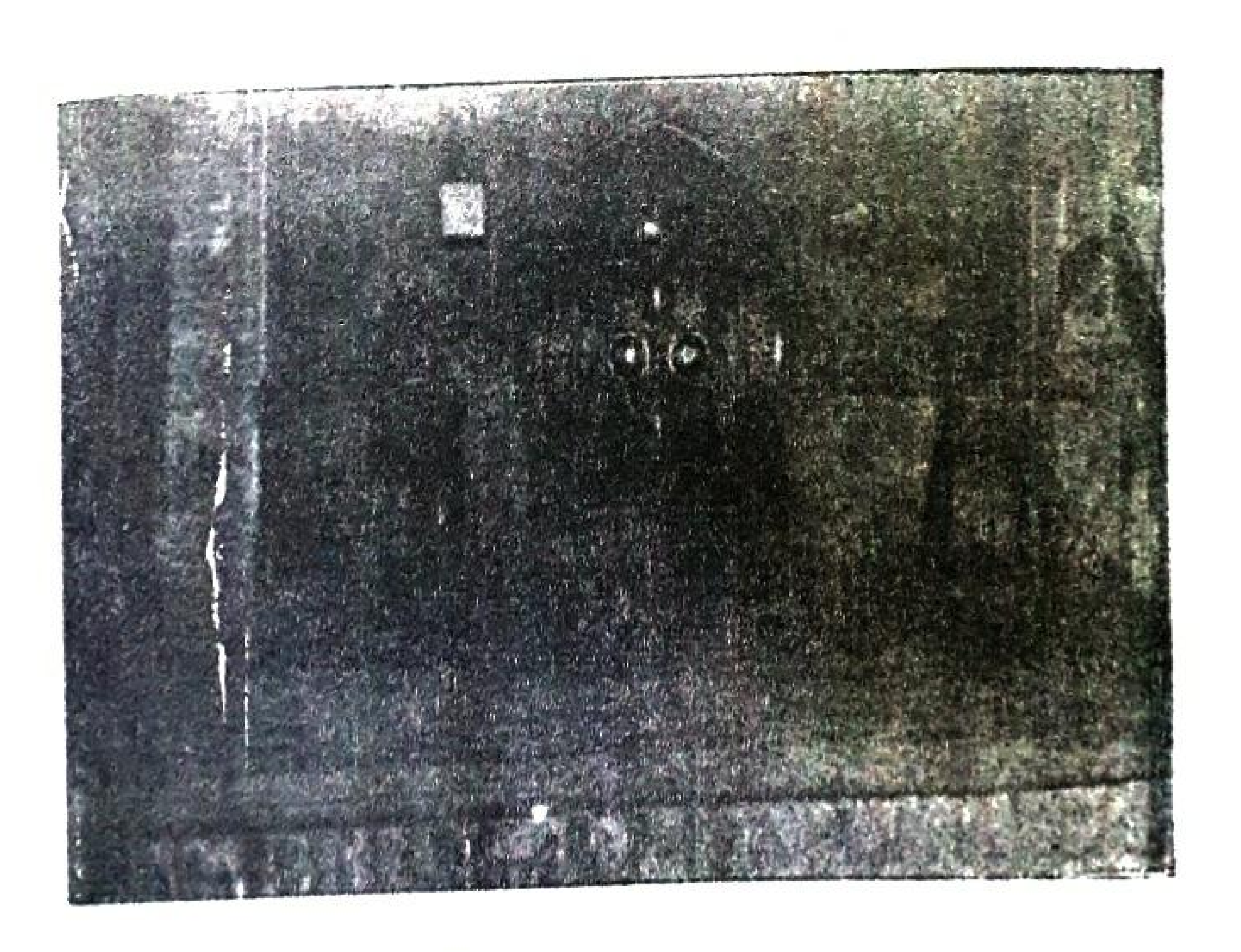
وكان من عادة المغفور له الملك فيصل أن يترجل حينما يصل النجف ويسير على قدميه حتى الضريح فيزور ويعود الى محل نزوله وقد اطلعت على توقيع لجلالته فى النجف هذا نصه : « الراجى رحمة ربه ابن الحسين ابن على بن أبى طالب عليهما السلام فيصل ملك العراق »

...

وتلقى الدروس فى صحن مسجد النجف على منوال مسجد كربلاء والفرق بينهما أنها هنا بالعربية لا بالفارسية ، وللفرس قنصل هنا ، ولكن بلا نفوذ فالبلدة عربية فى كل شىء ، وروح القومية العربية تتجلى فيها ، وهى عاصمة الفرات السياسية كما هى عاصمته الدينية ،



منظر النجف الاشرف من الجو وفى وسطه مرقد الامام
على كرم الله وجهه



محل مقتل الامام على فى الكوفة

وفيها ثلاثة من كبار المجتهدين هم العلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء والسيد أبو الحسن الاصبهانى ، والعلامة حسن النائينى ، وهنالك كثيرون من العلماء وقد اشتهرت النجف بمن ظهر فيها من العلماء الأعلام وكبار الشعراء فى الأزمنة المتأخرة

وفيها أيضا مدارس شتى لتدريس العلوم الدينية والعربية على الطريقة الأزهرية القديمة زرت احداها « مدرسة السيد كاظم » فألفيتها عبارة عن غرف متعددة اختص كل طالب بغرفة منها لنومه وأكله وشربه ودروسه ولم تراع قواعد النظافة كل المراعاة فى هذه المدارس ويشعر بذلك زائرها لأول وهلة . وزرت أيضاً المسجد الهندى وهو مجاور للحرم وفيه حلقات للتدريس، فهذا عالم ايرانى يقرأ لطالب هندى كتابا فى الأصول باللغة العربية ويشرح له ما استعصى عليه فهمه بالفارسية وهذا طالب عربى يقرأ الجزء الأول من كتاب النحو « كتب وزارة المعارف المصرية » وهنا حلقة من الطلاب يقرأون الفية ابن مالك ويتعاونون على فهمها وشرح معانيها، وهؤلاء يقرأون كتابا فى الفقه وهكذا دواليك . ومعنى ذلك أن التدريس فى النجف يسير طبقا للاساليب القديمة مما أدى الى قلة عدد القادمين فقد علمت أن عدد هؤلاء نقص كثيراً فى السنين الأخيرة . وفى النجف أيضاً بعثة سورية من أبناء جبل عامل يطلبون العلم فى مدرستها وقد عرفوا بالذكاء والتفوق وأخرى ايرانية وثالثة هندية و . . . الخ

ومعظم سكان الفراتين « الأدنى والأوسط » من الشيعة العرب ، لا فرق فى ذلك بين المدن والبوادى ، وعلى أكتاف هؤلاء قامت ثورة سنة ١٩٢٠ فهم الذين قاتلوا الانكليز وحاربوهم بالاشتراك مع بعض سكان لواء ديالى ، والمعارك الكبرى دارت فى الفرات الأوسط وجميع السكان مسلحون لا فرق بين الحضر والبادية وقل أن يخلو منزل أو مضرب من بندقية أو اثنتين أو أكثر ويقول شاعر الفرات الشعبى فى أهازيجه

« بع أمك واشتر البارودة »

ولقد حاولت الحكومات المتعددة نزع السلاح من أيديهم فلم توفق وهو يرد الآن من نجد والحجاز وخليج فارس وعند القبائل عدد من المدافع الرشاشة مما غنمته أيام الثورة

. . .

والنجف بلدة قديمة، ضيقة الشوارع،ضيقة المسالك، مزدحمة بالمنازل تغص بالسكان والزائرين وتسق من ماءالفرات يجرى اليها بجداول لأن مستواها أعلى منه وقد حفرت ترع ونهيرات كثيرة لايصال الماء اليها

وقد منعت الحكومة البناء فى داخلها ووجهت عنايتها الى انشاء مدينة جديدة خارج السور على المنوال الذى بسطناه آنفا وتسير الحكومة على هذه القاعدة فى كل ناحية من نواحى العراق فأينما اتجه الزائر فى هذه البلاد يرى مدينة جديدة تبنى الى جانب المدينة القديمة

وتبدأ الحكومة نفسها بانشاء المدرسة والثكنة والمستشفى ودار البلدية والبريد ودار الحكومة وتشق الشوارع فيبنى الناس بعدها

وترتفع درجة الحرارة فى النجف ارتفاعا مخيفا فى زمن الصيف حتى تبلغ ٤٠ فى الظل فيلجأ الناس الى سراديب نقروها تحت الأرض وتتألف من ثلاث طوابق فى الغالب أى ان عمق السرداب يبلغ أحيانا ٦٠ درجة أو أكثر تحت الأرض فيقيم فيها الناس زمن الحر فيتقونه ولا يشعرون به فى الطابقين الثانى والثالث، ومعنى ذلك أن البناء القائم فوق الأرض يؤلف الطبقة الرابعة من المنزل وهم يوغلون فى النزول الى جوف الارض كلما اشتد الحر فى جوها فرارا منه؛ويشتد البرد عندهم فى الشتاء فتهبط درجة الحرارة حتى درجة ٨ تحت الصفر بميزان سنتغراد فهم بين حر خانق وبرد قاتل

وتعنى الحكومة الجديدة ويؤيدها الشبان المتنورون ببث الروح القومية فى هذه الربوع والقضاء على كل نزعة أو نزعة أجنبية

ولا يسمح للسياح الاجانب بالدخول الى المساجد والأضرحة هنا بل يجب عليهم الوقوف عند الأبواب الخارجية والاكتفاء بنظرة عامة يلقونها عليها

فى حضرة (صاحب الزمان)

ينقسم الشيعة الى فرق وطوائف انقسام أهل السنة والجماعة ، وأعظم فرقهم شأناً ، وأكثرها عدداً ، فرقة الامامية الاثنى عشرية الاصولية ومنها شيعة العراق وايران وبلاد الشام وخليج فارس . ويقسم شاه ايران حينما يولى العرش أن يؤيد مذهب الامامية الاثنى عشرية ويقيمه ويسير طبق أحكامه ونصوصه

وفى الهند وبقية الأقطار الاسلامية عدد غير قليل من هؤلاء فهم أكثرية الشيعة المطلقة، وسوادهم الاكبر

ويقضى هذا المذهب على أتباعه أن يؤمنوا باثنى عشر اماماً هذه أسماؤهم والأماكن التى دفنوا فيها مرتبة بحسب زمان مجيئهم :

على بن أبى طالب (النجف) وابنه الحسن (البقيع فى المدينة المنورة) وابنه الحسين (كربلاء) وعلى بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق والثلاثة مدفونون فى المدينة ، وموسى الكاظم (الكاظمية فى العراق) وعلى بن موسى الرضا (مشهد الرضا فى ايران) ومحمد الجواد (كاظمية الى جانب موسى الكاظم) وعلى الهادى ، والحسن العسكرى وكلاهما فى سامراء (العراق)

هؤلاء هم الأئمة الذين يعتقدون بامامتهم ويقولون انهم معصومون عصمة الرسول صاحب الرسالة والسيدة فاطمة الزهراء كريمته . ومعنى ذلك أن عدد المعصومين المبرئين من الخطأ أربعة عشر عندهم

ويعتقدون أيضا أن الامامة انتقلت بعد الحسن العسكرى المدفون فى سامراء ، وصاحب الحوادث والوقائع المشهورة مع المتوكل ، الى ابنه الحجة « صاحب الزمان » وأن هذا الحجة نزل فى سرداب (فى داخل مشهد سامرا) فاختفى عن الأنظار وأنه لابد من عودته فيقيم أحكام الدين ويصلح شؤون البشر ويعيدهم الى الصراط المستقيم فهو فى نظرهم كالمهدى عند أهل السنة

ولقد زرت مشهد الامامين على الهادى والحسن العسكرى فى سامرا وقد دفن الاول حينما توفى فى بيته ثم دفن الى جانبه نجله الحسن العسكرى فى داخل البيت والى جانبهما السيدة نرجس زوجة الحسن العسكرى ووالدة الحجة صاحب الزمان والسيدة حليمة بنت محمد الجواد وأخت على الهادى : وهم فى صعيد واحد فوق الأرض ويعلو الامامين تابوت كبير من الفضة . والسيدتان منفصلتان ، ويزورهم الزائرون ويقصدهم القاصدون من كل مكان للتبرك والتوسل ومشهد سامراء من مشاهد آل البيت فى العراق ومسجدها أقل فخامة ورواء، فالذهب هنا أقل وكذلك الفسيفساء والقاشانى النفيس ، وقد طليت القبة بالذهب بأمر السلطان ناصر الدين شاه سنة ١٢٨٢ ه ولا أثر للغرف المخصصة لدفن الموتى وقد

اعتادوا أن ينشئوها حول الصحن، كما أنه لا أثر لحلقات التدريس والوعظ، ولعل مصدر ذلك كون سكان سامراء من أهل السنة والجماعة وعدم وجود جالية شيعية تقطن هذه المدينة كما هو الحال في كربلاء والنجف والكاظمية، فسكان هاته المدن الأربع من الشيعة الاماميين وبينهم عدد قليل من أهل السنة. ولا يخلو الحال من وجود «أسياد» يتعممون بالعمامة الخضراء (شارة السيادة) في مشهد سامراء، أسوة بالمشاهد الأخرى، ويجد زائر هذه الأماكن عددا كبيراً من هؤلاء هنا وهناك يقومون على سدانتها ويطوفون بزائريها كما يفعل مطوفو مكة المكرمة والمدينة المنورة ويرشدونهم الى أماكن الزيارة ويلقنون العامة منهم ما يجب أن يقولوه. ثم يختمون الزيارة بطلب القبول لهم مقابل دريهمات ينالونها منهم

وبعد أن أتممنا زيارة «المقامات» في سامراء قادنا الدليل الى الجهة الشمالية للمسجد فدخلنا باباً واسعا نزلنا منه الى دهليز في عشرين درجة وانتهينا الى «فسحة» صغيرة لا تزيد مساحتها على خمسة أمتار طولا في ثلاثة عرضا، ولا يزيد ارتفاعها على أربعة أمتار وسقفها حجري وقال لنا ان الامامين على الهادي وولده الحسن العسكري كانا يتعبدان في هذه الغرفة الصغيرة ويعتكفان فيها وهي متصلة بغرفة داخلية أصغر منها لا يزيد عرضها على متر ونصف متر ولها باب خاص كبير صنع من الابنوس كتب على قاعدته السفلية انه نجز سنة ٦٠٦ هـ وفي داخل

هـذه الغرفة الصغيرة السرداب الذى يعتقدون أن الحجة صاحب الزمان وابن الحسن العسكرى نزل فى بئره وغاب غيبته الـكبرى ، وقد ظل هذا السرداب والبئر مفتوحين يزورها الناس وينزل بعضهم الى البئر حتى سنة ١٩٢٤ فأصدر المغفور له الملك فيصل بالاتفاق مع بعض علماء الشيعة أمراً باغلاق البئر فأغلق نهائياً ولا يجد الزائر أثراً يدل عليه سوى رائحة مسكية تفوح منه على مقربة من الحائط . والنور قليل هنا ويعتمد سدنة المـكان على « الشمعة » فى ارشـاد الزائرين واقتيادهم .
والى الجانب الأيسر من مدخل « الفسحة » غرفة صغيرة أعـدت للسيدات ، يصلين بها حين زيارتهن

. . .

وسألت سدنة المسجد كما سألت بعض علماء الشيعة ومفـكريهم عما جاء فى بعض الـكتب المتداولة وهو أن بعضهم يأتى أمسية كل خميس إلى الخلوة مع طبولهم وزمورهم انتظارا لعودة الغائب « صاحب الزمان » ليسيروا فى موكبه فنفوا ذلك نفيا باتا وقالوا انه لا أثر لهـذا الزعم فى المذهب الشيعى ومداره الاعتقاد بعودة الحجة من دون تحديد للمـكان الذى يعود منه والزمان الذى يعود فيـه ، وزادوا على ذلك أنه لا وجود للشيعة فى سامراء ليأتوا الى المسجد فيستقبلوا الحجة كما زعموا
وتعمل الحـكومة الجديدة على اصلاح سامراء وتحسينها وقد بدأت فأنشأت فى خارج السور ، فى المـكان القائم بينه وبين الميناء ويسمونها

« الشريعة » مدرسة وداراً البلدية وأخرى للمحاكم ورابعة للبريد والبرق وحديقة للنزهة والمأمول أن يتسع نطاق العمران خارج السور حيث تخطط الشوارع طبقا للنظام الحديث

وكذلك فمديرية الأوقاف العامة منصرفة الى ترميم مسجد سامراء واصلاحه، وقد شاهدت هذه الحركة فى كل مشهد دخلناه فى العراق مما يدل على وجود نهضة جديدة ترمى الى اصلاح هذه الأماكن الأثرية وترميمها ترميما يطابق شهرتها وعظمتها وما تحويه من آثار ونفائس وتحف نادرة تجعلها من مفاخر الاسلام الكبرى



يوم الطظم

للشيعة الأمامية فى العراق أربعة أيام كبرى يحيون ذكراها ويقيمون المآتم والتعازى لحلولها ، وأعظمها شأنا يوم ١٠ المحرم وفيه يحيون ذكرى معركة الطف ، وقد استشهد فيها الامام أبو عبد الله الحسين السبط بن الامام على بن أبى طالب وابن فاطمة الزهراء كما استشهد أخوه أبو الفضل العباس وعدد من أنصارهم وقد أنشأوا فى المكان الذى استشهد فيه الحسين مسجداً يزورونه ويبكون فيه . ويعد هذا اليوم من الأيام المشهودة فى العراق وقد اعتادت جموع الشيعة الكثيرة الزحف الى كربلاء لاحياء تلك الذكرى فتقام المآتم وتنصب المناحات وكان الفرس يبالغون كثيراً فى تعظيم هذا اليوم بيد أن الحكومة البهلوية الجديدة ، وهى تسترشد بالمبادىء القومية وتعمل على احياء مفاخر الفرس الأقدمين ، قاومت هذه العادة وقاتلتها كما منعت سفر رعاياها الى العراق للاشتراك فيها وكانوا يفدون بالألوف فانقطع وازدهم وتقتصر هذه الحفلات فى الوقت الحاضر على شيعة العراق وعلى النازلين فى جوار الأضرحة المقدسة من الهنود والفرس والتركمان وهم من بقايا الزوار القدماء ويتناقصون تدريجا

ويأتى يوم ٢٠ صفر بعد يوم كربلاء ويعتقد الشيعة أن رأس الحسين أعيد فى هذا اليوم الى كربلاء ويختلفون فى محل دفنه فبعض الرواة يقولون ان الرأس الشريف دفن مع الجسد ويقول غيرهم انه دفن مع والده الامام على ويجددون المناحة والعزاء ويكثرون من اللطم والندب على منوال يفتت الصخر ويذيب الجماد

أما اليوم الثالث فهو ٢١ رمضان ففيه يحيون ذكرى وفاة الامام على بن أبى طالب فى الكوفة مطعونا بيد ابن ملجم الخارجى . ولقد زرت مسجد الكوفة ويرجع بناؤه الى عهد الفتح الاسلامى للعراق فقد أنشأه سعد بن أبى وقاص بعد القادسية . وفى هذا المسجد من الناحية الغربية مكان مزين مزخرف يقول سادنه انه المكان الذى طعن فيه الامام على . والفرق بين أهل السنة والشيعة هو أن هؤلاء يعتقدون أن الوفاة كانت يوم ١٩ رمضان لا يوم ٢١ منه وتغلق متاجر الشيعة وتعطل أعمالهم لا فى الكوفة والنجف وحدهما بل فى جميع المدن التى ينزلونها وجنوب العراق مملوء بهم

واليوم الرابع هو يوم وفاة الكاظم ويعنون به الامام السابع موسى ابن جعفر ويلقب بالكاظم لاشتهاره بكظم الغيظ وقد عاش فى عهد الرشيد فاضطهده وسجنه فمات فى السجن يوم ٢٥ رجب سنة ١٨٣ ودفن فى الكاظمية فنسبت اليه وتبعد عن بغداد نحو ٧ كيلو مترات . ولما مات حفيده محمد بن على الملقب بالجواد سنة ٢٢٠ دفن الى جواره

وقد أقيم فوقهما ضريح فخم يحيط به صحن متسع فسيح له سبعة أبواب .

ومشهد الكاظم من أعظم مشاهد آل البيت فى العراق ومن أنفسها وقبتاه ومناراته المذهبة وعددها ثمان هى أول ما يظهر من بغداد للوافد اليها من الشمال أو من الغرب

وللصحن سبعة أبواب ذات أسماء خاصة لدى أهل البلد . وفى كل ضلع من أضلاعه عدد من الغرف وأمام كل غرفة ايوان يشرف على ساحة الصحن وقد شيدت لتكون مأوى لطلاب العلم فى الأصل واتخذت مقابر فى الوقت الحاضر على المنوال المتبع فى كربلاء والنجف . وجميع جدران الصحن مغشاة بالقاشانى البديع المطرز بالآيات القرآنية الكريمة

والحضرة قائمة فى وسط الصحن ويتوسطها ضريح الامام الكاظم والى جانبه حفيده الجواد ، وأمام الحضرة ايوانات كبيرة عددها ثلاثة وهى مما يمتاز به مشهد الكاظم عن مشاهد آل البيت الأخرى فلا وجود لها فى غيره ، وهى قائمة على أعمدة عالية من الخشب المنقوش بمختلف النقوش الجميلة

وتؤدى الأبواب التى تتوسط الايوانات الى أروقة مستطيلة وقد وضعت سقوفها على هيئة منحنية أو مقوسة معقودة من الآجر المشوى المغشى بمختلف النقوش والأشكال من المرايا المقطعة على أشكال هندسية ، وتتصل هذه الأروقة ببعضها من الداخل

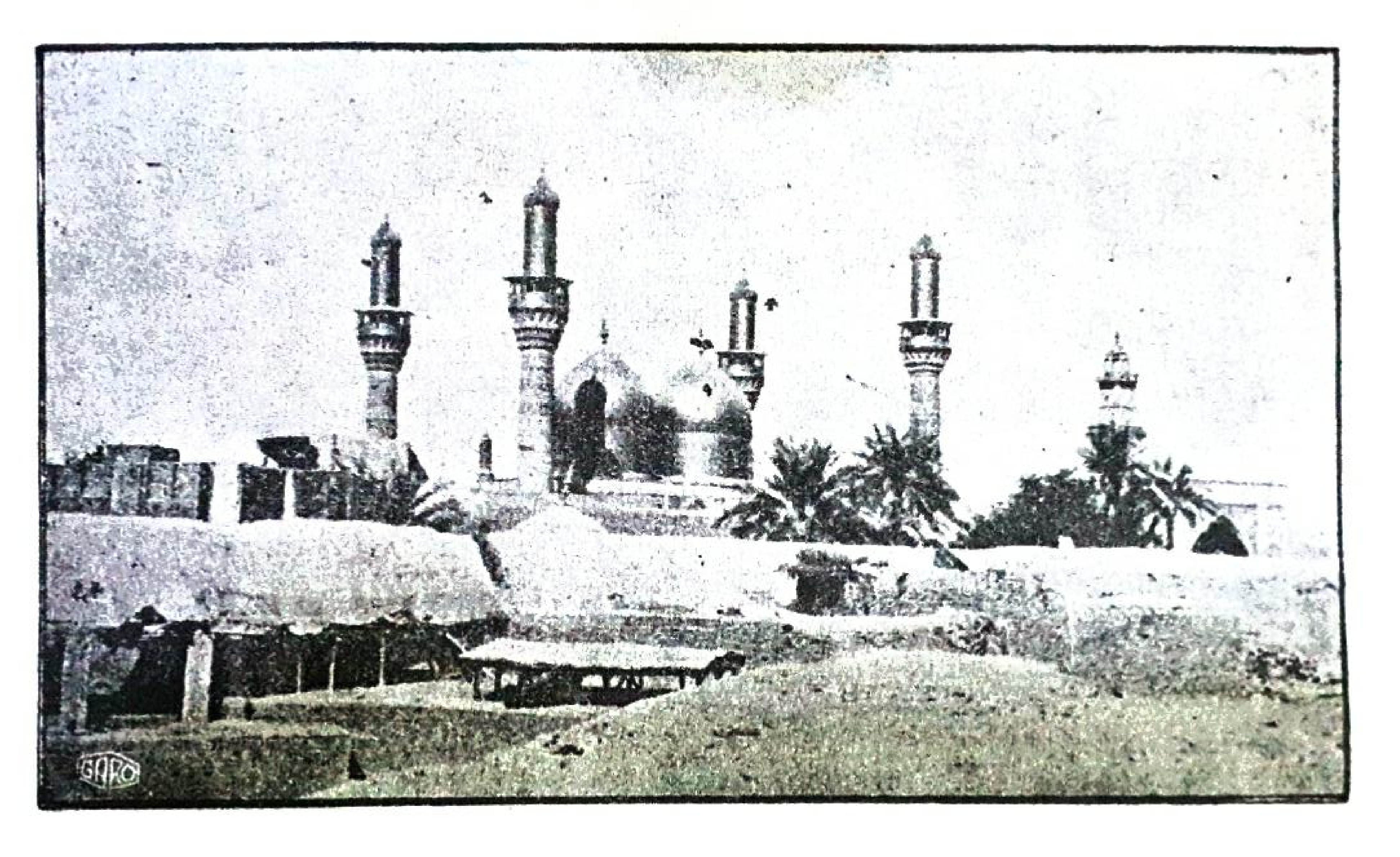
وفى وسط كل رواق باب كبير من الفضة يؤدى الى مدخل الحرم ويتكون من ساحة مربعة قام فى وسطها الضريح ويحيط به مشبكان داخلى وهو من الفولاذ وخارجى وهو من الفضة يتألف من حلقات مربعة جميلة الشكل ، وطول كل ضلع من أضلاع المشبك الفضى أربعة أمتار وعلوه متران وثلاثة أرباع . والرفات فى صندوقين من العاج داخل المشبكين

وأرض الضريح مبلطة بالرخام الجميل ومفروشة بالسجاد النفيس

ولا يختلف شكل البناء ولا طرازه عما هو عليه فى النجف وكربلاء وان كان المشهد هنا أوسع وأفخم وقد جدد سور الصحن فى أواخر القرن الماضى وفرشت أرضه بالمرمر وغشيت جدرانه بالقاشانى النفيس وانتهى العمل منه سنة ١٢٩٨ وتعمل مديرية الأوقاف على اصلاحه وترميمه . ومما يستحق الذكر أن مسجد الامام أبى يوسف صاحب أبى حنيفة متصل بمشهد الامام الكاظم ويؤدى أهل السنة من سكان الكاظمية وزوارها الصلاة فى هذا المسجد وقد زرته ورأيت عمال الحكومة يصلحونه ويرممونه . ويعد من المساجد العادية . ومثل ذلك ضريح الامام أبى يوسف وهو فى حجرة منه

. . .

ولقد شهدت يوم الكاظم فى بغداد فأصبحت أسواقها مغلقة وأعمالها معطلة فقصدت مع صديق كريم الكاظمية لرؤية مواكب



مشهد الامام موسي الكاظم فى الكاظمية



العزاء ووصفها وكانت الطرق المؤدية اليه غاصة بالوفود والقصاد وقد جاءوا من جميع أنحاء العراق الجنوبى حتى امتلأت بهم وتعذر المرور فى شوارعها

وجلسنا فى غرفة السادن ويسمونه « الكليدار » وهى لفظة فارسية معناها بالعربية « صاحب المفتاح » وكان فيها نخبة من أهل الفضل فمرت أمامنا وفود المدن العراقية الجنوبية وأمام كل وفد علمه فهذا علم كربلاء وهذا علم النجف فالحلة والديوانية والكوت الخ وكانوا يطوفون بالصحن ثم يخرجون بعد الزيارة فينضمون الى الوفود الأخرى ويؤلفون موكب العزاء العام ويسير بعد الظهر من خارج الكاظمية فيخترق شوارعها حتى يصل الى المشهد فيدخل رجاله بالتتابع ويطوفون الصحن ويلقون مراثيهم بالعامية ثم تنتهى الحفلات

. . .

ولقد أثرت رؤية هذا الموكب أعظم تأثير فى نفسى لروعته وجلاله فسار فى مقدمته حصان مسرج لجامه من الفضة ووراءه رجل يحمل ألبسة الامام ثم جاءت طائفة تحمل الأعلام ووراءها فريق لا يقل عددهم عن الخمسين وقد لبس كل واحد منهم ثوباً أسود لا أكمام له وطلى وجهه بالطين وهو عندهم رمز الحزن الشديد وكانوا يرددون بصوت واحد وعلى توقيع خاص : حسين . حسين . ثم جاء فوج آخر تتقدمه أعلامه وينادى على ايقاع خاص أيضا : يا ابن الزهراء واحسيناه

واحسيناه . ثم جاءت الجالية التبريزية فى كربلاء ففوج الهنود فى كربلاء . ثم جاء فوج يلطم رجاله بأيديهم على وجوههم بايقاع خاص وتلاه فوج آخر وبيد كل واحد من رجاله سلسلة من الحديد يبلغ طولها ٣٠ سنتيمترا وتتألف من سلاسل حديدية رفيعة ولها قبضة من حديد ورأسها كبير وقد لبسوا الأسود وطلوا وجوههم بالطين وساروا حفاة عراة وهم يضربون بهذه السلاسل على أكتافهم ذات اليمين وذات الشمال على ايقاع موسيقى منظم ثم جاء موكب النسوة والبنات وهن يولولن وينحن ويلطمن على وجوههن بأيديهن فيستنزلن العبرات ولا أظن انسانا يرى هذه المشاهد المؤثرة ولا تدمع عيناه . ولا يقل طول الموكب عن كيلو متر ونصف كيلو متر وكان يسير فى وسط بحر من الدموع تذرفها عيون الواقفين على طول الطريق

وكان نعش الامام الرمزى يتوسطه تقريباً وهو مجلل بالشال وقد حمل على الايدى . ولا بد لى من القول ان الذين يسرفون فى النوح ويضربون أجسادهم بالسلاسل هم من الأعاجم أما العرب فكانوا أكثر اعتدالا وهم يكتفون بانشاد الأناشيد المحزنة على الطريقة الفراتية ويكتفون بنزع القميص فى الغالب فلا يبقى على جسدهم سوى السراويل ويسيرون حفاة على أقدامهم . وقد قيل لى ان هذا الموكب صورة مصغرة لموكب كربلاء وان الذين يشتركون فيه يشتركون فى ذاك أيضاً . ومع شدة احترامى لهذا الشعور لا أتمالك عن مناشدة الحكومة

المراقبة التدخل لتنظيم هذه المواكب رحمة بهؤلاء الذين يؤذون أنفسهم ، تشبها بالحكومة الفارسية على الأقل ومما يشجعنا على عرض هذا المقترح ما علمناه وهو أنهم ما كانوا حتى سنة ١٩٢٧ يحتفلون بيوم الكاظم على هذا المنوال بل كانوا يكتفون باغلاق الكاظمية والزيارة العادية المجردة من هذه المظاهر . ولا شك أن المقصود يحصل بهذه الطريقة أيضاً



أبو حنيفة والكيلانى ومعروف

لئن أجمع مسلمو العراق شيعة وسنيين على تعظيم أهل البيت وزيارة مراقدهم المباركة واتفقوا على تعظيمهم واحترامهم ، ففى بغداد مراقد مباركة يقصدها السنيون وحدهم متبركين ، ويقيمون الصلاة حولها خاشعين، و يتعلمون العلم فى أفنائها مستفيدين ، وفى مقدمتها مرقد الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت فى الأعظمية واليه تنسب - ومرقد الشيخ عبد القادر الكيلانى وهو من رجال القرن السادس وقد اشتهر بالعلم والتصوف واليه تنسب الطريقة القادرية ولها كثيرون من الأتباع والمريدين فى معظم البلاد الاسلامية

ولا تجد فى مرقد الامام أبى حنيفة فى الأعظمية - وتبعد عن بغداد نحو ٥ كيلومترات وبينهما طريق معبدة تروح وتغدو عليها سيارات الأوتوبوس حاملة الركاب بأجرة زهيدة لاتتجاوز أربعة ملاليم - أقول انك لاتجد فى مرقد الامام الأعظم الازدحام الذى تجده فى مراقد كربلاء والنجف والكاظمية والاخيرة مناوحة للأعظمية وتفصل بينهما دجلة، من كثرة الزوار والقصاد ، فجامع الامام الأعظم يخلو من الزوار فى

غير أوقات الصلاة ، وتؤدى فى مصلى فسيح مجاور للضريح ، ولا أثر للذهب والمجوهرات والنفائس وقد ازدانت بها مراقد أهل البيت ، فكل شئ بسيط متواضع (باصطلاح بعض كتابنا) ولعل أفضل ما يمتاز به مرقد الامام هو المدرسة القائمة فى الجانب الغربى منه وقد جددت الحكومة العراقية انشاءها سنة ١٣٥٠ لتعليم العلوم الدينية والعربية على الطراز الحديث ويسمونها دار العلوم الدينية والعربية وبلغ عدد طلابها فى الوقت الحاضر ١٠٠ طالب ٧٠ منهم ليليون والباقون نهاريون والتعليم والنوم والأكل فيها بالمجان ويتناول كل طالب ٣٧ قرشا صاغا شهريا ، وينفق عليها من أوقاف الامام الأعظم وتتولاها مديرية الأوقاف. ويرجو القائمون بها أن تنمو مع الزمن فتخرج للعراق ماهو فى حاجة اليه من علماء وقضاة شرعيين ومفتين ومدرسين للغة العربية يتولون التدريس فى مدارس الحكومة حسب الاتفاق مع وزارة المعارف . وضريح الامام الأعظم واقع أمام المدخل الخارجى للصحن وواجهته عادية ومكتوب على قيشانى أزرق يزين الجدار أنه جدد فى سنة ١٣٢١ بأمر السلطان عبد الحميد . وكذلك زين الباب الخارجى للجامع بقيشانى كتبت عليه أبيات من الشعر بالفارسية معناها أنه جدد سنة ١٢٨٦ بأمر والدة السلطان عثمان .

وتعلو ضريح الامام الأعظم قبة كبيرة زينت بالقاشانى الجميل والى

جانبها منارة نقشت كنقشها وهلالا المنارة والقبة من الذهب . وباب الضريح من الفضة . وقد كتبت آيات قرآنية على جدرانه الداخلية كما كتب على التابوت بخط عربى جميل مايأتى : «هذا مرقد الامام الأعظم، المجتهد الأقدم ، أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى وكانت ولادته سنة ٨٠ ووفاته سنة ١٥٠ وقد جدد العمل بعد اندراسه ومحو آثاره فى ظل جلالة مليك البلاد العراقية الملك العربى الهاشمى المعظم صاحب الجلالة فيصل بن الحسين أدام الله بالعز أيامه وخلد الملك فيه وفى عقبه الى يوم القيامة سنة ١٣٤٣» وتعلو التابوت مظلة من المخمل الأخضر وقناديل من فضة وذهب والى جانبه شمعدانان كبيران من الفضة وضعا فى جانب الجدار على دكة وقد أهديا سنة ١٢٧١

ولا أثر للمتسولين فى هذا المكان بعكس الحالة فى مراقد الأئمة العلويين كما أنه لا أثر للاسياد ذوي العمائم الخضراء والسوداء الذين تغص بهم تلك الأضرحة ، وتتوسط الصحن حديقة جميلة ولمدرسة دار العلوم حديقة فسيحة وهنالك مصلى خارجى مفروش بالحصر ومصلى داخلى (جامع) مفروش بالسجاد ومحلى بالقاشانى وقد كان المغفور له الملك فيصل يؤدى صلاة الجمعة فيه من وقت الى آخر

...

وكان للامام أحمد بن حنبل مسجد ومرقد فى بغداد يزار ويقصد ولما طغى دجلة فى سنة ١٩١٣ جرف الأبنية القائمة حوله فاندرس القبر ولعل

أهـل الخير والاحسان يجددونه وفاء بحق النازل فيه وتـكرمة للعلم الذى كان يخدمه فاننا نخشى أن يؤدى طول الاهمال الى عفاء قبره وطمس أثره

. . .

وللشيخ عبد القادر الـكيلانى فى نفس مدينة بغداد ضريح كبير فى حى من أحيائها الجنوبية وينسب اليه فيقال باب الشيخ وتطلق عليـه وحده كلمة الشيخ ، فاذا قلت للحوذى «لعند الشيخ» أوصلك الى المقام بلا عناء .

ويكثر الازدحام حول ضريح الشيخ عبـد القادر وباب ضريحه الخارجى من الفضة ويصعد اليـه بثلاث درجات ، وصحن جامعه مستطيل الشكل مبلط الأرض وضريح الشيخ قائم فى الجهة الغربية محلى بالقاشانى وهو مدفون فى نفس الحجرة التى كان يدرس فيهـا ولا يخلو مرقده من زوار ، ويكثر الهنود هنا كثرتهم فى مراقد أهـل البيت ولا سيما فى كربلاء ، وفى الطابق الأعلى مدرسة يلقى فيها الشيخ يوسف العطا مفتى بغـداد دروساً ليلية فى العـلوم الدينية على طلاب العلم وهى المدرسة التى كان الشيخ المرحوم يدرس فيهـا وهنالك مدرسة أخرى أيضاً فى نفس الجامع اسمها مدرسة الخاتون لتدريس العلم ويؤمها الطلاب

وفى الناحة الشمالية من الصحن ينزل فقراء الزائرين ومعظمهم من

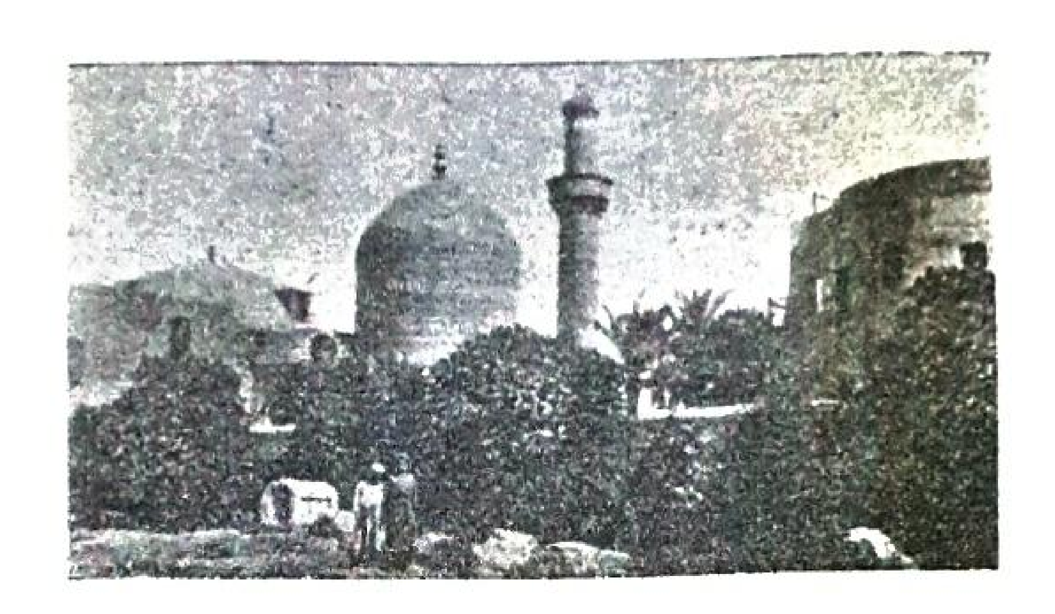
الهند وأنحاء العالم الاسلامى ويطهون الطعام فى المساء ويغسلون ألبستهم فى النهار ويتصل بالضريح من الجهة الغربية مقبرة دفن فيها كثير من عظماء بغداد وكبار رجالها ، ولو عنى القائمون على خدمة هـذا الجامع بالمحافظة على النظام فى داخـله وحرصوا على تنظيف الجزء الداخلى الخاص بالنزلاء ، لخلا من تلك الروائح المتصاعدة منه ، ولحسن منظره والشحاذون هنا قليلون أيضا . ويفتح الضريح يوم الجمعة بعد الصلاة للزوار والمتبركين ويكثر المصلون عادة .

. . .

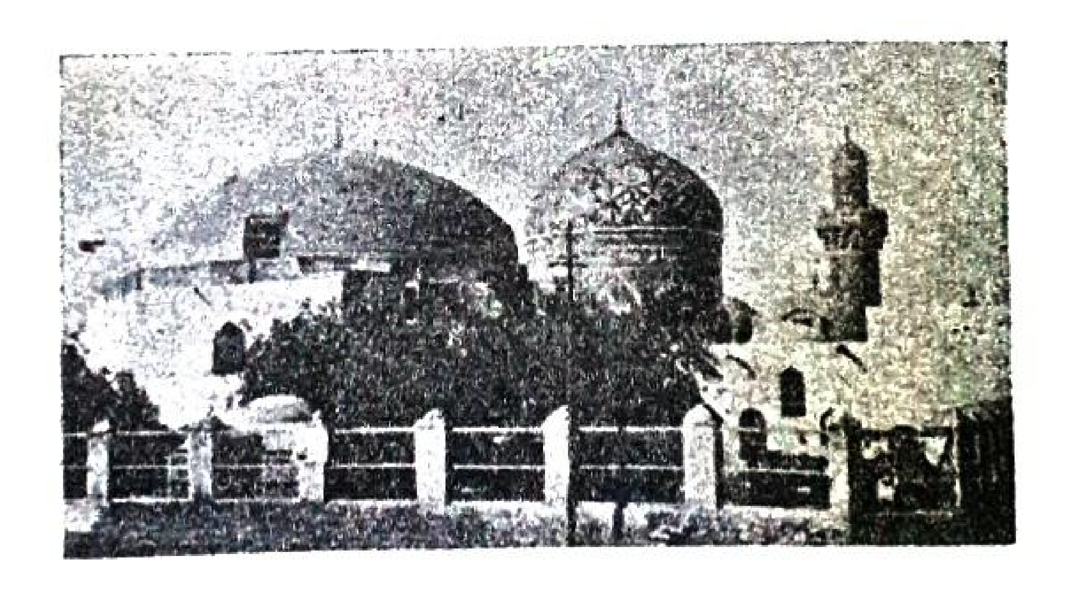
وفى خارج بغداد الغربى وفى جانب الـكرخ أيضاً مدفن الشيخ معروف الـكرخى والشيخ جنيد البغدادى والقبر المنسوب الى السيدة زبيدة ، والأبنية المقامة حولها بسيطة جدا ولا أثر للزخارف الخارجية والطرق الموصلة اليها غير معبدة والزوار قليلون .

. . .

وفى سلمان باك (جنوبى بغـداد) مدفن الصحابى الجليل سلمان الفارسى وقد نقلوا الى جواره أخيراً قبر الصحابى عبد الله بن حذيفة اليمانى خوف طغيان دجلة . وفى جوار البصرة مراقد بعض كبـار الصحابة عليهم الرضوان وبالاجمال فالعراق مملوء بقبور رجال الصدر الأول وكبار الغزاة والمؤسسين



ضريح الامام الاعظم ابى حنيفة فى الاعظمية



ضريح الشيخ عبد القادر الكيلانى فى بغداد



سامرا وسلمان باك

الأولى الى شمال بغداد وتبعد عنها ٨٥ ميلا والثانية الى جنوبها وتبعد عنها ٢٣ ميلا وفى الأولى بقايا قصور الخلفاء العباسيين وطاق المتوكل وفى الثانية طاق كسرى (ايوانه) وكلاهما من الآثار الخالدة فى العراق .

زرت سامراء فى طريق من الموصل الى بغداد ، فعبرت دجلة بزورق الى مدينة المعتصم ، ودخلتها مخترقا سورها ، وهو قديم من اللبن ولا يبعد عن شاطىء دجلة أكثر من كيلو مترين

وفى سامراء مشهد « صاحب الزمان » وقد تقدم وصف ضريحه وهو داخل السور يقصده الشيعة من جميع الأنحاء ، وتزدحم بهم هذه المدينة فى شهر رجب عادة ، وسكانها من السنيين ومنهم أيضاً سدنة المشهد وخدمة الضريحين، ولا يقطن فيها أحد من الشيعة ومثل ذلك مدينة تكريت أيضاً وهى قائمة على شاطىء دجلة، ولا تبعد كثيراً عن سامراء ، وتكريت هى منبت البطل الخالد صلاح الدين بن يوسف الأيوبى وقد دخلتها فوجدتها قرية كبيرة تقوم على القلعة المعروفة باسمها

والى شمال سامراء الجديدة أطلال المدينة القديمة وتمتد من السور

الجديد حتى قصر المتوكل ولا تقل المسافة بينهما عن ٥ كيلو مترات يبلغ السائر بعدها أنقاض القصر نفسه وهو واسع الجنبات ، فسيح الأرجاء لم تبق منه سوى واجهته الخارجية وسراديبه ، واطلاله ، وقد نقب فيها الألمان قبل الحرب فاستخرجوا كثيراً من آثاره فنقلوها الى برلين

وأرانا دليلنا حفرة عميقة يبلغ عرضها ٣ أمتار وطولها خمسة وعمقها ٢٠ متراً قال ان المتوكل ألقى فيها الامام الحسن العسكري ثم أطلق عليه سباعه من سراديب فى داخل القصر تتصل بالحفرة بعد ما أجاعها فلم تنله بأذى ، والسراديب باقية على حالها . وهى منحوتة من الصخر

والواجهة الامامية لباب القصر مبنية على شكل « طاق كسرى » فى سلمان باك ، وهذا الطراز من البناء لا يزال منتشراً فى بغداد نفسها وفى معظم المدن العراقية

ولا يقل ارتفاع سقف المدخل عن ٤٠ متراً وله حجرتان جانبيتان الى اليمين والشمال ومع أن دجلة كان يمر فى ذلك العصر أمام القصر وكان يقوم على شاطئه الا أنه غير مجراه اليوم وهو يسير بعيداً عنه بضعة كيلو مترات

وبين أطلال سامراء القديمة والسور الجديد أنقاض مسجد من بقايا العهد العباسى لا تزال جدران سوره الخارجى قائمة ولا يقل سمك

جدار السور عن أربعة أمتار وهو مبنى من الطابوق . والى جانب هذا السور بقايا منارة المسجد ويسمونها « المايلة » لميلها وتختلف فى طرز بنائها عن الطراز المعروف الآن فى البلاد الاسلامية فانهم يصعدون اليها من الخارج لا من الداخل وهى مبنية على منوال لولبى . ومع أن الجزء الأعلى منها قد تهدم فارتفاعها فى الوقت الحاضر لا يقل عن ٤٠ مترا ويصعد اليها بسهولة .

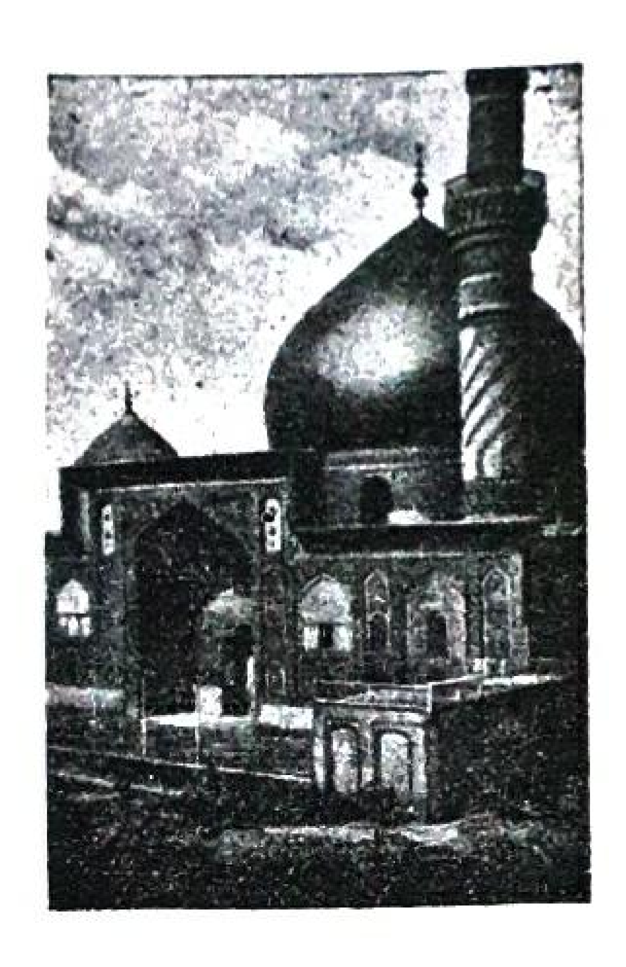
...

وزرت طاق كسرى وهو واقع قرب بلدة سلمان باك ، أو سلمان الفارسى الصحابى المشهور ، وله مقام يزار ، ويتألف « الطاق » من جزأين متصلين بواسطة ممر داخلى فالجزء الأول عبارة عن واجهة أمامية تتألف من طابق أرضي تعلوه خمسة أدوار بعضها فوق بعض ولم يبق منها سوى الرسم ، والجزء الآخر بهو فسيح واسع الجنبات يظلله سقف من الطاووق على الطريقة التى وصفناها فى بناء قصر المتوكل وقد تهدم جانب من سقفه ، ويقال ان المأمون أراد هدمه فلم يوفق . وتعنى الحكومة بهذه البناية التاريخية . وقد رممت الجزء الأرضى بالأسمنت خوفا من التآكل . ولا يقل سمك جداره عن ٦ أمتار ولا تقل مساحة البناء والردهة عن ٣٠٠ متر

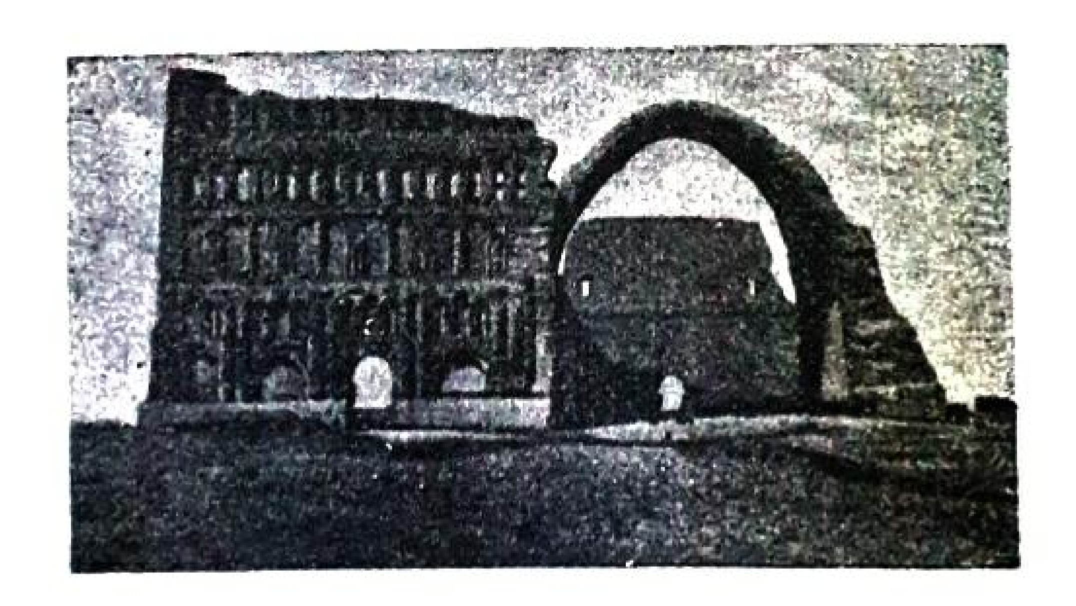
وفى سلمان باك هذا دارت معركة حامية بين الترك والانكليز فى ابان الحرب العظمى ، ولا تزال الخنادق التى حفرها المتحاربون قرب

« الطاق » على حالها ، فقد كمن الجنرال نور الدين باشا للانكليز وكانوا يتقدمون من البصرة فى سلمان باك بعد ما حصنها بالأسلاك الشائكة وابتدأت المعركة الكبرى بينهما يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٥ وانتهت ليلة ٢٥ منه بارتداد الانكليز ومطاردة الترك لهم حتى كوت الامارة وقد تحصن فيها الجنرال طاونسند ورجاله ثم اضطروا الى التسليم يوم ٢٩ ابريل من تلك السنة بعد ما عجزت القوات الانكليزية عن انقاذهم . على أن الانكليز استأنفوا الزحف بعد ذلك على بغداد فدخلها الجنرال مود يوم ١١ مارس سنة ٩١٧

وفى سامراء أيضاً وبين أطلال قصور الخلفاء دارت معارك غير ذات شأن بين الترك والانكليز ، والخنادق التى حفروها لا تزال على حالها ولم يستطع الترك البقاء طويلا فى سامراء بعد جلائهم عن بغداد فدخلها الانكليز ثم زحفوا على تكريت ومنها زحف الى شرقاط ولم تدر معارك بعد ذلك فى العراق وهكذا! فقد شهدت هذه البقاع تقلب الدول وتحولها والأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين



مشهد الحسن العسكرى فى سامرا



طاق كسرى فى سلمان باك قرب بغداد



رباط البهرة فى كربلاء

البهرة طائفة من الشيعة المسلمين ويعدون من غلاتهم كما يحشرون فى عداد الطوائف الباطنية ، وهم منتشرون فى اليمن (مخلاف نجران) وتدور الحرب بينهم فى الوقت الحاضر وبين الامام يحيى ويحاول امتلاك مخلافهم واستصفائه ، وقد احتل عاصمتهم بدراً . فلم يثنهم ذلك عن الدفاع ، ولم يضعف عزائمهم فهم ما برحوا يكافحون ويناضلون

وكذلك فهم منتشرون فى الهند والسند وبعض المدن العراقية وزعيمهم الأكبر ورئيسهم الروحى والدينى هو مولانا سيف الدين الكجراتى ، يقيم فى بمباى وأصله من اليمن هاجر أجداده الى الهند من عهد قديم ونشروا فيها طريقتهم وبثوا تعاليمهم ، ولا يقل أتباع هذه الطريقة اليوم عن نصف مليون ، يدينون لمولانا بالطاعة ويعد من كبار أغنياء الهند ويلقبه أتباعه بلقب داعى الدعاة ، ومعظمهم أغنياء ومنهم كبار التجار هنالك

ومما يمتاز به هؤلاء البهرة عن بقية الطوائف الاسلامية الباطنية ،

وجود روح تضامن قوية بينهم ، وشدة ميلهم الى النظافة ، واقامتهم أبنية فخمة فى المدن الاسلامية المقدسة ، يديرها رجالهم ، وينزل فيها الزوار من أبناء شيعتهم ، فيؤدون فروضهم ومناسكهم على الوجه المطلوب ، ثم يغادرونها مشيعين بالاحترام من دون أن يكلفوا دفع شىء ما مقابل اقامتهم الا ما تجود به أنفسهم لقيم الرباط وخدمه

وللبهرة فى العراق وحده سبعة أربطة وبعضها آية فى الفخامة والضخامة والاتقان وهذه أسماء المدن التى تقام فيها

البصرة ، العشار ، بغداد ، المسيب ، كربلاء ، الكوفة ، النجف

ولهم ثلاثة فى الحجاز : جدة ومكة والمدينة

واثنان فى الهند : بمباي وكراشى

فاذا جاء أحدهم العراق زائراً نزل فى رباط البصرة أو العشار معززا مكرماً ، ويقدمون له الطعام يوم وصوله ، كما يقدمون له زاد الطريق حين سفره ، ويغادر البصرة الى بغداد فينزل فى رباطهم ومنه يقصد كربلاء فينزل فى رباطها وهكذا يفعل فى النجف أو فى الكوفة وبقية المدن التى تضم أماكن للزيارة فى ذاك القطر

ومثل هذا شأنهم فى الحجاز ، فلهم فى مكة رباط فخم قرب الكعبة المشرفة ، أول طريق جياد ، ويعد من أفخم الأبنية فى أم القرى ، وقد زرته سنة ١٩٣٠ حين وجودى هنالك . ولا يقل رباطهم فى كربلاء عن صنوه فى مكة ، اتقاناً وانتظاماً ، فكلاهما ينار بالكهربائية ، وكلاهما

معد لأبناء هذه الطائفة ومستكمل لجميع ضروب الراحة مما لا يتيسر للزائرين من أبناء الطوائف الاسلامية الأخرى وينزلون عادة فى بيوت المطوفين فى الحجاز وفى الفنادق والبيوت الخاصة فى العراق

ولقد أرشدنى أحد الأصدقاء حينما هبطت كربلاء الى رباطهم وهو فى منبسط فسيح من الأرض ، غربى المدينة ، يطل على الطريق المؤدى الى بغداد ، ولا يبعد كثيراً عن المسجدين الحسينى ، والعباسى وبابه مغلق على الدوام ولا يسمح بدخوله للزوار الا بعد معرفتهم ، والوقوف على مقصدهم ، فطرقت الباب ، وهو أشبه بأبواب الجوامع الكبيرة ، وفى وسط احدى مصراعيه باب صغير (خوخة) ففتح وسأل سائل عن الطارق وكان الوقت بعد الغروب فقلت صحافى جاء من مصر لزيارتكم ودرس شؤونكم

فجاء على الأثر قيم الرباط وهو هندى تجاوز العقد الخامس ، يتكلم العربية بلهجة أهل العراق ، فرحب بنا وقادنا الى غرفة المكتب وهى الى شمالى الداخل ، وفرشها بسيط جدا ، وعلى جدارها رسم الملك فيصل ، ولم أدخل فى العراق بيتاً، ولم أغش ناديا ، ولم أقف على حانوت الا وجدت رسم الملك فيصل معلقا فى صدره ، والى جانبه رسم الملك غازى الجالس على عرش العراق ، وقد لا يكتفى بعضهم برسم واحد فيضع رسوماً متعددة فى أنحاء متجره أو منزله أو مكتبه

وطاف بنا الشيخ الهندى أبهاء الدار وأجنحتها وتتألف من طابقين وفى وسط الطابق الأرضى حوض للماء مستدير ومسقوف ، له حنفيات فى جوانبه ، يستقى منــه الزوار ويتوضأون ويغسـلون مواعينهم وملابسهم ، وقد بناه محسن من محسنيهم

والمسجد فى صدر المـكان ، وهو متسع فسيح ، نظيف ، انبثت المراوح الـكهربائية فى جوانبه وفى سقفه ، يؤدى فيه الزوار صلاتهم ، وعدد الغرف المخصصة للزوار ١٢٥ غرفة ، فى داخل كل منهـا حمام ومطبخ صغير وابريق كبير لطبخ الشاى (سماور) وللهنود ولع به ، وهو من لوازمهم الضرورية ، وسرير ، وقد توفرت جميع الشروط الصحية فى الغرف والأجنحة وهى آية فى النظافة وحسن الترتيب

ومعظم هذه الأجنحة مما تبرع ببنائه الأجواد ، وقد نقشوا لوحة رخامية الى جانب كل جناح تبرع بانشائه جواد منهم ، تخليدا لذكره وتنويها بكرمه ، وهذا ما نقش على رخامة أقيمت الى جانب جـدار المسجد الخارجى بخط عربى جميل :

« بسم الله الرحمن الرحيم : ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها . فى عصر سيف الدين مولى الورى . بانيه ابراهيم بن شرف دبهرورا لاتيدا وقفا لوجه الله سنة ١٣٣٤ »

وكتب على مكان آخر : « فى عصر سيدنا ومولانا الحادى والخمسين

فى الدعاة المكلفين أبى محمد طاهر سيف الدين صاحب مع عبده الأصغر ملا ابراهيم بن الشيخ الماجد هرو على الخ »

. . .

ومررت حين زيارتى النجف برباطهم وهو واقع قرب السور من جهة الشرق ، فألفيته دون رباط كربلاء فخامة واتقانا ، ووجدت عدداً من زوارهم هنا ، كما هو الحال فى كربلاء وفى المدن العراقية الأخرى فهم لا يفتأون غادين رائحين ، يزورون ويتبركون وبسكان تلك الأضرحة المقدسة يتشفعون



الاصلاح والتعمير

ترك الترك العراق - كما تركوا معظم الأقطار التى جلوا عنها - خراباً يباباً لا أثر فيها لحضارة أو عمران ولولا سد الهندية وقد انشىء فى أواخر العهد الاتحادى على الفرات لما كان هنالك أثر عمرانى يذكر الناس بذاك العهد وقد استمر نحو أربعة قرون

ووجدت الحكومة العراقية الجديدة نفسها أمام أنقاض وخرائب فلا طرق ولا جسور ولا مستشفيات ولا أطباء ولا مستوصفات ولا ماء مقطر ولا كهربائية ولا مدارس ولا دور للحكومة يأوى اليها موظفوها ، ولا دور للمحاكم ولا سجون ولا قشلاقات عسكرية ، فبدأت تنشىء العراق نشأة مدنية حديثة فأدركت خلال سنوات قليلة وبمساعدة الشعب وتأييده نجاحاً يحق لها أن تفاخر به وتباهى

ومما سار عليه ولاة الأمور العراقيون فى الدور الحاضر هو أنهم أهملوا المدن القديمة وبنوا مدناً جديدة الى جانبها ، لأنهم أدركوا صعوبة اصلاح القديم وترميمه فوجهوا عنايتهم الى الجديدة فهم يبدأون ببناء مدرسة ومستشفى ودار للحكومة وأخرى للبلدية وبغرس حديقة

كبيرة قرب كل مدينة ثم يخططون الشوارع ويرصفونها ويطلونها بالقار فبنى، الناس على الأثر الدور والأسواق طبقاً للمخطط الموضوع ثم يتابع العمران ويتلاحق فتبز المدينة الجديدة ، القديمة عمراناً ورقياً ونصبح محط الأنظار ومحل تزاحم الاقدام

وسهلت الحكومة وسائل الاتصال بين المدن بما شقته من شوارع وعبدته من طرق ، وحسبي أن أقول بهذه المناسبة انها أتمت تمهيد جميع طرق العراق وتعبيدها ويبلغ طولها ٦٠٠٠ كيلو متر فتطوى السيارة المسافات طياً مشرقة ومغربة بلا عناء ومشقة ، وقد أتموا حتى الآن طلى ٥٠٠ كيلو متر من هذه الطرق بالاسفلت وهم عاملون على طلى الأجزاء الاخرى ويتم ذلك فى خلال عشر سنوات على الا كثر مقدمين الإهم على المهم،ولا يقل ما أنفقوه على شق طريق ـ السليمانية ـ راوندوز ـ رايات ـ تبريز عن مئتى الف جنيه والغاية منه تسهيل الاتجار وتنمية الروابط الاقتصادية بين العراق وايران،وقوافل السيارات تروح وتغدو بين البلادين على هذا الطريق المعد على الطراز الأخير . وكذلك فهم يعملون بهمة زائدة فى تعبيد طريق بغداد ـ الموصل وطليه بالقار ولا يقل طوله عن ٤٠٥ كيلو مترات وينتهى فى زمن غير بعيد فتنتظم المواصلات بين بغداد والمقاطعات الشمالية

ولقد بحثت بحثاً دقيقاً فى وزارة المواصلات والاقتصاد لمعرفة طول الطرق التى أنشأ الترك فى العراق خلال حكمهم الطويل فعرفت أن

طريق بغداد ـ كربلاء وطوله ١١٠ كيلو مترات هو الطريق الوحيد الذى مهدوه لسير العربات مهملين الطرق الأخرى وفى جملتها الطرق التجارية الرئيسية كطريق ايران وطريق حلب ويجب علينا أن نعترف هنا بأن السيارات لم تنتشر فى العهد التركى انتشارها فى العهد الحاضر ، ومعنى ذلك أن الحاجة الى الطرق المعبدة لم تكن شديدة كما هى فى هذا العصر عصر السيارة ، فقد كان الناس يعتمدون فى متاجرهم وتنقلاتهم على الابل فى الدرجة الأولى . ولابد لنا من القول أن العراقيين كانوا يعولون فى مواصلاتهم على الملاحة فى أنهارهم الكبرى وخصوصا فى دجلة والفرات ، والملاحة فى دجلة منظمة على منوال حديث ففيها بواخر للركاب تسير بانتظام بين بغداد والبصرة ، وبواخر للشحن وزوارق بخارية ومراكب شراعية ، وفيها « البلم » وهو غيرمعروف فى مصر ، وذلك أنهم يأتون بمجموعة من الخشب لا يقل عددها عن العشرين يشد بعضها الى بعض على شكل مربع لا تزيد مساحته فى الغالب عن ٢٠ متراً طولا ومثلها عرضاً ، وبين كل خشبة وأخرى فاصل لا يقل عن ٢٠ سنتيمترا ويتكون عادة من جزئين وفى البلم تنقل المواد والعروض التى لايضيرها البلل بالماء ويقوده ملاحون من بلد الى آخر ، وهنا لك نوع آخر أيضا يسمونه « الكفة » وهو عبارة عن « قفة » كبيرة مجوفة يستعملونها للنقل فى داخل المدن بين ضفتى النهر

وتسهل الملاحة على البواخر والسفن الشراعية أيام الفيضان ولا سـ
فى انحدارها الى البصرة ، وتشح دجلة فى أشهر الخريف ، من نوفمبر
الى أواخر يناير فتصعب الملاحة فيها ثم يرتفع منسوبها تدريجا بما ترفدها
به الأنهار والجداول من ماء المطر المتساقط على جبال كردستان وتسافر
باخرة أسبوعياً من بغداد الى البصرة للركاب فتقطع المسافة فى خمسة
أيام . وتمر بالمدن الواقعة على الساحل لنزول الركاب وطلوعهم وتختلف
الحالة فى الصعود الى بغداد عنها فى الانحدار فلا تقطع البواخر المسافة
فى أقل من أسبوع أو أكثر ، وتقطع السفن الشراعية المسافة بين
بغداد والبصرة وهى منحدرة فى أسبوع أو أقل أيام الفيضان.ولا يمكن
تحديد الزمن فى الصعود فقد يبلغ شهراً أو شهرين ومما سمعته أن أستاذا
فى البصرة ركب النهر الى بغداد لقضاء العطلة المدرسية فلم يصل الا بعد
ثلاثة أشهر وخمسة أيام . ويسافر الناس فى أيام الربيع للنزهة وشم
الهواء فى البواخر النهرية يوم تلبس الأرض حلتها السندسية البهيجة
ويعتدل الجو

وارتبطت بغداد والبصرة بسكة حديد ، أنشأتها الحملة الانـكليزية
فى تقدمها نحو الشمال ابان الحرب العظمى ، فقد سار الانـكليز هنا على
الطريقة التى ساروا عليهـا فى فلسطين وذلك أنهم بدءوا بانشاء
سكة من البصرة رافقت حملتهم مرحلة مرحلة الى بغداد وكانت من
العوامل فى فوزهم وضمانـ خطوط مواصلاتهم ، ولولا الخط الذى

أنشأه الألمان بين بغداد وسامراء فى أواخر العهد العثمانى ليكون جزءا من أجزاء خط بغداد الكبير لما كان فى العراق متر واحد من سكك الحديد ، ويبلغ طول سكك الحديد العراقية اليوم ١٢٠٢ كيلو متر فى مقدمتها سكة حديد البصرة ـ بغداد وطولها ٥٦٦ كيلو مترا وتأتى بعدها سكة حديد بغداد ـ سامراء ـ بيجى وطولها ٢١٣ كيلو مترا وهى من الخطوط العريضة بعكس الخطوط الأخرى فهى ضيقة ، ثم خط بغداد ـ كركوك وبغداد ـ خانقين وطوله ٣٢٢ كيلو مترا وهنالك فروع أخرى . ولو تسنى لولاة الأمور العراقيين حل مشكلة سكك الحديد مع الانكليز لأصلحوا هذه السكك ورفعوا مستواها ووصلوا بعض أجزائها ببعض ولكنهم لا يزالون مختلفين حتى الآن فالانكليز يطالبون بما أنفقوه على انشاء سكة بغداد ـ البصرة ويأبى هؤلاء الدفع بحجة أنها أنشئت لأغراض عسكرية أدركت تماماً فلا محل للمطالبة بثمنها . ويأبى العراق أيضا انفاق شىء على اصلاح هذه السكك وتحسينها قبل تقرير مصيرها نهائيا .

. . .

هذا فى ما يختص بالطرق ووسائل المواصلات فالسيارات تجوب البلاد طولا وعرضا سالكة طرقا معبدة . أما فى ما يختص بالأعمال العمرانية وفى مقدمتها مشروعات الرى فقد علمت أن وزارة الاقتصاد قررت أن تفوض الى محل ناتال ومولم وبراند وعبود انشاء سد الحبانية

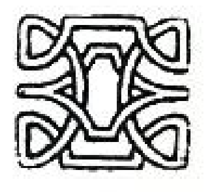
على نهر الفرات لأن عطاءه أقل عطاء ولان المدة التى تمهد باتمام العمل فى خلالها أقل مدة ، فقد قبل انشاء هذا السد بمبلغ ٩٩٩٨٥٤ دينارا عراقياً (جنيه استرلينى) على أن يتم فى خلال ٤٢ شهراً وقد أعدت الوزارة مشروع قانون لعرضه على مجلس النواب باجازة هذا الاتفاق ومتى أقره يبدأ العمل

وكذلك فوزارة المواصلات تشتغل بتنظيم شروط عطاء جديد لانشاء سد على نهر الغراف (دجلة) ومشروع آخر على نهر أبى الغريب (الفرات) وتدرس مشروعا جديداً لمكافحة النقارات فى الشامية (الفرات) لتنظيم الرى ويقدر المبلغ اللازم لهذا المشروع بنصف مليون دينار والغاية منه صيانة مجرى النهر وكذلك أنشىء جسران جديدان من الحديدفى الفلوجة (الفرات) وفى الموصل (دجلة) وسينشأ جسران فى بغداد وآخر على الزاب قرب الموصل . وهنالك أيضا مشروعات أخرى لحفر آبار ارتوازية وقد جاءوا بخبير أجنبي لهذه الغاية ، والمقصود هو توفير الماء لبعض المناطق التى يشح فيها .

ولابد لنا ونحن نتكلم عن الحركة العمرانية فى العراق من الاشارة الى مشروع السنوات الخمس وهو يقضى بانفاق ٢٨ مليونا من الربيات (نحو مليونين ومئة ألف جنيه) للاعمال العمرانية الرئيسية فى خلال سنى ١٩٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ وتسير الحكومة فى تنفيذه

ويقضى هذا المشروع بانشاء المستشفيات والسجون والمدارس

ودوائر البرق والبريد ودور المحاكم ودوائر الحكومة ومخافر الشرطة والطرق والجسور والخطوط التليفونية ومشروعات الري وغيرها .
ويضيق المقام دون ايراد تفاصيله ، وتبعث الحركة العمرانية القائمة على قدم وساق فى أنحاء العراق على الاغتباط وتدل على يقظة الشعب العراقى وحبه للعمران والتقدم وتعاونه مع الحكومة تعاونا صادقا لاصلاح ما أفسده الاهمال وسوء الادارة والدهر



الصحة

تعنى الحكومة الجديدة عناية خاصة بالشؤون الصحية وتعمل على مقاومة الأمراض المنتشرة فى البلاد وفى مقدمتها الانكلستوما والبلهارسيا والملاريا ووفيات الأطفال وهى نفس الأمراض المنتشرة فى القصر المصرى والتى يشكو منها المصريون ويعملون على مقاومتها

ولقد أهمل الترك العناية بالشؤون الصحية خلال حكمهم الطويل فلم يك فى العراق يوم جلوا عنه سوى ثلاثة مستشفيات فى عواصم الولايات وهى البصرة وبغداد والموصل وبضعة عشر طبيباً يتناول معظمهم راتبه من أموال البلديات لا من الحكومة . أما اليوم فيوجد فى خدمة مصلحة الصحة العراقية ٣٠٠ طبيب يتناولون رواتبهم من صندوق الحكومة ويعملون على تحسين الحالة الصحية ومكافحة الأمراض المنتشرة ويقومون على خدمة المستشفيات والمستوصفات وقد انتشرت فى كل مدينة وقرية كبيرة تقريبا ، يضاف اليهم جيش من الموظفين الصحيين وقد أنشأت الحكومة مدرسة خاصة لتخريجهم كما سيأتى

وتبلغ ميزانية مصلحة الصحة العامة السنوية ٢٧٠ ألف دينار (جنيه)

فى هذه الأيام مع مراعاة الأزمة الاقتصادية الحاضرة ويقوم على رئاستها الدكتور عبد الله بك الدملوجى وزير الخارجية فى الحكومة السعودية سابقا ثم قنصل العراق العام فى مصر ثم وزير الخارجية العراقية ويتمتع بمركز اجتماعى كبير فى العراق وهو يعمل بلا كلل ولا ملل لرفع المستوى الصحى وتنظيم المؤسسات الصحية ومما قاله لى ان الحكومة لا ترفض له طلبا يطلبه لتحسين الحالة الصحية فهى لا تبخل على الصحة بشىء .

ولابد لنا من القول ان الحكومة ألفت لجنة من كبار الأطباء لدرس الحالة الصحية فى العراق وللاشارة بما يجب عمله لتحسين الحالة الصحية ومكافحة الأمراض فاجتمعت هذه اللجنة اجتماعات فى وزارة الداخلية وضعت فى ختامها تقريرا مفصلا وافيا تعمل مديرية الصحة على تنفيذه وهو عبارة عن المنهاج الصحى للدولة الجديدة وسيطبق فى خلال عشرة أعوام .

. . .

وللحكومة فى جانب الرصافة مستشفى يطل على دجلة ، وقد بناه الترك قديماً فأصلحوه ووسعوه ويحتوى على ٤٠٠ سرير وهو مستكمل لجميع الشروط اللازمة مما يجعله مستشفى عصرياً راقياً ، وتقوم الى جانبه كلية الطب العراقية وقد أنشئت سنة ١٩٢٦ لتخريج الأطباء ويتولى التدريس فيها نخبة من الاخصائيين عددهم ١٦ طبيباً معظمهم

من الأجانب . وفى المستشفى أيضاً معهد للجراثيم (انتسيتو باستور) يستخرج مصل اللقاح ومعهد لاشعة رونتجن وفى جانب الرصافة أيضاً مستشفى للحميات والامراض السارية يحتوى على ٢٠٠ سرير وآخر للامراض الزهرية وتعد المعدات لانشاء مستشفى للرمد يحتوى على ١٥٠ سريراً ويفتح أبوابه فى السنة الحاضرة ، وفى جانب الكرخ من بغداد مستشفى حكومى وقد تقرر انشاء مستشفى آخر يحتوى على ٢٠٠ سرير وكذلك فى الكاظمية مستشفى يحتوى على ٥٠ سريراً ومثله فى الاعظمية وللحكومة ٤ مستوصفات فى داخل المدينة ، وفى المستشفى الملكى الكبير عيادة خارجيــة يتردد عليها المرضى بالمئات يومياً ولبلدية بغداد طبيبان أيضا يعنيان بالصحة البلدية أما عدد الاطباء الحكوميين فيها فهو ١٤ طبيبا وتسير الحكومة على قاعدة تقضى بانشاء مستشفى فى عاصمة كل لواء (مديرية) من ألوية العراق الاربع عشرة ما عدا البصرة والموصل فيكون فى كل منهـا ٣ وبانشاء مستوصف فى مركز كل قضاء وناحيــة وقرية كبيرة يديره طبيب أو صيدلى صحى . ويقضى البرنامج الذى تسير عليـه مصلحة الصحة بأن ينتهى تأسيس مستشفيات الالوية فى خلال سنة ١٩٣٥ وسيبلغ عدد المستوصفات ١٥٠ مستوصفا وهم يسيرون على قاعدة تقضى بالاكثار من هذه المستوصفات وتعميمها فى كل مكان لعظيم فائدتها .

وكذلك فقد أنشأت مديرية الصحة العامة مستشفيات سيارة (نقالى) ويتألف المستشفى السيار من سيارة كبيرة تضم بضع أسرة يتولاه طبيب معه موظف صحي ومهمته التجول فى الأحياء القاصية وزيارة منازل العشائر واسعاف المرضى والمصابين ونقلهم اذا دعت الحاجة الى العواصم وعدد هذه المستشفيات الآن ثلاثة وتضاعف فى السنة الجديدة لما ظهر من فوائدها .

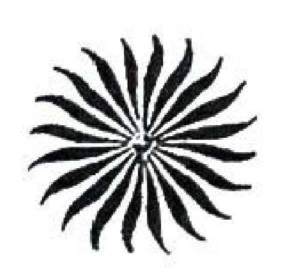
وأنشئت الحكومة العراقية أيضا أربعة مراكز صحية كبيرة فى مناطق الحدود ، البصرة وهى باب الهند والرمادى ، وهى باب سوريه وبلاد العرب وأوربا، ورايات وهى باب ايران، والموصل وهى باب تركيا مجهزة بالمعدات الصحية وفى كل منها طبيب مختص بالجراثيم (باكترلوغ) للفحص الفنى وفى خانقين على حدود الفرس أيضا مركز صحى يضم ١٠٠ سرير

وأنشئت أيضاً فى السنة الماضية مدرسة لتخريج الموظفين الصحيين ومدة الدراسة فيها سنتان ومتى نال الطالب الشهادة يقضى ستة أشهر متمرنا فى احدى المستشفيات الحكومية وراتبه ١٠ دنانير ويشترط فى الذين يدخلون هذه المدرسة أن يكونوا أتموا دراسة البكالوريا أو الكفاءة على الأقل ولا يقل عدد الذين يدرسون فيها عن ألفين

وكذلك أنشئت مدرسة للممرضات فى السنة الماضية لتخريج ممرضات لخدمة المستشفيات وقابلات للتوليد ومدة الدراسة فى قسم

القابلات ٣ سنوات ومع أنه اشترط فى المقبولات أن يكن حائزات لشهادة الكفاءة فقد تقدمت ٧٥ طالبة من حاملات هذه الشهادة فاختارت المديرية ١٢ للسنة الأولى وستأخذ ٢٠ للسنة التالية

وستنشىء مديرية الصحة العامة مدرسة لطب الأسنان فى الكلية الطبية ، وقد ألغيت مدرسة الصيدلية طبقا لتوصية اللجنة الطبية على أن يرسل الذين يودون دراسة هذا الفن الى بيروت أو احدى الجامعات الأخرى لاتمام دراستهم مراعاة للاقتصاد



الصناعة فى العراق

كان العراق حتى نهضته الجديدة محروما من الصناعات الحديثة، قوام الحياة الاقتصادية وركنها الركين فلما أنشئت الدولة الجديدة فى ربوعه واستقرت أموره ظهر النشاط فى كل فرع من فروع الحياة العامة وكان للصناعة من هذا النشاط الحظ الأوفى

ولعل معمل الجوخ العراقى فى الكاظمية على شاطىء دجلة من أعظم دور الصناعة الحديثة فى العراق وأكبرها شأنا فقد بدأ الوجيه فتاح باشا وابنه نورى بك بانشائه فى سنة ١٩٢٦ يساعدهما نسيب لهما درس فن الميكانيكا الصناعية واختص بها ، فتولى ادارة العمل الفنى وفى سنة ١٩٢٧ تم انشاء هذا المعمل ويضم اليوم ٣٠٠ عامل عراقى حذقوا عملهم وأتقنوه . وهنالك خبير المانى يستخدمونه وقتياً ريثما يعود من أوربا الذين أرسلوا للتخصص فى العلوم الصناعية

زرت هذا المعمل ، فأعجبنى اتقانه ونظامه ، وسرنى أن يكون فى البلاد العربية أمثال هذه المعاهد الصناعية ويرجى أن تكون نواة نهضتنا الاقتصادية ، تتلو النهضتين السياسية والوطنية فما أخر الشرق سوى فقر شعوبه واهمالها الصناعات وأخذها بالسفاسف والقشور .

وتمتاز هذه الدار الصناعية عن أمثالها فى الشرق العربى بكونها مستكملة لجميع ما تحتاج اليه من معدات وبكونها تغزل الصوف وتصبغه وتنسجه وتخرجه جوخاً للبس والاستعمال أى انها حاوية لجميع المعدات اللازمة لهذه الصناعة الراقية

ولقد شاهدت نفس هذه العملية فى أدوارها ورأيت الصوف تعلوه طبقات من الغبار والأقذار حينما يؤتى به من الأرياف فتتسلمه نسوة يعملن فى (عنبر) قرب الباب فيبدأن بنفشه واعداده وبعد الانتهاء من هذه العملية البسيطة ينقل الى أحواض معدة لغسله ، فينقع بادىء بدء فى حوض خاص مملوء بالماء الحار الممزوج بالصودا والصابون مدة ساعتين ثم ينقل الى حوض آخر فثان وثالث ورابع أى انه يسير بنفسه مضغوطا بقوة البخار من حوض الى حوض حتى الرابع وهو أكبرها فيستقر فيه قليلا ثم يخرج منه وهنا تنتهى عملية الغسيل وتبدأ عملية جديدة هى عملية التجفيف تتولاها ماكينة خاصة فى عنبر (الغسيل) فتجففه وتقصره وبعد أن يعرض لنور الشمس ينقل الى المصبغة فيصبغ فى أحواض خاصة معدة لذلك . ومنها ينقل الى قسم (الحلج) ثم الى ماكينات التمشيط فيخرج منها خيوطا صوفية وتتكرر « عملية » التمشيط مثنى وثلاث ورباع فى ماكينات خاصة وفى كل مرة يزداد الصوف المحلوج الممشط نعومة ومن هنالك ينقل الى المغازل فتبدأ عملية الغزل وتتكرر أيضاً فى أدوار مختلفة حتى يخرج الخيط أو « الفتلة »

طبقا للحاجة المطلوبة ويبلغ طول الكيلو غرام الواحد من الصوف ٢٤ الف متر اذا كان الخيط رفيعاً و ١٢ ـ ١٤ الفا اذا كان ثخيناً

وبعد أن يصبح الصوف خيوطا رفيعة ناعمة ينقل الى ما كينة « السدى » فتمده للانوال ثم ينقل الى المناسج ولها عنبر كبير وعددها عندهم ٨٤ نولا أو منسجا وجميع آلات العمل تدار بالكهربائية وعندهم مولدان للقوة الكهربائية تديرها ما كينات بقوة ٢٥٠ حصانا تقريباً

وينقل الجوخ بعد انتهاء نسجه الى الغسيل فتغسله ما كينات خاصة فى أحواض مملوءة بالماء الساخن المزوج بالصودا والصابون وتدقه وتدعكه وتقصره ثم ينشف فى ما كينة أخرى أى ان العملية التى عملت قبل النسج تتكرر ولكن بطرق وأساليب غير تلك . ثم ينقل الى فرن فيوضع فيه مدة ثم يوضع فى ما كينة خاصة تنظفه وتزيل ما يعلوه من وبر وتتكرر هذه العملية مثنى وثلاث ورباع على البخار ثم يرسل ثانية الى الفرن ثم يكوى بمكاو خاصة ثم ينظف باليد ثم يكوى ثم يسلم الى ما كينة تطويه وتخرجه أثواباً جاهزة وتضع على كل ثوب رقمه وطول الثوب الواحد ١٠٠٠ متر ولما وقفت على العامل الذى يتولى هذه العملية كان يرقم بالعربية ٣٠١٣ على الثوب الموجود بيده

ويخرج المعمل يوميا ٧٠٠ متر من الجوخ وفى استطاعته أن يزيد هذه الكمية عند الحاجة وتباع مصنوعاته فى العراق بأثمان بخسة فثمن

المتر الواحد من النوع الجيد لا يزيد عن ٢٥ قرشا صاغا ويصدر كميات الى سورية وفلسطين والخليج الفارسى وايران ومصر وتلقى رواجا لرخصها وجودة صنعها

ولقد ذكر لى مدير المصنع انه كان فى نيتهم استحضار صوف من استراليا وهو أنعم من الصوف العراقى وأصلح للنسج وكانوا يعتمدون على مساعدة المغفور له الملك فيصل فقد وعدهم بأن يمدهم ماليا كما ساعدهم فى جميع أدوار العمل وشجعهم ، بيد أن وفاته قضت على هذا المشروع أو أرجأته الى وقت آخر على الأقل . ويقدم المعمل للجيش العراقى ما يحتاج اليه من ألبسة شتوية ومن « بطانيات » ويخرج من هذه كميات كبيرة تلقى رواجا عظيما فى أسواق العراق والشام لرخصها وجودة صنعها كما يقدم للشرطة العراقية وطلاب المدارس ما يحتاجون اليه من ألبسة يصنعها

وفى المعمل أيضا « مفاتل » لغزل الخيطان تخرج مقادير كبيرة منها وعندهم مغزل صغير لغزل القطن أو الحرير الصناعى ويحتاجون اليه فى صناعتهم . وكذلك فهم يخرجون مقادير كبيرة من خيطان الصوف يبيعونها للنساج فى بادية العراق وفى مدنه فيحيكون منها العباءات ولا يزال عدد لابسيها غير قليل فى بغداد نفسها وهم يكثرون فى الأرياف فلابد للابس الملابس العربية من عباءة يضعها فوق ثوبه فى جميع فصول السنة وتختلف بحسب اختلاف الفصول

وفى العراق أيضا صناعات جديدة نشأت مع النهضة الجديدة ونمت فى ظلها ، وفى مقدمتها صناعة لفائف التبغ فقد كان العراقيون يعتمدون حتى الأيام الأخيرة على ما يسمونه لفائف « الدك » وطريقة صنعها بسيطة جدا وهى أنهم يأتون بالدخان فيكسرونه بأيديهم حتى ينعم ثم يملؤونه باليد فى ورق خاص أعد له ويبيعونه على هذه الطريقة بثمن بخس ، ومخازن باعة التبغ فى الأرياف مملوءة باللفائف الفارغة ولا تملأ الا عند البيع . أما الخاصة فكانوا يعتمدون على التبغ التركى فى عهد الترك ثم على التبغ الانكليزى فى عهد الاحتلال

وفى بغداد اليوم ما لا يقل عن ١٠ معامل لفرم التبغ واعداده طبقا للاساليب الحديثة يعمل فيها نحو ٣٠٠٠ عامل والتبغ الرائج عندهم هو التبغ العراقى وقد جاءوا بتقاويه من تركيا وزرعوه فى المناطق الشمالية الجبلية المجاورة للاناضول ولا سيما فى منطقة « السليمانية » فنجحوا نجاحا كبيراً كما يقولون وولدوا تبغا لذيذاً . والتبغ رخيص فى العراق بالنسبة لما هو عليه فى مصر والشام لعدم الاحتكار أو لعدم فرض رسوم جمركية باهظة كما يظهر فعندهم أنواع عديدة منها غازى والرشيد وفيصل والملوكى وعبد المحسن السعدون وعلبة فاخرة وسعر العلبة ذات العشرين لفافة من الصنف المتوسط ١٠ مليمات ومن الجيد ١٦ مليما

وكذلك فقد بدأوا بادخال صناعة طبخ الصابون وقد كانوا حتى الحرب العظمى يستوردون مقادير كبيرة من سورية وفرنسا . وفى بغداد

اليوم ٣ معامل لطبخه ويستحضرون مواده الأولية من الخارج لعدم وجودها فى العراق . ولا تزال هذه الصناعة فى دور التكوين ولم تلق من النجاح ما أصابته صناعتا نسج الجوخ ولفائف التبغ

وكذلك عندهم معمل للدباغة . وقد أنشأه أحد أغنياء بغداد سنة ١٩٢٨ ويديره نجله وقد درس هذه الصناعة فى انكلترا ، ويخرج هذا المعمل ولا يزال صغيراً للعراق ما يحتاج اليه من جلد ونعل ، وتباع الأحذية من مصنوعاته بأثمان رخيصة جدا فى أسواق بغداد ويقبل عليها الناس

وقد بدأوا حديثا بانشاء معمل لغزل الصوف ونسج الأقمشة الصوفية ويرجى أن ينجز قريباً فيستغنى العراق عما يستورده من الأقمشة الصوفية

هذا بعض ما عرفته عن حالة الصناعة الجديدة فى العراق ولا تزال فى دور النشوء والتكوين والمأمول أن تنمو وتتقدم فى ظل الدولة العربية الجديدة وبتأييد العرب كافة ومساعدتهم . فالشرق فى أشد الحاجة الى ترقية صناعاته حفظا لثروته ولايجاد أعمال للعاطلين من أبنائه وهم كثيرون

نهضة التعليم فى العراق

لعل أعظم ما فى العراق هذه النهضة التعليمية العظيمة وهذا الاقبال الزائد على طلب العلم والارتشاف من مناهله العذبة

ولقد كان مؤسس دولة العراق عليه الرحمة والرضوان يعمل على تعميم التعليم ونشره بمختلف الوسائل والأساليب ، ويعنى بوجه خاص بتعليم البنت ، وكان تعليمها غير معروف تقريبا فى العراق ابان العهد القديم،لاعتقاده بأنه لا يمكن انشاء أسرة عربية بالمعنى الاجتماعى المفهوم من هذه الكلمة إلا على يد المرأة المتعلمة ، فالمرأة الجاهلة الخاملة نكبة على نفسها وعلى أهلها وعلى أسرتها وعلى أمتها . وكذلك كان يعنى بتحضير العشائر — ويؤلف أبناؤها ٥٥ فى المئة من مجموع سكان العراق ويعمل على نشر التعليم بينهم وتعويدهم الحياة المدنية واذاقتهم طعمها العذب لاعتقاده أيضا انه لا يمكن اصلاح وطن يعيش نصف أبنائه عيشة البداوة ويسيرون على سننها وتقاليدها

ولقد سمعت كثيرا عن الأساليب التى كان يلجأ اليها فى نشر تعليم البنات بوجه خاص ، ومما رووه لى أن سكان الكاظمية

أبوا أن يرسلوا بناتهم الى مدرسة البنات التى أنشأتها الحكومة فى أوائل هذا العهد بأمر الملك فلم يدخلها فى سنتها الأولى سوى تلميذتين أو ثلاث ، وظل الأمر على ذلك تقريبا فى السنة التالية فاقترحت وزارة المعارف اغلاقها لعدم الاقبال عليها فقال انه لا يغلقها ولو ظلت المدرسة وحيدة فى المدرسة ثم لجأ الى أساليبه الخاصة فى حض الناس على التعليم فكان يخاطب الشيوخ والرؤساء والوجهاء الذين يزورونه داعيا اياهم الى ارسال بناتهم الى المدرسة ومظهرا فوائد التعليم ولا يدعهم الا بعد ما ينال منهم وعداً باجابة طلبه . على أن مهمته ما كانت تنتهى عند هذا الحد بل كان يرقب تأثير سعيه عند الذين خاطبهم ومتى اتصل به ان أحدهم أرسل بناته الى المدرسة استدعاه اليه فى الغداة وقربه منه وقضى له مصالحه ويسر له أموره . فيسمع ذلك جيرانه فيقتدون بصاحبهم . وقد كانت هذه الطريقة من جملة الأساليب التى أدت الى رواج تعليم البنات وانتشاره فى أنحاء العراق . وحسبي أن أقول بأن فى مدرسة الكاظمية وحدها اليوم نحو ٢٥٠ تلميذة يتعلمن القراءة والكتابة ، وقد أنشأت الحكومة دارا فخمة لها بعد ما اعتزمت الغاءها فى السابق كما علمت

وخطا تعليم البنات فى هذه السنوات خطوات واسعة وانتشر انتشارا يذكر فأقيمت المدارس والمعاهد فأقبل عليها الناس اقبالا

يذكر فارتفعت أرقام التلميذات وزاد عـدد المدارس كما ينطق بذلك الاحصاء الآتي :

كان عدد مدارس البنات في العراق سنة ١٩٢١ المدرسية أي حين انشاء الدولة الجديدة ٢٧ مدرسة ابتدائية تضم ٣٠٤٩ تلميذة فارتفع في سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ المدرسية الى ٧٤ مدرسة ابتدائية تضم ١٠٦٨٧ تلميذة وتدرس فيها ٣٧٨ مدرسة

وهنالك أيضاً ٥ مدارس متوسطة ذات صفوف لتعليم البنات : اثنتان في بغداد وواحدة في الموصل ومثلها في كل من العمارة والحلة والبصرة، وقد أنشئت مدرسة ثانوية للبنات في بغداد خلال السنة الجديدة وبلغ عدد الطالبات في هذه المدارس خلال السنة الماضية ٤٤٠ طالبة وفي بغداد أيضاً دار معلمات لتخريج مدرسات عدد طالباتها ٣٠

وأنشأت حديثاً دار معلمات ريفية في الديوانية لتخريج مدرسات لمدارس البنات في الأرياف وفتحت في هـذه السنة أيضاً مدرسة « الفنون البيتية » لتعليم البنات الشؤون المنزلية من تربيـة الأطفال والعناية بهم والتمريض والخياطة والطبخ والـكي ، ويشترط في اللواتي يقبلن فيها أن يكن ممن نلن الشهادة الابتدائية . ومدة الدراسة فيهـا ثلاث سنوات ويبلغ عدد تلامذتها ١٥٠ تلميذة في الوقت الحاضر .

ولابد لنا من الاشارة الى بعثات البنات فقد سارت وزارة المعارف على خطة ارسال الطالبات اللواتي يتخرجن من المدارس المتوسطة الى

مدارس بيروت العالية للبنات لاكمال تحصيلهن . وقد جاء فى احصاء رسمى أن عددهن بلغ فى سنة ١٩٣٣ الماضية ١٨ طالبة يتعلمن على نفقة الحكومة

. . .

ولقد سارت الحكومة فى ترقية التعليم وتنظيمه على الأسس التى سارت عليها فى العناية بالصحة وكما انشأت وزارة الداخلية لجنة من الأطباء الأخصائيين لوضع تقرير مفصل فى الخطط التى يجب السير عليها لمكافحة الأمراض ورفع المستوى الصحى ، فقد جاءت من الولايات المتحدة ببعثة من كبار رجال التعليم لدرس حالة المعارف ونظم التعليم والاشارة بما يجب عمله للاسترشاد بآرائها واختباراتها وقد زار هؤلاء العراق شتاء سنة ١٩٣٢ ووضعوا تقريراً مفصلا مطولا طبعته الحكومة العراقية على حدة مترجما وعدد صفحاته ١٧٦ بالقطع المتوسط وتتألف هذه البعثة من الدكتور بول منرو مدير المعهد الأممى فى كلية المعلمين « جامعة كولومبيا » فى نيويورك والدكتور وليام تشاندلر والدكتور ادكار واليس نايت والأخيران من أعضاء المعهد الأممى بدار المعلمين أيضاً وانضم اليها فى بغداد الدكتور محمد فاضل الجمالى « المدير العام لوزارة المعارف العراقية اليوم خبيراً » فقضت شهرين وبضعة أيام باحثة دارسة . واليك ما قالته فى صدد تعليم البنات : « لم تعجب اللجنة

بشيء من أمور معارف العراق اعجابها بالاهتمام الحقيق الظاهر فى كل مكان بتعليم البنات والنساء ، ومع قلة عدد المدارس فاستحسان الجمهور لها واضح بدليل كثرة اقبال الطالبات عليها وحسن دراستهن فى الصفوف المتيسرة وتبرع الجمهور لها ، وهنا لك ظاهرة أخرى تبعث على الارتياح الكبير وهى اهتمام الطالبات انفسهن بما تهيؤه لهن المدرسة من فرص للقيام بأعمال مفيدة اجتماعيــة وقد ظهر للجنة من محادثتها عدداً من طالبات الصفوف المتقدمة فى المدارس التى زارتها ان التلميذات مولعات بأن يتدربن فى المستقبل ويخدمن كمعلمات أو طبيبات أو ممرضات واختصاصيات حتى ان بعضهن طلبن أن يكن محاميات وموظفات فى المصالح العامة الخ »

وهنــالك المدارس الطائفية الخاصــة بالنصارى واليهود وتساعدها الحكومة وعددها ٤٧ مدرسة عدد تلاميذها ١٢٣١٢ الفاً منهم ١٢٢ تلميذة فى المدرسة الاميركية للبنات فى بغداد و ٩٦٦ فى مدارس البنات للكرمليين و ١٥٧٦ فى مدرســة لورا خضورى بنات . ومدرســة البنــات الاسرائيليات فى البصرة وفيهــا ٢٩٨ ومدرســة القديس عبد الأحد فى الموصل وفيها ١٧٦ تلميذا

. . .

وتقدم التعليم الابتدائى تقدماً عظيما فى خلال هذه المدة فبعد ما كان

عدد المدارس فى العراق خلال سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ المدرسية ٧٤ مدرسة تضم ٦٧٤٣ تلميذاً و ٣٦٣ مدرساً ارتفع تدريجاً حتى وصل عدد المدارس فى سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ الى ٣٩٠ مدرسة ابتدائية تضم ٤٣٦٤٣ تلميذاً و ١٦٠١ مدرساً وتسير وزارة المعارف على خطة جديدة ترمى الى مساواة الألوية فى التعليم وفى المدارس فلا تكثر فى مكان ولا تقل فى مكان آخر ولا يزاد لهذا ولا ينقص لذاك وهى ترجو أن يتم لها ذلك فى سنة ١٩٤٠ فتعم المساواة وينتشر التعليم بنسبة واحدة فى كل مكان . وقد أنشئت حديثاً فى البدعة (شطرة المنتفك) دار معلمين ريفية لتخريج مدرسين للعشائر والقرى

. . .

ويعنون أيضاً بالتعليم الثانوى ويبلغ عدد المدارس المتوسطة للبنين ١٩ مدرسة وذلك عدا المدارس المتوسطة للبنات وعددها سبع ـ وعدد طلاب المتوسطات ٢٧٣٤ طالبا . وعندهم أربع مدارس ثانوية فى بغداد والموصل والبصرة والنجف تضم ٢٥٣ طالباً . وتسير الحكومة على سياسة تعميم المدارس الثانوية ليكون فى عاصمة كل لواء واحدة منها ومدرسة للمعلمين فى بغداد عدد طلابها ١٦٥

ويعنى ولاة أمور وزارة المعارف بالبعثات العلمية ويرون الاكتفاء بها فى الوقت الحاضر ومعنى ذلك انه لا توجد هناك فكرة انشاء جامعة

للتعليم العالى لأن الحالة لا تساعد على التوسع فيه كما انهم يرون وجوب التريث فى انشائها ريثما تتكامل النهضة العلمية الحديثة فى بلاد العرب فتقوم فى بغـداد جامعة عربية كبيرة لنشر الثقافة القومية طبقا للاساليب الحديثة أى ان المسألة مسألة زمان لا أكثر ولا أقل . وقد بلغ عدد أعضاء البعثات ١١٠ فى الوقت الحاضر « عدا البنات » فمنهم ٤٠ فى جامعة بيروت الاميركية و٢٣ فى انـكلترا و ٢٦ فى مصر و ٤ فى فرنسا و ٣ فى تركيا و ٦ فى المانيا وواحدة فى النمسا

ويجب أن لا يؤخـذ من هذا ان الحكومة العراقية تهمل التعليم العالى ففى بغداد مدرسة للحقوق تخرج للبلاد ما تحتاج اليه من قضاة وموظفين اداريين ومحامين وأخرى للطب ومدرسة للحربية وكانت هنالك مدرسة زراعية أغلقت سنة ١٩٣٠ لأن خريجيها انصرفوا الى طلب المناصب والتهافت عليها بدلا من الاشتغال بالأعمال الزراعيـة الحرة ، والمدرسة الزراعية الوحيدة فى العراق اليوم هى مدرسة الحلة الريفية وتعلم الزراعة تعليما عملياً لشبان الفلاحين ويشترط فى طلابها أن لا يقـل سنهم عن ١٨ ولا يزيد عن ٢٥ وقد انشئت فى السنة الماضية وعدد طلابها ٨٠

...

وتنفق الحكومة العراقية بسخاء على التعليم فبعد ما كانت ميزانية

المعارف ضئيلة جـدا لا تزيد عن خمسين الف جنيه في العهد السابق بلغت ٣٦١ الف دينار في السنة الماضية زيد عليها ٨٤ الف دينار للسنة الجديدة فبلغت ٤٤٤ الف دينار ولا يدخل في هذا الحساب ما تدفعه وزارة المالية لبنـاء دور المدارس من ميزانية المشروعات الرئيسية وميزانية الأعمال العمرانية لخمس سنوات ، فقد دفعت في السنة الماضية ٢٥ الف دينار وينتظر أن تدفع مثلها لهذا العام . وزيادة في البيان نقول ان الحـكومة العراقية تنفق على التعليم بمعدل ٣٧ : ٨ في المائة من معدل دخلها والتعليم في جميع مدارس الحـكومة مجاني

. . .

وفي العراق مدرستان صناعيتان الأولى في بغداد وعدد طلابها ١٩٢ والثانية في الموصل والتعليم فيها متوسط ومجاني وتنشيء الحـكومة في العاصـمة مدرستين ، للذكور والاناث على الطراز الحديث : الأولى لتخريج طبقة راقية من الموظفين ، والثانية لتعليم بنات الطبقة الراقيـة تعليما راقياً وستكون أجور التعليم فيها باهظة وربما افتتحتا في أوائل السنة الدراسية

وتعنى الحـكومة بتعليم الأميين وقد فتحت صفوفاً خاصـة لهم في المدارس المتوسطة والمدارس الابتدائية ويقدر عدد الذين يترددون على هذه الصفوف بعشرة آلاف في أنحاء العراق وقد أدرك بعضهم نجاحا .

وتسود وزارة المعارف المراقبية روح نشاط مشهودة ويدأب رجالها ليل نهـار على نشر التعليم وتوسيع نطاقه متخذين لذلك شتى الوسائل وعاملين على رفع المستوى العلمى والأخلاق فى البـلاد وقد أثمرت جهودهم ثمرات طيبة تبشر بمستقبل زاهر وكل من سار على الدرب وصل .

على آبار النفط فى كركوك

فى بقعة صغيرة من الأرض ، تبعد ثلاثة كيلو مترات عن مدينة كركوك الى الجنوب وتمتد حتى شط الزاب الأكبر ولا تزيد مساحتها على ٤٠ كيلو متراً طولا ومثلها عرضاً ، تدفن ثروة عظيمة يقدر ثمنها بمئات الملايين من الجنيهات ، تلك هى البقعة التى يستنبطون منها النفط فى كركوك . ويسمونها بابا كركر

زرت هذه البقعة الصغيرة فى أثناء تجوالى، فجئت كركوك وهى على ٢٠٠ ميل من بغداد شرقا وتقوم فى منطقة قاحلة من سلسلة جبال حمرين وتفصل بين العراق وايران

وكركوك مدينة قديمة سكانها خليط من العرب والكرد والترك ، يتكلمون اللغات الثلاث ومع أن قانون اللغات المحلية وقد وضعته الحكومة العربية فى العراق يقضى بأن يكون التعليم الابتدائى باللغة التركية فى كركوك ثم بالعربية فى السنة الدراسية الرابعة، الا أن جمهور السكان يلح فى أن يكون التعليم فى جميع مراحله عربياً ليتسنى لابنائهم التضلع فى هذه اللغة واتقانها لمواصلة دروسهم فى المدارس العليا ، وقد كان بين فرق الكشافة العراقية التى زارت مصر والشام فى الربيع

الماضى ثلاثة من أبناء كركوك عادوا اليها وهم مشبعون بروح الجامعة العربية يبشرون بها ويدعون اليها

وكركوك مركز لواء، وتعد عاصمة بلاد الشرق العراقية وتتألف من ثلاثة ألوية : كركوك والسلمانية واربيل وأكثرية السكان فى اللوائين الاخيرين من الكرد وقد قررت الحكومة العراقية انشاء ثكنة عسكرية واسعة هنا تكون مقراً للقيادة العسكرية فى المنطقة الشرقية . ويقسم العراق عسكريا الى ثلاث مناطق : المنطقة الجنوبية ومقرها بغداد والمنطقة الشمالية ومقرها الموصل والمنطقة الشرقية ومقرها كركوك

وتنقسم هذه المدينة كجميع المدن العراقية الى قسمين : مدينة قديمة قائمة حول القلعة داخل السور القديم وهى مما خلفه الترك ولا أثر فيها لحضارة أو عمران ، وكركوك الجديدة أو كركوك العرب وهى حديثة ، واسعة الشوارع تنار بالكهرباء وتسقى بالانابيب وقد غرست الأشجار حولها وأقيمت الحدائق فى وسطها . وفيها ناديان كبيران : النادى العسكرى والنادى الملكى ، وقد زرته وهو فسيح الغرف متسع الأرجاء ورأيت فيه رسماً مكبراً لجلالة الملك غازى بالملابس العربية وقد تمنطق بالخنجر

ومتصرف كركوك اليوم جميل باشا الراوى وهو لواء عسكرى عرفته قديما فى مصر ، اشترك فى الثورة العربية الاولى كما اشترك فى

الحرب الحجازية النجدية الأخيرة وكان ياوراً عسكرياً لجلالة الملك على ثم عاد الى العراق فانتخب نائبا فى مجلس النواب وتقلد وزارة الأشغال العامة فى وزارة نورى باشا السعيد الاولى ثم وزارة الحربية ، وهو فى كركوك من سنة وثلاثة أشهر يدير شؤونها ويعمل على اصلاحها وتعميرها وعنده سلسلة من المشروعات العمرانية يرجو أن يوفق الى انجازها وفى مقدمتها مشروع للرى يروى مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية على نهر الزاب باعادة حفر الجداول القديمة التى كانت تروى هذه الأراضى فى العهد العباسى وقد اهتدى اليها بعد طول بحث . ويقول ان نفقات هذا المشروع كله لاتزيد على ٢٠ الف دينار وافقت حكومة بغداد على انفاق نصفها من ميزانية هذا العام وسيبدأ العمل قريباً . ولا تدخل على موظف ادارى عراقى فى الالوية (المديريات) الا ويطالعك بسلسلة من المشروعات العمرانية يعمل لتحقيقها فى دائرة عمله محاولا اقناعك بضرورتها وشدة الحاجة اليها وراميا حكومة بغداد بالاهمال وعدم الاهتمام بشؤون البلاد وملقيا عليها كل تبعة . ولقد صرت أشعر بعد طوافى فى العراق واجتماعى بحكامه بعطف على حكومة بغداد المركزية فقدأدركت أنها مهما رزقت من الثروة والغنى لاتستطيع تلبية طلبات هؤلاء وكل منهم يسعى لينال قسطا أكبر من المال لتنفيذ مشروعاته وتعمير أرضه ، ويمكن القول ان فى العراق حماسة عمرانية شديدة فأين سار الانسان وأنى اتجه يشاهد عمراناً جديداً ورقياً

وتقدما فهنا قطر عظيم واسع شاسع تركه الترك خاليا من كل شيء
يراد افراغه بشكل دولة عصرية مدنية راقية فى أقصر زمن

...

وزرت المستر هتشكوك مدير قسم الأراضى لشركة النفط فى مقر الشركة (الـكامب) فتفضل ورافقنى فى جولة قصيرة فى داخل هذه الرقعة الصغيرة من الأرض وقد دفنت فيها ثروة لاتقوم ولا تثمن ، لم يحسن الترك استغلالها سحابة حكمهم الطويل لهذه البلاد وهى تستغل الآن على أفضل منوال

ويقول المستر هتشكوك ان منطقة بابا كركر ، ويطلقون هذا الاسم على مجموع الأراضى التى يستنبط منها النفط وهى محصورة بين كركوك وشط الزاب تعد من أحسن مناطق النفط فى العالم وأغناها . وفى هذه المنطقة الصغيرة ٣٧ بئراً يستخرج منها النفط ويتفاوت عمق البئر بين ١٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ يرد

وللشركة فى هذه المنطقة مركز للتصفية يقطر ١٠ آلاف غالون يومياً وذلك انهم يأتون بالنفط الخام من الآبار الى مستودع أقيم على شكل حوض كروى شبيه بالأحواض التى تقام فى بعض محطات سكة الحديد للماء ومنها يرسل بمضخات الى ماكنة التقطير ويشترك فى هذه العملية الماء والنار فيذهب البنزين الى ناحية خاصة به بعدما يغسل بالصودا الـكاوية ومثله الـكاز، ومن النفاية يتكون القار ويتخذ لرصف الشوارع

ولا يمكن تقطير الـكاز بلا بنزين وانما يقطر البنزين بلا كاز

ومما يستحق الذكر أن معظم الفنيين هنا من الاميركيين يساعدهم عمال عراقيون . ويبلغ عدد هؤلاء ٧٠٠٠ عامل

. . .

وبعد جولة قصيرة بين هذه الـكنوز وقد شاهدنا فى بعض أماكنها النيران تطل من جوف الأرض فتؤلف منظراً بهياً رائعاً — وكان الأقدمون يعبدون هذه النيران ويقدسونها — وصلنا الى رأس الأنابيب فى داخل (الـكامب) وهم يقيمون هنالك مستودعات كبيرة يسع الواحـد عشرة آلاف طن من النفط وهى شبيهة بخزانات الماء فى محطات سكة الحديد ، ومما علمناه أن ماتخرجه الآبار من النفط يرسل الى هذه المستودعات ليصب فى خطى الانابيب وهم ينشئون خطين لاخطا واحداً فيسيل بقوة المضخات ويبنون الى جانب هذه المستودعات بناية كبيرة ضخمة قالوا انها ستكون قاعدة للمضخات وتصل بعد شهرين من انكلترا ومتى انتهوا من تركيبها يصبح فى الامكان اسالة النفط . وتبدأ التجربة الاولى فى شهر يناير المقبل وتستمر طول سنة ١٩٣٤ على أن يبدأ العمل من أول سنة ١٩٣٥ ويقول المستر هتشكوك ان الحد الادنى للانتاج السنوى بعـد دخول سنة ١٩٣٥ لا يقل عن أربعة ملايين طن وقد يزاد

ويسيل النفط من رأس الأنابيب فى بابا كركر حتى الحديثة على الفرات وهنالك تجرى عملية تقسيمه فيسيل نصيب الفرنسويين الى

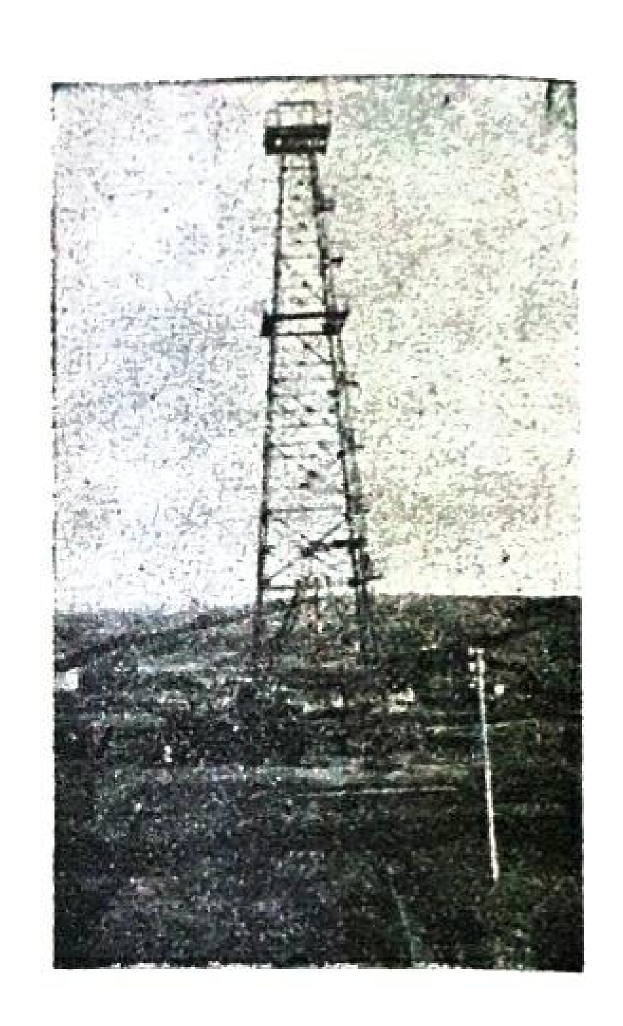
طرابلس الشام ونصيب الانكليز والاميركيين الى حيفا ويصفى فى دور التصفية هنالك ومعنى ذلك أن ما يصفى هنا يستخدم فى أغراض الشركة الخاصة . ولا تبيع الشركة شيئا من كازها وبنزينها فى العراق فقد حصرت الحكومة حق بيعه بشركة نفط خانقين

. . .

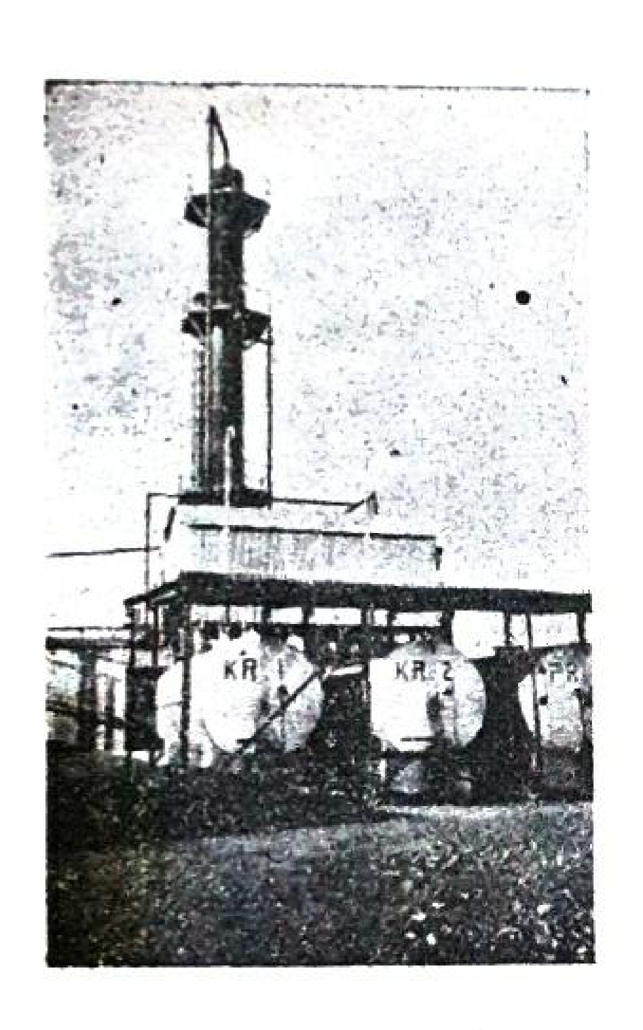
وتدفع الشركة للحكومة العراقية أربعة شلنات ذهب عن كل طن تستنبطه ويبلغ ما تتقاضاه منها سنويا ٨٠٠ الف جنيه ذهب اذا كانت الكمية المستنبطة أربعة ملايين طن وتزاد بهذه النسبة أيضا . وتدفع أيضاً ضريبة الاستهلاك وان كانت لا تبيع شيئا من نفطها فى العراق ويرجو العراقيون أن يعدلوا شروط الامتياز على منوال أفضل لمصلحتهم وقد خصصت الحكومة ايراد النفط للأعمال العمرانية وحدها

وأتمت الشركة أيضا انشاء خط تليفونى بين حيفا ومقرها فى بابا كركر وهو مفتوح للمحادثات وبذلك يتصل العراق تليفونيا بمصر وفلسطين وسورية وربما فتح هذا الخط قريباً للجمهور

وغادرت بابا كركر بعد جولة دامت ساعتين فى أرجائها وأنا معجب بما رأيته من نظام وتنظيم ، ومؤمن بقوة العلم الحديث ومستنبطاته فقد حولت تلك النيران ـ وكان القدماء يقدسونها ـ الى نضار ينفق بعضه فى اصلاح العراق وتعميره ، ويستخدم بعضه لمنفعة الحضارة وتقدمها



البئر رقم ١ لاستخراج النفط
فى بابا كركر



ماكنة تقطير البنزين
فى بابا كركر



النفوذ البريطانى

لما احتل الانكليز العراق سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ أنشأوا فيه ادارة عسكرية مباشرة فأقاموا فى كل مدينة ضابطا عسكريا لقبوه بلقب « الحاكم السياسى » ويكون اما « كبتن » واما « ميجر » فى الألوية والأقضية أما فى العواصم الكبرى ، بغداد ، الموصل ، البصرة ، فكانت رتب هؤلاء الحكام لا تقل عن كولونيل أو جنرال

فلكل حاكم من هؤلاء ديوان خاص وتراجمة وكتاب من الهندوس أو الكلدان أو اليهود والارمن وقل مثل ذلك عن بقية موظفى دواوين الحكومة فقد كانوا من هذه الطوائف . وأقصي المسلمون عن مكاتب الحكومة ودواوينها لأن السواد الأعظم منهم كان يجهل اللغة الانكليزية ، لغة الجيش المحتل، ولانهم نشأوا فى المدارس الاميرية التركية وكانت تعنى بتعليم اللغة التركية وحدها ، ولان أبناء الطوائف غير المسلمة كانوا يتسابقون الى تلبية أوامر الضباط الانكليز بلا قيد ولا شرط ويظهرون لهم كل اخلاص وود ويفهمونهم أنهم هم الذين يحبونهم ويخلصون لهم بعكس المسلمين وقد كان ابتعادهم عن الانكليز

وعدم اتصالهم بهم من جملة الوسائل التى توسل بها هؤلاء لمحاربتهم

وتعمد بعض الذين التحقوا بخدمة الانكليز ، وبينهم من كانوا تراجمة أو خدمة فى الفنادق أو غيرها أو كانوا يتعاطون بعض المهن الحقيرة فى الهند وسواها ، الاساءة الى الشعب العراقى تقرباً للموظفين الانكليز ، فكان لذلك أسوأ أثر فى النفوس فقد كان العراقيون يظنون أن دخول الانكليز الى بلادهم وهم حلفاؤهم وأصدقاؤهم سيقترن بقيام حكومة عربية وطنية يتولى العراقيون أمرها ويكونون أصحاب الحل والعقد فيها ، فاذا هم أمام حالة غريبة منكرة لا تخطر ببال بشر ، واذا هم يرمون بنظام حكم شاذ غريب فتصبح بلادهم بين عشية وضحاها مستعمرة للهند ، ويحكم هذا القطر الكبير المظيم بشر أنظمة الحكم وأقساه وأفظعه

ولا شك أن انشاء هذا النظام الغريب زاد فى استياء العراقيين الاباة من الانكليز ، الذين نقضوا عهودهم ، وحاولوا اذلالهم فى ديارهم واستصفاء قطرهم واستبقائه فى حوزتهم بعد ما كانوا ينادون فى سنى الحرب أنهم جاءوا محررين ومنقذين ، لا فاتحين ولا مستعمرين ؛ فازدادت النقمة ، وارتفعت الصيحة ، ثم اتفقت الكلمة على محاربتهم وقتالهم حتى يعيدوا الى البلاد حقوقها ، ويعترفوا بمطالبها وهكذا ولدت الثورة العراقية ، ولهؤلاء الأخلاط والأوشاب من الدخلاء وقد اعتمد عليهم الانكليز واصطفوهم يد فى تكوينها

واعدادها بطغيانهم وضربهم بسيف النقمة ذات اليمين وذات الشمال فأساءوا الى أنفسهم والى الذين اختاروهم وتلك عاقبة كل دولة لا تحسن اختيار عمالها ورجالها

ولم يجد الانكليز بعد الثورة بداً من التسليم بالأمر الواقع فاعترفوا باستقلال العراق وبحقه فى انشاء دولة عربية مستقلة فى ربوعه فقدم جلالة الملك فيصل البصرة فى شهر يونيو سنة ٩٢١ ومنها قصد بغداد فاحتفل القوم بمقدمه ، ثم جرى الاستفتاء فاجتمعت كلمة الأمة على انتخابه وهكذا رفعت قواعد الدولة الجديدة وتوج الملك يوم ٢٣ أغسطس من تلك السنة

وكبر على هذه الطبقة ، يمالئها بعض الموظفين البريطانيين من ضباط وغيرهم أن ينال العراق استقلاله وأن تفلت الطريدة من أيديهم فأخذوا يدسون للحكومة الجديدة ويضعون العراقيل فى سبيلها ويعملون للنكاية بها، لانهم أدركوا أن فى نجاحها وفوزها اقصاء لهم عن المناصب الرفيعة التى يتمتعون بها ، فيعودون الى ما كانوا عليه ولكن ساء فألهم فقد مشت (الحكومة) مشية الحكيم الخبير ، فأقصتهم تدريجا الواحد بعد الآخر ، وعملت على قطع دابرهم ولا تزال فى مكاتب الدولة بقية من هؤلاء يرجى أن تلحق بمن تقدمها

ولقد كانت مناصب الحكام السياسيين فى الاقضية والالوية فى مقدمة

المناصب التى ألغيت وحل محل هؤلاء موظفون من أبناء البلاد تدربوا على الحكم وتمرنوا عليه ابان العهد التركى ، وكذلك ألغيت مناصب أخرى كان يتولاها موظفون بريطانيون ، على أن ذلك لم يحل دون بقاء بعض هؤلاء فى بعض الألوية بعد مامنحوهم لقب مستشار ادارى

ولقد ظل جلالة الملك فيصل مدة حياته يعمل سراً وجهراً على اقصاء هؤلاء واخراجهم من العراق فأدرك نجاحا يذكر ، فلم يبق سوى أثر ضئيل لهؤلاء فى المتصرفيات يرجى أن يتلاشى ويضمحل قريبا ولا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة فى الموصل واحد منهم وآخر فى البصرة وثالث فى الديوانية ورابع فى العمارة وقد انحصرت مهمتهم فى الشؤون المالية وحدها فهم ينظرون فيها ومعنى ذلك أنهم لا يتدخلون فى الشؤون السياسية والادارية مطلقا ، فاذا سأل المتصرف المستشار كتابة عن رأيه فى أمر من الأمور أجابه عليه . وليس له أن يتدخل فى قضية من القضايا أو يبدى رأياً فيها اذا لم يطلب منه ذلك

وكذلك قل عددهم قلة ظاهرة فى دواوين الحكومة المركزية وبعد ما كانوا يملأون مكاتبها أصبحوا يعدون عداً ، واذا استثنينا وزارتى الحقانية والحربية والحكومة ملزمة بحسب الاتفاق القضائى الذى عقدته مع انكلترا وأقرته جمعية الأمم ، ولولاه لما ألغيت الامتيازات الأجنبية من العراق ، الى استخدام عدد من القضاة الأجانب فى بعض المحاكم ، ويجب أن لا يفهم من هذا أن هنالك محاكم خاصة

يتولاها هؤلاء ، وانما ينتدبون للجلوس فى القضايا الخاصة بالأجانب ، اذا طلب ذلك أحد هؤلاء، فيجلس أحدهم مع قاضيين وطنيين، وتصدر الاحكام باسم جلالة ملك العراق . وما يقال فى وزارة الحقانية يقال فى وزارة الحربية فالحكومة العراقية مضطرة بموجب الاتفاق العسكرى الى استخدام بعض الفنيين والمفتشين من الانكليز فى الجيش العراقى ، ومهمة هؤلاء استشارية بحتة ولا يسمح لهم بالتدخل فى شؤون الجيش الحربية مطلقا .

ولا يوجد فى وزارة الخارجية العراقية موظف بريطانى وفى وزارة المعارف واحد منهم يقوم بوظيفة مفتش عام وهو مجرد من كل سلطان وعددهم فى وزارة الداخلية قليل جداً

ولا يشعر زائر العراق بأى نفوذ لهؤلاء ويلبسون السدارة العراقية كموظفى الدولة الآخرين ويتكلم بعضهم اللغة العربية أيضاً باللهجة العراقية محاولا التشبه بالعراقيين فى حركاتهم وسكناتهم وتعمل الحكومة على اقصاء غير الفنيين منهم والاستغناء عن خدمتهم وسيتم ذلك قريباً ان شاء الله

المطارات الانكليزية

بصرة ـ بغداد ـ الموصل

للانكليز في العراق ثلاث مطارات هي بقية كل ما كان لهم من معسكرات وأجناد في تلك الربوع ، وقد كانت تغص بهم في أيام الحرب وفي سني الاحتلال الأولى

ولعل مطار الهنيدي وهو في ضاحية بغداد والى الجنوب منها أعظم هذه المطارات شأنا فهو عبارة عن مدينة صغيرة منسقة على أحدث طراز وأكمله ، ففيها المصانع لاصلاح الطيارات ، وفيها الميادين للطيران وفيها الملاعب للتنس والمقاهي والبارات للجند والبيوت الجميلة لسكنى الضباط والقواد ، والعنابر الواسعة لسكنى الجند ، وبالاجمال فقد حشر الانكليز في هذه المدينة الصغيرة كل ما يحتاج اليه جندهم وضباطهم من معدات اللهو والتسلية ولذلك قلت زيارتهم لبغداد الا في أيام الأعياد أو البطالة الرسمية

وشوارع الهنيدى مفروشة بالاسفلت ومنارة بالكهربائية تتخللها الأشجار والحدائق الجميلة · وقد تم الاتفاق بين العراق وانكلترا على أن تتنازل له عن هذا المطار من أول سنة ١٩٣٥ فينتقل المطار

الانـكليزى الى غربى الفرات «أى المنطقة الممتدة بين بغداد والرمادى» ويعمل العمال فى انشاء المطار الجديد قرب حبانة وتبعد عن بغداد نحو ٩٠ كيلو مترا الى الغرب وسينقل اليـه المطار الجديد ويسلم القديم الى الحـكومة العراقية والمرجح أن يتخذ داراً للمدرسة الحربية العراقية كما ترى فى غير هذا المـكان ومتى تم ذلك لا يبقى أثر للقوات العسكرية البريطانيـة فى جوار العاصمة العراقيـة · والمفهوم أن الغاية الحقيقية من ابقاء المطارين البريطانيين فى العراق المحافظة على خطوط المواصلات الجوية لا التدخـل فى شؤون العراق ولا التعرض لحكومته

والمطار الثانى فى الموصل ، ويقع خارج المدينة من جهة الغرب فى مكان يسمى الغزلانية وهو أقل من مطار الهنيدى فخامة واتساعاً وسيسلم الى الحـكومة العراقية فى أوائل سـنة ١٩٣٥ عملا بمعاهدة بغداد ولا يبقى أثر بعد ذلك للانـكليز فى هذه المنطقة مطلقا وسيتخذ المطار مقراً للقوة الجوية العراقية أى انه سيصير مطاراً عراقياً بعـد ما كان مطاراً انـكليزيا ، ولابد لى من القول ان المطار العراقى العسكرى فى بغداد يقع فى جانب المطار البريطانى فى الهنيـدى وهو متصل به وبالطبع فسيخصص جزء كبير منـه لسلاح الطيران العراقى وهو ينمو تدريجاً · وفى بغداد أيضا من الجانب الغربى مطار للطيران التجارى وقد تـكلمنا عنه من قبل ·

والمطار الانكليزى الثالث فى جوار البصرة وهو على جانب من الضخامة والفخامة وسينقل من مكانه الى مكان آخر غربى الفرات أسوة بمطار الهنيدى ويسلم البناء الى الحكومة العراقية . ومعنى ذلك أنه اعتباراً من سنة ١٩٣٥ لن يشاهد زائر العراق أثراً للقوات العسكرية البريطانية فى جوار المدن الكبرى ولا للطيارات والمطارات كما هو الشأن الآن بل تنقل هذه وهذه الى مطارين بعيدين عن المدن ومراكز المواصلات فى غربى بغداد وغربى البصرة ، وتنحصر مهمتهما فى المحافظة على خطوط المواصلات كما قلنا آنفا . وسيكون حراس هذين المطارين من الجنود العرب تختارهم الحكومة العراقية نفسها

ولا أثر للقوات العسكرية البريطانية فى العراق وليس هنالك دبابات ولا مصفحات ولا مدفعية ولا غير ذلك من الأسلحة الفنية أو غيرها فقد جلت بالتدريج منذ قيام الحكومة العربية ومتى دخلت سنة ١٩٣٥ لا يبقى سوى هذين المطارين والمأمول أن يسلما الى الحكومة العراقية كالمطارات الأخرى



الاقليات الجنسية والدينية

الكرد والترك واليهود والنصارى

فى العراق « تشكيلة » كبيرة من الاقليات الجنسية والدينية لاتوجد عادة الا فى بلاد العرب مهبط الأديان والوحى ومقر الرسالات الدينية على كر الدهور والعصور

فمن الاقليات الجنسية الكرد والترك وهؤلاء وهؤلاء مغتبطون بقيام الحكومة الجديدة ويسمونها حكومة العرب وقد حدثنى متصرف كركوك ، وكركوك مقر الاقلية التركية وقد قضى قانون التعليم المحلى أن يكون التدريس الابتدائى فيها باللغة التركية ـ ان كبار القوم هنالك جاءوه طالبين أن يكون التدريس فى جميع مراحله باللغة العربية رحمة بأولادهم وخدمة لهم ليتقنوا اللغة العربية ، لغة الدولة وليسهل عليهم الدخول فى المدارس العليا ومواصلة دروسهم . ولا يقل الكرد تمسكا بالدولة الجديدة واخلاصا لها عن الترك لأنها تعاملهم بما لا يعاملون بمثله لافى تركيا ولا فى ايران. وقد سمعت الشيخ محمودا زعيمهم الكبير يقول ان من أقصى أمانى الكرد أن يعيشوا متحدين مع العرب وأن يقوموا

على خدمة الدولة الجديدة ويصونوا حدودها ويكونوا لها درعا منيعاً فى الحادثات

ومعظم الذين قابلتهم وحادثتهم من رجال الكرد ومفكريهم مجمعون على أن فكرة انشاء دولة كردية فى بلاد الكرد العراقية فكرة انكليزية كان الانكليز أنفسهم أول من دعا لها وشجع على المطالبة بها. فقد نفخوا فى روعهم بأنهم ماجاءوا العراق الا لتحرير الكرد ومساعدتهم فى نيل استقلالهم ، فأخذ بعضهم بهذه الدعوة واعتقد بامكان تحققها ، بيد أن الانكليز مالبثوا أن عدلوا عنها حينما تبينوا استحالة انفصال هذه البقعة الصغيرة عن العراق ووقوفها مستقلة على قدميها ازاء دول عديدة طامعة فيها . يضاف الى هذا أن بلاد الكرد لاتزال على الفطرة فهى لم تعد لا للاستقلال السياسى ولا للذاتى ولا لغيره . . . واذا كان هنالك أفراد قلائل تعلموا أو نبغوا فلا يزيد عددهم على عدد أصابع الكف الواحدة ولا يعطى لشاذ حكم . ومما لاحظناه بوجه خاص أن فكرة الاستقلال الكردى قد ماتت حتى فى رؤوس الذين كانوا يحلمون بالتاج والوزارات ، ويتبارى زعماء الكرد ويتنافسون فى اظهار صداقتهم ومودتهم للدولة الجديدة، وتبرهم وترعاهم وتوطئ لهم أسباب الحياة وتعمل على اصلاح بلادهم وتعميرها وترقيتها وقل أن تخلو وزارة من وزير كردى أو أكثر وبين المتصرفين والقائمقامين عدد غير قليل منهم ومتصرف

السليمانية وهى عاصمتهم كردى أيضاً وفى دوائر الحكومة المركزية عدد كبير من موظفيهم

. . .

والاقليات الدينيـة كثيرة متعـددة وأعظمها شأنا هى الاقليـة اليهودية ولا يقل عدد أبنائها عن تسعين ألفاً يقيم سبعون ألفاً منهم فى بغداد نفسها والباقون منتشرون فى المدن والقرى العراقية انتشاراً كبيراً فما دخلت قرية أو مدينة الا وجدت أمامى يهوديا يتجر ففى الحلة وحدها يبلغ عددهم ألفا وخمسمائة ولا يقلون فى البصرة عن عدة آلاف · وهم منتشرون أيضا فى المقاطعات الكردية وقابضون على زمام التجارة فيها ، قبض يهود بغداد والبصرة على زمام تجارة العراق

ولقد أدرك اليهود هذه المنزلة بعد الحرب العظمى ، أما قبلها فـكانت التجارة بيد الشيعة العراقيين ، وكانت صغيرة محدودة وما كانت تشمل سوى أسواق العراق وايران فى الغالب ، وتغـيرت الحال بعـد أن انتظمت طرق المواصـلات واقـترب العراق من أوربا ومن أسواق العالم الـكبرى فقبض اليهود تدريجا على أسواقه لأنهـم أكثر خبرة بشؤون التجارة والمال واطلاعا على أسرار التجارة الدولية ولأن معظمهم يعرف لغات أوربية وهى ماحرم منه الشيعة يضاف الى هذا اغلاق ايران فى السنين الأخيرة أبواب بلادها فى وجه التجارة العراقية وهكذا صفا الجو للتجار اليهود فخلوا محل الشيعة وأصبحوا سادة الأسواق

العراقية وقبضوا على أعنة الاقتصاد والمال ، ويدرك ذلك زائر بغداد يوم السبت فمعظم المحلات التجارية مغلقة ويلاقى عنتا كبيرا فى تحويل عملة أجنبية الى عملة عراقية والصرافة مما اختص به اليهود فى جميع بلاد العالم .

وحرص اليهود العراقيون فى السنوات الأولى التى انتشرت فيها السدارة العراقية « هى لباس الرأس الجديد فى العراق » على الاحتفاظ بالطربوش بيد أنهم عدلوا عن ذلك تدريجاً ولا سيما بعد حوادث فلسطين فى سنة ١٩٢٩ فاتخذوا السدارة وهجروا الطربوش وهنالك أقلية ضئيلة منهم لا تزال متمسكة به ورجال هذه الطبقة من الطاعنين فى السن اجمالا

ولا يقتصر نشاط اليهود فى العراق على الناحية الاقتصادية وحدها فمكاتب الحكومة غاصة بهم وهم يشغلون مناصب رفيعة توصلوا اليها فى سنى الاحتلال الأولى فقد قربهم الانكليز واستخدموهم ووثقوا بهم شأنهم مع الأقليات فى كل مكان لأنها أكثر اخلاصاً لهم وفتحوا لهم أبواب الحكومة كما فتحوا أبواب المدارس أيضاً وفى بغداد عدد كبير من المحامين اليهود ويشتغل بعضهم بالصحافة العراقية . وتلاقى الفكرة الصهيونية رواجاً وتأييداً فى جميع الدوائر اليهودية على اختلاف النزعات والاحزاب . ويشترك الكل فى تأييدها والبذل لها . نعم ان بعض شبانهم المتصلين بالهيئات العربية يحاول نفى وجود هذه الصلة

مظهرين تمسكهم بالقومية العربية العراقية بيد أن الوثائق التى نشرها موسى بن نصير فى كتابه « شذوذ ومآسى » وهو اسرائيلى أسلم حديثا ، لا تدع شكا فى انتشار الفكرة الصهيونية بين هؤلاء واقبالهم على تعضيدها وتأييدها . ويرى معظم الباحثين أن المدارس الاسرائيلية فى العراق هى التى تتعهد هذه الفكرة وتنميها بتأثير الأساتذة اليهود الذين ترسلهم الجمعية الصهيونية ولعل وزارة المعارف فى بغداد تعنى بهذا الأمر الحيوي الجليل فلا يجوز ترك حبل هذه المدارس على غاربها

هذا من جهة أما من جهة أخرى فان بعض التجار اليهود يعمل جهد الطاقة على ترويج المصنوعات اليهودية وتصدرها معامل فلسطين وعلى محاربة صناعات الأمم الأخرى ويكتفون بالربح القليل فى تصريف المصنوعات اليهودية مقابل مغالاتهم فى طلب الربح من مصنوعات الأمم الأخرى ويعتقدون أنهم يؤدون بذلك خدمة وطنية قومية لأبناء جنسهم وقد انتشرت بهذه الواسطة مصنوعات المعامل اليهودية فى أسواق العراق مزاحمة صناعات الأمم الأخرى .

. . .

وتأتى الأقلية المسيحية بعد الأقلية اليهودية وعدد النصارى أقل فهم لا يزيدون على السبعين ألفا ولا يزيد عدد الذين يقطنون بغداد

منهم على ثمانيــة آلاف وقد اختصوا بصناعة الفنادق فهم يملـكون أ كثر فنادق العراق ويديرونها ، وخصوصا الـكبرى والراقية منها وفى دوائر الحـكومة عدد غير قليل منهم ويؤلفون مع موظفى اليهود رقما كبيراً فى تعداد الموظفين وقد اعتمد على بعضهم الاحتلال الانـكليزى ووثق به واصطفاهم فمنهم التراجمة والـكتاب ، ومنهم معظم موظفى السفارات. وموظفو القنصليات والبيوت التجارية الأجنبية من النصارى ومنهم معظم عمال شركة النفط ويعنى بعضهم بالزراعة وبينهم عدد من التجار ، والصحافة فى العراق تـكاد تـكون فى أيديهم لعـدم اقبال المسلمين عليها

ولا يدخل فى هذا الحساب الأرمن الذين جاء بهم الانكليز زمن الحرب ولا يقل عددهم عن ٢٥ ألفا وينزلون فى حى خاص بهم قرب بغداد ويزاولون الصناعات التى اختص بها الأرمن فى كل زمان ومكان تقريباً ، ولا يدخل فيـه الأشوريون ويبلغ عددهم ١٨ الفا وقد استوفينا الـكلام عنهم فى مكان آخر .

وتنقسم الأقلية المسيحية الى أقسام فهنالك الـكلدان ولهم بطريرك خاص يقيم فى الموصل والسريان وينقسمون الى كاثوليك وارثوذكس وجميعهم متجنسون بالجنسية العراقية ولهم نواب يمثلونهم فى البرلمان العراقى ومثل ذلك اليهود فلهم ممثلون فى المجلسين . ويكثر المسيحيون عادة فى شمال العراق أى فى الموصل والمدن الملحقة بها

ويجب أن لا ننسى الصابئة ولا يقل عددهم عن خمسة آلاف وقد اختصوا بصناعة المينا فلا يعلمونها سوى ابنائهم ولهم أسواق خاصة وملابس خاصة يعرفون بها

وهنالك أيضا اليزيديون أو عبدة الشيطان ويقطنون جبل سنجار التابع للموصل وبلادهم قريبة من الحدود السورية ولا يقل عددهم عن ثلاثين ألفا ويقول بعض العلماء انهم مهددون بالانقراض لأنهم ممنوعون من الاتصال بالأقوام الأخرى بصلة الزواج

وتتمتع هذه الاقليات الدينية والجنسية بعهد من الرخاء فى ظل الحكم العربى لم تذقه من قبل ونكتفى بأن نسجل ما قالته لجنة منرو فى هذا الشأن [1] « وتعتقد اللجنة بما لديها من براهين أن الحكومة العراقية اتبعت سياسة عادلة ورشيدة فى معاملتها للاقليات الدينية والعنصرية »

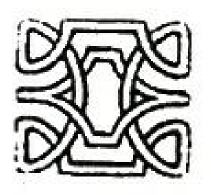
وقالت فى مكان آخر « وتفتح الحكومة فى الاماكن التى يتجمع فيها غير العرب على حدة المدارس لابناء اليهود والمسيحيين والكرد ونديرها وتعلم فيها حتى بلهجات الاقلية كما تسمح بتعليم دين الأقلية فيها . وتاريخ العرب يشهد بتسامحهم مع الاقليات الجنسية والدينية »

ثم أوردت اللجنة أرقام أعضاء البعثات العراقية الذين يتعلمون فى

---

(١) تألفت هذه اللجنة من أساتذة أميركيين مشهود لهم بالتفوق وجاءت العراق فى سنة ١٩٣١ لدراسة حالة التعليم ورفعت عنه تقريرا مفصلا

أوربا وامیرکا وسوریة على حساب الحكومة العراقية فظهر منها أن عدد اليهود ١٣ وعدد النصارى ٢٤ من أصل ١١٠ أى أنهم يؤلفون نحو ثلث المجموع تقريبا مع أن عددهم فى العراق لا يزيد عن ١٧٠ الفا من أصل ٤ ملايين



الكتب والمكتبات والصحافة

فى العراق نهضة علمية لاتقل عن النهضة التعليمية ، تتجلى فى اقبال الناس على المطالعة ، وفى اقتناء الكتب والمجلات ولا سيما مايصدر منها بمصر فما دخلت قرية من قرى العراق مهما نأت الا وجدت فيها مجلة من المجلات المصرية أو صحيفة من صحف مصر

والواقع أن هنالك فرقاً كبيراً بين عدد الكتب الجديدة والمجلات والصحف التى تباع فى أسواق العراق اليوم وبين ما كان يباع فى السنين السابقة فانه بعد ما انتشرت الحركة التعليمية وذاق الناس لذة العلم والمطالعة وتسهلت المواصلات،أصبح المباع فى أسواق العراق من الصحف والمجلات المصرية لايقل شهرياً عن بضعة آلاف وحسبك أن ما تبيعه المكتبة العصرية من مجلة كل شىء فى الاسبوع الواحد لايقل عن ٨٠٠ عدداً وهانحن نضع أمام القارىء بياناً بما يدفعه العراق سنوياً ثمناً للكتب والمجلات على اختلاف اللغات :

جنيه	
١٢٠٠	مجلات مصرية
١٢٠٠٠	كتب عربية مطبوعة فى مصر

جنيه	
٥٠٠	كتب عربية مطبوعة فى سورية
١٠٠٠	كتب تركية وفارسية
٢٠٠	صحف مصرية وسورية
١٠٠٠	كتب ومجلات انكليزية

هذا هو أقرب تقدير لما يستورده العراق سنوياً من كتب ومجلات معظمها من القطر المصرى وتتولى المكتبة العصرية فى بغداد وفروعها العديدة فى المدن العراقية بيع الجانب الأكبر من هذه الكمية وخصوصاً المجلات والصحف المصرية وعندها كثير من المشتركين

ولقد انشئت هذه المكتبة فى كربلاء من خمسين سنة ونيف أنشأها المرحوم الشيخ محمد ثم نقلها نجله محمود افندى حلمى الى بغداد من سنة ١٩١٤ ووسع نطاقها وأكثر من انشاء الفروع لها واتصل بالعالم العربى فزار مصر والشام وأسس علاقات مع كبار مكاتبها ورجالها ومطابعها وهى تنمو نمواً متصلا

وهنالك المكتبة الوطنية لصاحبها عبد الحميد افندى زاهد ولها فروع فى بعض المدن العراقية وقد قدم مؤسسها القاهرة حديثا وأنشأ فرعاً لمكتبة يديره بنفسه وهو يصدر الكتب والمجلات المصرية الى العراق

وهنا لك المكتبة العربية لصاحبها نعمان افندى الأعظمى ومكتبة الشرق لصاحبها عبد الكريم افندى خضر وتشتغلان أيضاً مع مصر وسورية وتستوردان كتبها وصحفها ومجلاتها وتعملان على نشرها وتوزيعها .

...

ولا يزال فن الطباعة عندهم فى مهده ومثل ذلك فن الصحافة ، ولا تزال فى دور النمو والتكون ، وان كان بعضهم يعتقد بامكان رقية الصحافة الحاضرة ورفع مستواها بادخال عناصر جديدة من النشء الجديد المتعلم . ومما يستوقف النظر بوجه خاص أن معظم أصحاب الصحف اليومية فى بغداد ومؤسسيها من النصارى فصاحب الاخاء الوطنى مسيحى وجريدته لسان حال حزب الأخاء الوطنى ومثله صاحب جريدة الطريق وجريدته لسان حال حزب العهد ، وصاحب جريدة العالم العربى مسيحى أيضاً وتنطق جريدته بلسان ناجى شوكت بك وزير الداخلية الحالى – ورئيس الوزارة الأسبق – وكتلته ، ومنشىء جريدة العراق ، وهى معطلة الآن – مسيحى أيضاً

وفى بغداد عدا ذلك جريدتان يوميتان للمسلمين : **الاستقلال** وهى أقدم الصحف العراقية عهدا ويحررها كاتبان أحدهما مسيحى والآخر

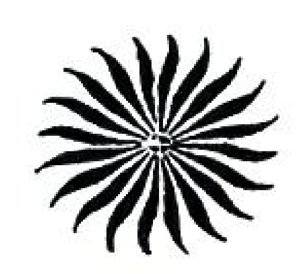
يهودى . وقد كان صاحبها من ضباط الثورة العربية وهو الآن نائب
فى مجلس النواب ، وأريد من انشائها فى الأصل أن تكون لسان حال
الأحرار فى العراق وكانت حتى الأيام الأخيرة تعد لسان الحرب الوطنى
العراقى .

والجريدة الثانية هى الأهالى وصاحبها المحامى عبد القادر افندى
اسماعيل وهو هندى الأصل وقد ظل والده اسماعيل افندى مستان
محتفظا بجنسيته الانكليزية حتى قيام الدولة الجديدة ويقال ان الأهالى
فى مقدمة صحف بغداد رواجاً لجرأتها وشدة اهتمامها بشؤون العمال
والفلاحين

. . .

والصحافة الأسبوعية فى العراق ولا سيما الانتقادية منها بيد المسلمين
بعكس الصحافة اليومية فهنالك ثلاث جرائد : حبزبوز ، والملا ،
وأبو حمد ، ويقبل الشعب على الأولى ولا يقل ما تطبعه أسبوعياً عن
أربعة آلاف كما أن ما تطبعه أكبر جريدة يومية فى بغداد لا يزيد عن
ثلاثة آلاف ويتراوح المتوسط بين خمسمائة والف وخمسمائة فقط . ولو
أنشئت جريدة يومية كبيرة خصص لها رأس مال واسع وسارت طبقا
للاساليب الحديثة التى تسير عليها الصحف الكبرى لراجت ولازداد

اقبال الشعب عليها على أن المراحل التى قطعتها الصحافة العراقية فى خلال السنوات الأخيرة ، مع قلة الوسائل وفقدان النصير ، تجعلنا نرجو لها مستقبلا زاهرا يتناسب مع النهضة العلمية المنتشرة فى أرجاء العراق فتقود الامة الى الصراط السوى وتكون لها خير دليل ومرشد



حكمدار كردستان

أو كاكا شيخ محمود

يؤلف سكان كردستان العراقية وعددهم نحو نصف مليون نسمة ، سدس رعايا دولة بغداد ، وتؤلف بلادهم وهى جبلية وعرة المسالك ، فى شرقى العراق الشمالى ، خط الدفاع الطبيعى لهذه البلاد ازاء ايران وتركيا ، فهى تجاور الترك من الشمال كما تجاور الفرس من الشرق ، وتتصل بهم اتصالا وثيقا ، جعلها تتمتع بمركز خاص من الوجهتين العسكرية والاقتصادية

وزعيم أكراد العراق وعميدهم هو كاكا شيخ محمود ، بطل حوادث السليمانية الشهيرة ، ومنازل الانكليز والعرب ، ومقاتل الترك والروس ورهين بغداد فى هذه الأيام .

وزعامة الشيخ محمود ، روحانية وراثية ، انتقلت اليه بالتسلسل من جده الشيخ معروف النودى ، ويتصل نسب هذا بالامام موسى الكاظم وبينهما ٢٩ جدا مدونة أسماؤهم ، مسجلة تواريخهم

والشيخ محمود يجمع بين القادرية والنقشبندية وهما الطريقتان

الصوفيتان المنتشرتان فى كردستان ، ويعظمه عامة الكرد وخاصتهم ويعتقدون أن ولاية جده الأكبر الشيخ معروف النودى حلت فيه منتقلة من والده الشيخ سعيد ، فجده الشيخ محمد فوالد هذا كاكا أحمد بن الشيخ معروف نفسه ، ومعنى كلمة « كاكا » فى اللغة الكردية «الأخ الأكبر» وقد انتقل الشيخ معروف الى السليمانية فى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة فقد استقدمه المرحوم سليمان باشا بابان — واليه تنسب السليمانية وهو مؤسسها، من بيجدرين سنة ١١٩٧ هـ وأنزله داراً أنشأها له قرب الجامع الكبير فكان يعظ الناس ويعلمهم ، ويرشدهم ويذكرهم فارتفعت منزلته ، وسما مقامه

وللشيخ معروف مؤلفات عديدة باللغة العربية لا يزال بعضها مخطوطاً وقد اطلعت على جانب منها حين زيارتى لحفيده الشيخ محمود ، فمنها أرجوزة بأسماء أهل بدر ، وكتاب فى علم المعانى ، وكتاب آخر شرح به أرجوزة الزنجانى ويقال انمؤلفاته بلغت المائة والخمسين ظلت محفوظة فى مكتبة العائلة فى السليمانية حتى الحوادث الأخيرة فنهبت وضاع معظمها ، ولم يبق سوى القليل منها بيد الشيخ محمود وينوى طبعها ونشرها اذا استطاع .

وكان المرحوم الشيخ سعيد والد الشيخ محمود على صلة بالسلطان عبد الحميد وقد زاره فى عاصمته سنة ١٩٠٤ مصحوبا بنجله الشيخ محمود وقضى زمناً فى ضيافته وكانت هنالك رموز سرية اصطلح عليها بين

السلطان والشيخ فكانا يتراسلان ويتكاتبان مما زاد فى نفوذ الشيخ ومقامه فكان المتصرفون والولاة والحكام يرجعون اليه وكان صاحب المقام الأول فى هذه الناحية من بلاد الكرد .

وما كاد الاتحاديون يقبضون على مقاليد الحكم ويسقطون السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٨ حتى عملوا على الانتقام من الشيخ سعيد فاستقدموه مع بعض أتباعه وبينهم ابنه الشيخ محمود . وأخوه الشيخ أحمد الى الموصل وحدثت أثناء اقامتهم فتنة بينهم وبين أهل الموصل فقتل الشيخ سعيد وعدد من أتباعه وسلم نجله وأخوه فاعتقلا ثم أطلق سراحهما بتهديد العشائر الكردية فاعتصما برؤوس الجبال ثم عادا الى السليمانية فى سنة ١٩١٠ من دون أن ينالا عفو الحكومة وقد رأت من مصلحتها أن لاتتعرض لهما وانصرف الشيخ محمود الى تعزيز نفوذه ونشره بين القبائل الكردية .

ولما أعلنت الحرب العامة ونادى الخليفة بالجهاد لبى الشيخ النداء فسار مع ١٨٠٠ خيال و ٣٠٠ راجل من أتباعه الى العراق واشترك فى حرب الشعبية الى جانب الترك وظل يقاتل نحو ٨ أشهر ثم عاد الى السليمانية ولم يطل به المقام حتى أغار الجيش الروسى على بلادهم محاولا اختراقها وبلوغ بغداد فدارت معارك شديدة بينه وبين الشيخ محمود بلغ عددها العشرين انتهت بصد الروس ورجوعهم القهقرى وغنم الكرد غنائم كثيرة .

وفى أوائل سنة ١٩١٨ احتلت الجيوش البريطانية كركوك وبين كركوك والسليمانية ٧٠ كيلو مترا فكتب اليهم الشيخ مهدداً ومتوعداً وطالباً جلاءهم عن البلاد الكردية فلم يطل الانكليز المقام فيها بل غادروها بعد أيام من احتلالها وبعد ما أبلغوا وجهاءها أنهم سيعودون الى احتلالها ثانية بعد ٦ أشهر . وقد عادوا فعلا فى الوقت المضروب واحتلوها .

واتصل بولاة الأمور العسكريين الترك فى النصف الأول من سنة ١٩١٨ أن بين الشيخ والانكليز مكاتبات فقبضوا عليه وألفوا مجلساً عسكريا حاكمه وحكم عليه بالاعدام . وفى مساء الليلة التى تقرر أن ينفذ فى صبحها حكم الاعدام فيه ، أرسل على احسان باشا قائد الجيش التركى العام فى العراق برقية يطلق بها سراحه ويرجوه أن يفد عليه فجاء الموصل واجتمع مع القائد واتفقا على أن ينظم (الشيخ) كتائب كردية للدفاع الوطنى باسم « التشكيلات الملية » فعاد الى السليمانية وبدأ ينظم هذه القوى من اتباعه . وجلا الترك عن العراق كله بعد ذلك بأشهر وفى جملته كردستان وأصدر على احسان باشا حين انسحابه فى شهر نوفمبر سنة ٩١٨ أمراً بأن يتسلم الشيخ الحكم فى السليمانية وأن يكون الجيش العثمانى الباقى فى كردستان تحت امرته وهكذا أصبح الشيخ حاكما بعد ما كان متصوفا ومجاهدا ، وصاحب الأمر والنهى فى هذه الديار

وعاد الانكليز ثانية الى كركوك كما قالوا وانصرفوا الى توطيد أقدامهم في ربوعها بعد ما خضع لهم العراق ، وكاتبوا الشيخ قائلين انهم ماجاءوا محاربين ولا مقاتلين وانما جاءوا محررين ومنقذين وانهم يضمرون للشعب الكردى كل خير وسيساعدونه ويأخذون بيده لينشىء حكومة كردية مستقلة وبعد تمهيدات ومقدمات وصل الى السليمانية ضابطان انكليزيان وهما الميجر نويل وهو اخصائى فى الشؤون الكردية والكبتن دانيلس فقابلا الشيخ وباحثاه وتم الاتفاق بينهما على تأليف حكومة مدنية فى السليمانية يكون الشيخ محمود رئيسها بلقب « حكمدار كردستان » وسمى الميجر نويل مستشاراً له والكبتن دانيلس مستشارا عسكريا وماليا للحكومة وأن يكون راتب « حكمدار كردستان » ١٥ الف ربية شهريا نحو ١٢٠٠ ج عدا مخصصات المطبخ وبهذه الطريقة وضع الانكليز يدهم على هذه البلاد — ولا تزال على الفطرة — ثم تدرجوا فى العمل فاستقدموا الضباط والموظفين الذين انصرفوا الى محاربة نفوذ الشيخ سراً مستعينين على ذلك بمنافسيه من أبناء قومه وبلغ من أمرهم أنهم منعوا الناس من زيارة جده الاكبر « كاكا أحمد » حينما جاءوا فى يوم وفاته طبقا لتقاليدهم فرأى أن الحالة مما لا تطاق فنقض عهده معهم وطرد موظفيهم وأعلن استقلاله يوم ١٩ مايو سنة ٩١٩ فوقعت الحرب فجهز الانكليزى القوى لقتاله فاستمر القتال بينه وبينهم ٤٥ يوماً متوالية فى مضيق طاسلوجة · ويقول

الشيخ ان القوى الانـكليزية التى هاجمته ما كانت تقل عن ٥٠ الف مقاتل وانهم لم يتغلبوا عليه الا بسبب استمالتهم لأخيه الشيخ عبد القادر فقد ارتد مع جزء كبير من القوى المحاربة فدخل الانـكليز السليمانية وقبضوا على الشيخ وأرسلوه الى بمبـاى فقضى سنتين وبضعـة أشهر فى الهنـد طاف بعض مدنها وهو فى ضـيافة البوليس وتحت اشرافه وانتهى به المطاف فى بوثا لحط الرحال

ونشط الترك على حدود العراق فى أواخر سـنة ١٩٢٣ أى بعد انتصارهم فى الأناضول وقاموا يطالبون بولاية الموصل وكركوك فى جملتها وتقدموا فعلا فى بعض المناطق وألفوا العصابات ودفعوها للعمل فضرب الانـكليز أخماساً فى أسداس فأدركوا انه لا يفل الحديد الا الحديد فجاءوا بالشيخ ثانية الى السليمانية بعد ما اتفقوا معه كما يقول على أن يكون حكمدارا لـكردستان ، وبدأ عمله بأن كتب الى الترك راجياً ارتدادهم عن البلاد الـكردية والمحافظة على السلام كما أخـذ يجمع العشائر ويؤلف القوى . ولم يحدث بينه وبين الترك فى خلال هذه الفترة حادث يذكر . وتبدل الموقف بعـد قيام الدولة العربية الجديدة فى بغـداد وسعيها لضم أجزاء البـلاد والقضاء على الحكم الاقطاعى عامة وفـكرة الاستقلال الـكردى خاصة فالبـلاد المسكونة بالـكرد جزء متمم للعراق ولا يمكنها أن تعيش بدونه لأنها تصدر اليه حاصلاتها وتستورد منه حاجياتها . وهكذا سيرت الحـكومة الجديدة

القوى على السليمانية فهاجمتها فى أوائل شهر يونيو سنة ٩٢٤ وفى يوم ١٩ يوليو من تلك السنة احتـل الجيش العراقى السليمانية فانسحب الشيخ الى ايران ونزل فى منطقة جبلية على الحدود فوضعت الحكومة العراقية يدها على البـلاد وأسست فيها حكومة مدنية تتبع بغـداد مباشرة وتستمد منها القوة والعون ، وفى سنة ١٩٢٧ عاد الشيخ الى السليمانية بعد أن عقد اتفاقا مع المستر كورنواليس مستشار الداخلية فى العراق تعهد بموجبه بالخضوع للحكومة العراقيـة الجديدة والتزام جانب السكينة.ويقول الشيخ محمود ان اخاه الشيخ عبد القادر هو الذى نقض الاتفاق نـكاية به فسيرت عليه الحـكومة القوى فقاتلته ودخلت السليمانية وقبضت عليـه فأرسل الى الرمادى ثم نقـل الى الناصرية وهو اليوم معتقل فى بغداد ينزل فى حى الصريخ على شاطىء دجلة قرب الأعظمية

...

وفى مشـهد الـكاظم بالـكاظمية التقيت بالشـيخ يزور جـده فجلست بقربه وبعد التعارف تطرقنا الى البحث فى الشؤون السياسية وفى حوادث كردستان ويقول بعض رجال العراق ان الشيخ هو أبو القضية الـكردية وأمها . فقال لى ليس هنا موضع البحث فى هذه الشؤون وما عليك اذا أردت الاطلاع على الحقائق الآن تزورنى فى بيتى فاتفقنا على موعد جئت فيه مع الأخ الكريم الأستاذ عبد الرازق الحسنى

والشيخ مربوع القامة ، الى الطول أقرب ، مكتنز الجسم يخطو نحو العقد السادس، يتكلم العربية العامية بدون صعوبة ، ويتحدث بالتركية والكردية ، ويلبس الملابس الكردية الوطنية ويلف « يشماغا » على رأسه كما يفعل عامة العراقيين ، ولا شك فى ذكائه وشدة جاذبيته

وتكثر وفود الزوار من الكرد الذين يقصدونه للتبرك بلثم يده وقد شهدت دخول عشرات من هؤلاء عليه فكان يقبلهم فى عيونهم حينما يكبون على يده وجاء درويش قلندرى وضع على رأسه طرطوراً ولف حوله قماشا أخضر فهوى على يده يلثم راحته فلثم الشيخ يده بالمقابلة وأمر له بالجلوس فى حضرته وكان الزائرون يتواردون بلا انقطاع مدة وجودنا فى جانبه نحادثه ونناقشه فى الحوادث التى حدثت وفى الوقائع التى تتابعت

وسألته ألم تجتمع بجلالة الملك فيصل فقال لقد وصل جلالته الى العراق وأنا منفى فى الهند ، ثم جىء بى بعد ذلك الى السليمانية ولم أغادرها بعد ثورة سنة ١٩٢٤ وقد لجأت على أثرها الى ايران وجئت بعد ذلك الى بغداد وتشرفت بمقابلته وكنا منفردين فلما خلونا أخذت أبحث تحت المقعد وأطيل النظر فى جوانب الغرفة فابتسم رحمه الله وقال تكلم ولا تخف فلا أحد هنا . ولما تفضل بتقديم علبة السكاير أمسكت بها وقلبتها ثانية فابتسم أيضاً وقال لى قلت لك لا تخف فنحن هنا منفردان . ثم تكلمنا ملياً واتفقنا على أن يكون غنى افندى وهو

كردى من أهل السليمانية ولى به ثقة واسطة الاتصال بيننا فأ كتب لجلالته ماأريد كتابته وما أرى به مصلحة ويبلغنى أوامره أيضا فأنفذها.
ولما حصل ما حصل من سوء التفاهم فى سنة ١٩٣٠ وزحف الجيش العراق على السليمانية تفقدت غنى افندى هذا وبحثت عنه طويلا لأتصل بجلالة الملك وأعرب له عن اخلاصى وولائى واستعدادى لتلبية أوامر حكومته فلم أعثر عليه وهكذا انقطعت الصلات ونفذ أمر الله.
وأعتقد أن مصلحة الكرد هى فى الاتفاق مع الدولة العربية فى بغداد والاخلاص لها والقيام على خدمتها ومناصرتها كما أن من مصلحتها أن تعطف علينا وتساعدنا فنحن حراس الحدود الأمناء ولا نكلفها وضع قوات فى بلادنا بل نتولى بأنفسنا حمايتها والسهر عليها. ونحمد الله على أن الحالة فى بلادنا على مايرام وأن الحكومة عاملة على الاصلاح والتحسين

ولا يسمح للشيخ بالعودة الى بلاده وقد ذكر لى أن الوزارة السابقة فكرت فى رفع الحجر عنه ثم استقالت قبل أن تنفذ عزمها وقد كانوا يجرون عليه ٩٠٠ روبية فى الشهر مقابل دخل أملاكه ثم أنزلوها الى ٦٠٠ فى الوقت الحاضر وله سيارة خاصة فاخرة. ويتعلم ابنه بابا على على نفقة الحكومة العراقية وقد درس فى السليمانية ثم نقل الى بغداد فالاسكندرية وهو اليوم فى الولايات المتحدة

وسألت الشيخ لماذا لم يقبل عضوية مجلس الشيوخ العراقى وقد

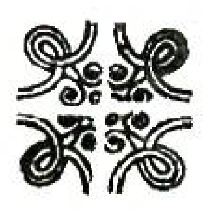
عرضت عليه فقال انهم عرضوا عليه مناصب مختلفة فى مناسبات شتى فلم يقبلها لأن المناصب فى نظره غير ثابتة ولأنه يفضل خدمة بلاده عن طريق التعليم والارشاد لا عن طريق الوظائف والحكم

ومما روى لى أنه دون مذكرات باللغة الكردية حوت تفاصيل الحوادث التى حدثت له فى خلال حياته الطويلة فقلت له ولماذا لم تدونها باللغة العربية وهى لغة أجدادك ولجدك الشيخ معروف مؤلفات عديدة بها فقال لأنى ضعيف فى العربية فقلت لو اشتغلت بالعلم بدلا من اشتغالك بالسياسة لألفت بالعربية كما ألف أجدادك ولخدمت بلادك خدمات أوفى وأثمن فقال هذا هو قدر الله . ويقول انه فقد فى الفتن التى تتابعت على بلاده ما يتراوح بين ٤٠٠ ـ ٥٠٠ من رجال عشيرته وحدهم سقطوا صرعى فيها دع أبناء العشائر الأخرى .

ويرجو الشيخ أن تتاح له العودة ثانية الى بلاده ليخدم الحكومة العربية باخلاص . وكثيراً ما يتشرف بزيارة جلالة الملك غازى فى قصره فيلقى من جلالته كل عطف ورعاية يغتبط بهما ويقول انه سيكون من خدامه الأوفياء وأنصاره الأمناء فمن مصلحة العرب والكرد أن يعيشا على وفاق ووئام فقد وحد بينهما الدين كما وحدت بينهما المصلحة ويأبى أن يتحدث عن استقلال كردستان وعن الفكرة الكردية ويقول ان أيام البحث فيهما قد انقضت وان الكرد يتمتعون فى ظل الحكومة العربية بما لا يتمتعون به فى ظل أى حكومة من الحكومات الأخرى

المجاورة للعراق ومن واجبهم أن يخلصوا لها ويخدموها ويقيموا على طاعتها

وحديث الشيخ طلى لذيذ يمزجه بالنكات اللطيفة والدعابات المستملحة وقد ودعته شاكراً الصدف التى جمعتنى به بعد ما تواعدنا على المكاتبة والاتصال





الشيخ محمود كاكا الكردي المشهور



الموصل

الموصل احدى مدن العراق الكبرى وعاصمة مقاطعاته الشمالية كما أن البصرة عاصمة مقاطعاته الجنوبية

وتشق دجلة الموصل شقا وتنشئ الحكومة جسراً حديدياً كبيراً يصل بين جزءى المدينة واحتفلوا بافتتاحه فى شهر ابريل الماضى وهوأول جسر حديدى يبنى على دجلة فى العراق كما أن جسر الفلوجة هو أول مابنى على الفرات

ويحتفل قريباً بوضع حجر الأساس فى الجسرين الحديديين اللذين تقرر انشاؤهما على دجلة لوصل جزءى بغداد (الرصافة والكرخ) فلا يزال الناس يعبرون على جسر سنة ١٩١٨ ويتألف من زوارق ضم بعضها الى بعض ومدت فوقها ألواح خشبية وتمر عليها المركبات والسيارات منفردة أومتتالية فاذا اجتمعت سيارة أو سيارتان فى جانب واحد سارتا متلاصقتين ومتى بلغتا الجانب الآخر يسمح للسيارة أو المركبة الواقفة هناك بالعبور ولا يمكن عبور سيارتين فى وقت واحد ويؤمل ولاة

الأمور أن تزداد حركة العمران فى جانبى بغداد متى تم انشاء هذين الجسرين فيسهل عبور السيارات والمركبات منفردة ومجتمعة ويلغى رسم العبور وقدره ٣٠ مليما عن كل سيارة يجبى باسم تنظيم حركة المرور ويسرى هذا النظام على جميع الجسور فى العراق فلا بد لكل سيارة تعبر جسراً من دفع مثل هذا الرسم

...

وفى الموصل حركة عمرانية واسعة النطاق فقد أنشأت الحكومة موصلا جديدة الى جانب الموصل القديمة فهذا سجن على الطراز الحديث بلغت نفقاته ٢٧ ألف جنيه بنته الحكومة ليكون نموذجا لدور السجون التى اعتزمت انشاءها فى العراق وقد مررت به فوجدته مستوفيا لأحدث الشروط فهو أشبه بمدرسة منه بالسجن ويسميه الموصليون البلاط ، ويقولون ان ملكا يعنى بانشاء سجن أكثر من عنايته ببناء قصر خاص لاقامته ـ وأموال العراق كلها تجبى اليه ـ يعد من كبار المصلحين الذين يقدمون مصلحة الشعب على مصالحهم . ولقد رأيت فى سوق كل مدينة عراقية دخلتها مكاناً خاصاً لبيع مصنوعات سجنها وتتألف عادة من سجاجيد وأبسطة ومناشف وستاير وكراسى وحصر وغيرها مما يدل على عناية ولاة الأمور هنا باصلاح السجون

وقل أن يغادر سجين سجنا قبل أن يتعلم فيه صناعة تساعده على

كسب عيشه وقد مر بنا مدير شرطة الحلة على حانوت نجار قال انه تعلم هذه الصناعة وأتقنها فى خلال ستة أشهر قضاها فى السجن وهو يعيش منها الآن

وكذلك أتمت الحكومة انشاء ثكنة عسكرية واسعة على أحدث طراز فى الموصل لجيشها المرابط هنالك ، ودهشت حينما جلت فى الموصل لكثرة الجند المنبث فى أرجائها وحسبت أن هنالك حركة غير عادية ، وزالت دهشتى حينما قيل لى ان اليوم يوم جمعة وان من عادة الجند أن يغادر معسكراته للراحة وفيها خمسة أفواج (أورط) وبطاريتان من المدافع الجبلية

وكذلك بنت الحكومة فى الموصل الجديدة داراً فخمة اسمها دار الضيافة ينزلها كبار الزائرين لعدم وجود أماكن لائقة ، وهى عاملة على انشاء بنايات جديدة أخرى

وتمتاز الموصل عن المدن العراقية الأخرى بوجود شوارع واسعة مستقيمة طويلة فى داخل المدينة القديمة فهنالك شارع نينوى وطوله بضعة كيلومترات ويمتد من الجسر الجديد الى طرف المدينة الآخر يشقها شقا ، ومثل ذلك شارع النبي جرجيس وشارع النبي دانيال ـ والأنبياء كثيرون هنا ـ وقد انشئت هذه الشوارع فى العهد الجديد فقد دمر الترك الأحياء القديمة فى أواخر أيامهم وتركوها أنقاضاً فأسست على الطراز الحديث ، ويختلف طراز البناء هنا عنه فى بغداد وفى الجنوب

فالبيوت هنا تؤلف من طبقات وتبنى بالحجر ، أما هنالك فتبنى من الطابوق (الطاباق) ولا تزيد على طبقتين فى الغالب ، على أنهم يرجون أن يتبدل طراز البناء اذا نجحت التجربة التى يجربونها لصنع الأسمنت فقد تألفت شركة وطنية لصنعه وأرسلت نماذج من تربة البلاد الى أوربا لتحليلها فاذا أسفرت التجربة عن نجاح جئ بالماكينات وبدئ العمل وتبدل طراز البناء فى جنوب العراق كله

. . .

وسكان الموصل أخلاط يؤلفون مجموعة غريبة من العناصر والشعوب القديمة فهنا الكلدان والسريان والصابئة والأشوريون والكرد والترك واليزيديون (عبدة الشيطان) والأرمن والفرس وغيرهم وتسودهم العربية ويتكلمها الجميع على السواء

ومعظم تجارتها بيد الكلدان والسريان ويشكو سكانها مر الشكوى من عدم وصل مدينتهم بسكة حديدية مع وجود ثلاث سكك بقربها ، فسكة حديد بغداد الجنوبية تصل الى بيجى وهى فى منتصف الطريق بين الموصل وبغداد ، وقد كانت تصل من قبل الى الشرقاط وتبعد عن الأولى نحو ٨٠ كيلو متراً وهى مما أنشأه الألمان فى العراق قبل الحرب العظمى لتكون جزءا من خطهم الكبير وقد بدأوا من بغداد حتى سامراء ومنها الى بيجى والشرقاط ولو لم يعاجلهم الانكليز لبلغوا الموصل

وهنالك أيضا خط بغداد ـ كركوك الحديدى وقد أنشئ فى عهد



طائفة من ملوك الاشوريين ورؤسائهم قبل ثورتهم



مخيم اللاجئين الاشوريين فى حى العقيدات بالموصل

الحكومة الجديدة وتبعد كركوك عن الموصل ١٣٠ ميلا من جهة الشرق ، أما سكة الحديد التركية فتصل حتى نصيبين ولا تبعد عن الموصل أكثر من ٢٠٠ كيلو متر وبواسطتها يسهل الوصول الى البحر الأبيض وأوربا . ولا شك أن وصلها بهذه الخطوط الواقعة على مقربة منها يساعد على تحسين مركزها الاقتصادى والتجارى مساعدة عظيمة.

وحادثت بعض ولاة الأمور هنا فعلمت أنهم عازمون على وصل خط كركوك الحديدى بالموصل والمسافة بينها وبين بغداد بهذه الطريق ٣٣٠ ميلا ولا يبدأ العمل قبل حسم مشكلة سكة الحديد مع الانكليز. ولابد لى من القول ان وزارة الاقتصاد منصرفة فى هذه الأيام الى تعبيد الطريق بين بغداد والموصل والمسافة بينها ٤١٥ كيلو مترا وطليه بالقار بعد ما مهدته تسهيلا للتجارة وقد أنجزت جانبا كبيراً منه فعلا

عند ملوك الاشوريين

يقطن الأشوريون فى حى « الدواسة » بالموصل سواء منهم الموالون للحكومة من الذين اعتقدوا أن مصلحة قومهم فى شد أزرها والانضواء الى علمها ، وينزلون هنا دوراً استأجروها ، أو الذين جمعتهم الحكومة من القرى بعد الحوادث الأخيرة فأنزلتهم فى مخيم خاص بهم وأعالتهم بعد أن قتل عائلوهم ، ولا يقل عددهم عن ألف ومعظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ وهم بحالة من البؤس واليتم تستوجب الشفقة والرحمة ويسأل من مثلها العافية

ولقد كان أول ما تبادر الى ذهنى حينما بلغت الموصل أن أزور الحى الأشورى فأتصل بملوكه وأحادثهم وأدرس شؤونهم عن كثب ، فلعل فى ذلك فائدة ولعله ينير ناحية من تاريخ هذا الشعب البسيط الساذج وقد ذهب ضحية المطامع الاستعمارية

نشأة الأشوريين وتاريخ هجرتهم

وقادنا الدليل الى منزل الملك خمو ويقيم فيه مع أولاده وأحدهم يوخانس ملازم ثان فى الجيش العراقى ويجيد العربية ومثله الأصغر وهو طالب بالمدرسة الانكليزية ويتكلم الأكبر العربية بسهولة أيضاً . أما الأب فهو فى السبعين تقريباً متعمم بعمامة سوداء ويفهم العربية ولا يتكلمها بسهولة . والمنزل مؤثث على الطراز الحديث

وهش القوم وبشوا حينما عرفوا أن صحافياً مصرياً جاء الى الموصل يسأل عنهم ويستقصى أخبارهم ويدرس شؤونهم وقالوا سل ما بدالك فنحن مستعدون لاجابتك وتسهيل مهمتك

ولما سألت عن تاريخهم وأسباب هجرتهم قال الملك نحن مجموعة عشائر تعيش عيشة أقرب للبداوة منها للحضارة ولكل عشيرة رئيس يدير شؤونها ونسميه فى لغتنا « ملكه » ومن عشائرنا : تيارى وتخوفلى وجيلو وباس « وهى عشيرتى » وديس وقونانة وهى عشيرة مارشمعون وهنالك عشائر أخرى صغيرة وكبيرة

ولقد كنا حتى الحرب العظمى ننزل فى قضاء جولمرك من ولاية وان فى الأناضول الشرقى وكنا على أحسن حال وما كان الترك يتدخلون

فى شؤوننا بل كان جابى المالية يزورنا مرة واحدة فى السنة فنسلمه المال فيعود أدراجه

وتبدلت الحال على أثر اعلان الحرب العظمى وبعد ما هاجم الروس تلك الأنحاء وثار الأرمن فاضطررنا الى الهجرة فغادرنا ديارنا فى سنة ١٩١٥ وقصدنا سلماس وخوى واورمية من بلاد فارس واشتركنا فى الحروب التى دارت هنالك وكان عددنا لا يقل عن ٤٥ الفا فى ابتداء الأمر

وفى سنة ١٩١٨ هاجرنا الى هذه البلاد فأنزلنا الانكليز فى بعقوبة « مدينة على نهر ديالى شرقى بغداد » وأنشأوا لنا معسكراً وأجروا لنا العلوفات ووزعوا علينا ثيابا ثم جندوا عددا من رجالنا فى جيش الليفى وقد أنشأوه بعد الحرب من أربعة أفواج « أورط » مشاة وثلاث كتائب فرسان وبطارية جبلية وانضم اليه عدد من العرب والكرد ويتألف منهم فوج واحد أى ان الأفواج الثلاثة أشورية وقائد جيش الليفى العام هو داود أغا والد مارشمعون

وبمناسبة مارشمعون واسمه الأصلى ايشه أقول لكم انه ثالث بطريرك بعد الهجرة فقد اغتال الزعيم الكردى اسماعيل سمقو سنة ١٩١٦ البطريرك الذى هاجر معنا حينما كان فى أرض فارس على أثر مأدبة عشاء أدبها له ، فخلفه ابن أخيه بنيامين وقد مرض ومات فى ديالى لانه لم يطق حرها فخلفه ابن أخيه الحالى

وأفهمنا الانكليز سنة ١٩٢١ أن علينا أن نعمل لنعيش وأنهم لن يجروا علينا أرزاقا فغادرنا بعقوبة وتفرقنا فى لواء الموصل ، فأقام فريق منا فى عقره وآخرون فى زاخو والمندان وعمادية ودهوك واربل كما عمل آخرون فى مصلحة سكة الحديد وفى شركة النفط . ويتفاوت عدد الباقين منا فى العراق بين عشرة آلاف وخمسة عشر الفا فقد مات كثيرون كما هاجر الى اميركا نحو ٨ آلاف وفى فارس أيضا مالا يقل عن ١٥ الفا

وأقطعتنا الحكومة الأراضى والمزارع وأغدقت علينا من سحائب نعمها واحسانها فحسنت حالتنا واستراح بالنا وعاملتنا بأفضل ما تعامل رعاياها من أبناء البلاد ، فرأينا واجب الوفاء يقضى علينا بموالاتها ونصرتها فنصرناها وأيدناها ولولم نفعل لكنا أدنياء فما جزاء الاحسان الا الاحسان

عوامل الشقاق

ولما سألته عن أسباب الخلاف بينهم وبين الحكومة قادنى بيدى الى خارج المنزل وقال لى انظر بعينك : هنا قنصل فرنسا ، وهنا قنصل بريطانيا ، وهنا مكتب ضابط الاستخبارات الانكليزى ولا شك أن وجود هذه الابنية قرب حينا واتصالنا الدائم بسكانها واتصالهم بنا يفسر لك بعض ما أود أن أقوله ويكفينى مؤونة الاسهاب يضاف الى

هذا أن والد مارشمعون هو قائد جيش الليفى الانكليزى كما قلت لك وقد ظل فى هذا المنصب الى نحو شهرين من الحوادث الاخيرة

غير أن هذا لا يمنعنى من أن أقول لك ان مار شمعون ومن ورائه عمته سرمه وأقاربهم انصرفوا فى السنوات الاخيرة الى العمل لانشاء سلطة زمنية الى جانب السلطة الروحيــة تجعل للبطريرك نفوذاً على رؤساء العشائر مما لا عهد لنا به من قبل ولا يمكن أن نقره بوجه من الوجوه ، ولما اتصل بنا ذلك زرته أنا والمطران سركيس وبعض الرؤساء وأفهمناه أننا لا نقر خطته ولا نوافق على انشاء سلطة زمنية وأن عليه أن يكتفى بممارسة السلطة الروحية أسوة بمطران الكلدان وغيره من المطارنة ولم يسبق لاحد من أسـلافه أن تمتع فى الماضى بشىء من هذا ، فأجابنا جواباً مبهماً لم يرضنا فشددنا عليــه فى الحملة وأنذرناه ليعدل عن خطته ولما أراد السفر الى جنيف سنة ١٩٣٢ زرته مع بعض الرؤساء وطلبنا اليه أن لا يفعل شيئا الا بالاتفاق مع جلالة الملك فيصل فأبى فقاطعناه

ثم قال :

ولقد ألقينا قيادنا وزمامنا الى الحـكومة العراقية فلتفعل بنا ما تشاء فاذا أمرتنا بالاقامة أقمنا واذا أمرتنا بالرحيل رحلنا وكل ما نبغيه هو أن نكون مشمولين برضاء جـلالة الملك غازى فنحن من عبيده الامناء

المخلصين الذين يعرفون أن واجبهم الديني يقضي عليهم بأن يكونوا طائعين بعد الله لمليكهم

. . .

وقصدت بعد هذه المحادثة مخيم اللاجئين من الاشوريين وهو واقع في حي العقيدات قرب الدواسة فألفيت أسرابا من الاطفال والنساء والشيوخ ينزلون في تلك الخيام وتقرأ على وجوههم آيات البؤس والشقاء وهم في حالة من الحزن والكمد تفطر القلب ويتولى الشرط العراقيون المحافظة عليهم ليلا ونهاراً ولا يسمحون لأحد بدخول مخيمهم كما لا يسمحون لهم بالخروج

وتوزع الحكومة عليهم الشاى والسكر والخبز في الصباح والارز واللحم في المساء أى انهم يطعمونهم وجبتين في اليوم ويعطونهم الصابون والحطب والملابس ولا يقل ما ينفقونه عليهم عن ١٥٠ ديناراً في الشهر

. . .

تلك هي قصة الأشوريين وقد سمعتها من أفواه رجالهم أما حادثتهم الأخيرة فهذا بيان مفصل عنها كما سمعته من أفواه الثقات :

تآمر مارشمعون وأنصاره مع بعض الأجانب الذين لا ينظرون بارتياح الى ما بلغته العراق من تقدم ورفعة ، واتفقوا على أن يباغت الأشوريون الجيش العراقي فينكلون به ثم يمشون الى العمادية فالموصل

وفيها يعلنون قيام الدولة الأشورية الجديدة ويجعلون العالم أمام أمر واقع

وتقدم ١٣٠٠ أشورى مسلحين بالسلاح الكامل يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٣٣ الى المخفر العسكرى العراقى على الحدود السورية قادمين من سورية حيث لجأوا قبل ذلك بأيام فنزعوا سلاحهم بأمر ولاة الأمور الفرنسويين عملا بأحكام الاتفاقات المعقودة بين فرنسا والعراق ثم أعيد اليهم السلاح فجأة ، وخلافاً للاتفاقات فاندفعوا الى الحدود العراقية فتقدم جندى عراقى من مخفر الحدود ليتسلم السلاح من القادمين وكانوا يرفعون راية بيضاء ، فلما صاروا على خطوات منه ، وكان مجرداً من السلاح أطلقوا عليه النار فأردوه قتيلا ، ثم تقدموا لاحتلال المخفر فقاومهم الجند مقاومة شديدة أحبطت خططهم وتدابيرهم ، فقد ثبتت القوات القليلة التى كانت هنالك وما كان عددها يزيد عن ٤٠ جنديا فى وجه هذا العدد الكبير المسلح أحسن تسليح وقاومتهم الليل بطوله ، وفى الصباح تواردت الامدادات فنكلوا بالخائنين أشد تنكيل وأحبطوا خططهم الجهنمية وأذاقوهم النكال والوبال . واستشهد ثلاثة من الضباط العراقيين فى معركة الليل قيل ان الأشوريين مثلوا بجثثهم تمثيلا فظيعاً

وثار الكرد والسكان على الأشوريين بعد هذه الخيانة واللؤم فوقعت مصادمات دموية حملت الحكومة على التدخل لحماية الاشوريين

الباقين فى داخل البلاد فنقلت جانباً منهم الى الموصل وهم الذين رأيناهم فى حى العقيدات

ولقد دلت هذه الحادثة على قوة الجيش العراقى ويقظته وبرهنت على اخلاص قادته وجنـده وعظيم استبسالهم ولولا ذلك لساءت العاقبة، ومما يستحق الذكر أن آمر منطقة الموصل العسكرى منع دخول الضباط الانكليز المستخدمين فى الجيش العراقى الى أراضى الموصل ابان تلك الحوادث لاعتبارات رآها وقد أقرت وزارة الحربية تدبيره لما ينطوى عليه من الحـكمة وسداد الرأى

وجملة القول ان الجيش العراقى كتب صفحة مجد خالد فى تاريخه العسكرى بما قام به من أعمال باهرة خلال الحوادث الأشورية فوقى العراق خطراً جسيما ولولا يقظة رجاله واستبسالهم لـكثر الشامتون وفرح المبغضون

القاهرة يوم ٣ شعبان سنة ١٣٥٣ و١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٤

